



بنکھی ڙین

[www.zheen.org](http://www.zheen.org)

٢٥٧,٢

ع العزيز، حسين قاسم

مسائل في التراث وكتاب الخراج وصنعة الكتابة/ حسين قاسم العزيز.- بغداد: مطبعة الوقف السني، ٢٠١٣.

٢٥١ ص، ٢١٥ سم.

١- الخراج ٢- التاريخ الإسلامي

أز العنوان

٦٠٣

٢٠١٢/٦٨٩

### مشرف المطبوعات: صديق صالح

المسلسل: ١٥٢ (تسلسل دار الثقافة والنشر الكردية ١١٨)

الكتاب: مسائل في التراث وكتاب الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر (بعض الملاحظات السريعة)

تأليف: الدكتور حسين قاسم العزيز

تقديم ومراجعة: د. سلام الدين علي غالب النقشبendi

تنضيد: سُند

تصميم: لاس

خط وتصميم الغلاف: أحمد سعيد

عدد المطبوع: ٥٠٠

رقم الإيداع: دار الكتب والوثائق ببغداد ٦٨٩ لسنة ٢٠١٣

مكان الطبع: بغداد، مطبعة الوقف السني

سنة الطبع: ٢٠١٣

بنكهة زين

### مؤسسة زين

#### لإحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي

العراق: إقليم كردستان، السليمانية، الشارع ١١ بباب مكلون، محلة ١٠٧ بربان.

عمارة زين (جانب مسجد الشیخ فرد)

الأرضي: ٢٣٠١٢٩٢-١، تراسيسيل: ٢٣٠١٢٩٢-١، أو ٧٧٠١٦٥٨٦٣٣، كورك ٧٧٠١٦٥٨٦٣٣، صن. ب: ١٤

العنوان: [info@binkeyjin.com](mailto:info@binkeyjin.com) الموقع: [www.binkeyjin.org](http://www.binkeyjin.org)

[www.kurdkulture.org](http://www.kurdkulture.org)

[kurdishpub@yahoo.com](mailto:kurdishpub@yahoo.com)

[E-darkurd@yahoo.com](mailto:E-darkurd@yahoo.com)

العنوان: بغداد، الوزيرية

بجانب المعهد القضائي، تقاطع جامع النساء

الدكتور حسين قاسم العزيز

## مسائل

في التراث وكتاب الخراج وصنعة الكتابة

لقدامة بن جعفر

(بعض الملاحظات السريعة)

تقديم ومراجعة

الدكتور حسام الدين علي غالب النقشبendi

مشروع مشترك



مؤسسة زين



## المقدمة

تعود معرفتي بمؤلف هذا الكتاب، العلامة المرحوم الدكتور حسين قاسم العزيز الى اواخر القرن العشرين وبالتحديد الى سنوات (١٩٨١-١٩٨٤)، حينما كنت أتردد على جامعة بغداد- كلية الآداب- قسم التاريخ، أثناء تحضيري لاعداد أطروحتي للدكتوراه: "أنزيجان (٤٢٠-٤٥٦هـ) دراسة في أحوالها السياسية والأدارية والعسكرية"، وكان قد طرق الى سمعي آنذاك بأن الدكتور العزيز كان يُحارب من قبل بعض تدريسيي القسم، كون الدكتور العزيز من خريجي الاتحاد السوفياتي السابق، إضافة الى ذلك لكونه شيعي المذهب وكُردي القومية.

أرتات مؤسسة زين لاحياء التراث الوثائقي والصافي الكردي، ووفاءً لشخصية المرحوم الدكتور العزيز العلمية، نشر مؤلفه الذي بيد القارئ الآن، وكلفت من قلبها بمراجعة المخطوط الذي حمل عنوان: "مسائل في التراث وكتاب الخراج وصنعة الكتابة، لقادة بن جعفر" (بعض الملاحظات السريعة). وبعد انتهاءي من قرائته ظهر لي المستوى العلمي البارز لصاحب الكتاب العزيز، وتبيّن لي ان دراسته للكتاب أشبه ما تكون بدراسات العديد من المستشرقين، فأستعمل طريقتهم في التحليل الواسع والاستنتاج العميق، بل يمكنني القول بأنه قد بَرَ بعضهم من كثرة توسيعه فيتناول موضوعه وبأسلوب علمي رصين في مجال البحث والتقصي والتحليل والاستنتاج.

أحسن الدكتور العزيز صنعاً عندما تناول الكتابة عن مؤلفٍ مثل قدامه بن جعفر والذي يشار إليه بتضلعه في علوم البلاغة والمنطق والفلسفة، وقد تناول قدامة المبدع البارع في كتابه الامور الاقتصادية و الاجتماعية والضرائبية وعلاقاتها التاريخية الاجتماعية التي بصمت الآثار الفلسفية والمنطقية في معالجة الامور، حسب قول الدكتور العزيز.

ولم يكتفِ الدكتور العزيز بالحديث عن سيرة حياة قدامه، والذين كتبوا عنه من قبل المؤرخين القدامى والمعاصرين ومن قبل المستشرقين عن مؤلفاته العديدة، بل تناول أيضاً مؤلفات الذين كتبوا عن الخراج عدا قدامه.

ولأعجاب الدكتور العزيز بشخصية الجاحظ الفيلسوف المتنور والذي كان على مذهب المعتزلة، والعالم الموسوعي، وبأسلوبه التهكمي اللاذع المفعم بالنكات الطريفة، وصاحب (١٢٧) مؤلفاً، فقد تناوله بأسهاب وخصوص له (٢٤) صفحة من كتابه هذا.

وأعجبني من الدكتور العزيز -إضافة إلى تبوئه درجة كبيرة في البحث العلمي الرصين -باعهُ الطويل في اللغة العربية (نحواً وبلاهة وصرفًا واصطلاحاً)، لاسيما وأنه قد استخدم في كتابه الذي بين يدي القارئ كلمات كانت خافية علىّ، وربما على العديد من الباحثين كأستعماله لكلمة "جنفهم" بمعنى: ((ابتعادهم او ميلهم عن الحق والعدالة)), وكلمة "شحة" ويقصد بها: ((بحله وحرصه على عدم ذكره))، وإستخدامه كلمة: **الجرّاح النطمس اي الجراح الحاذق**، وغيرها.

ويلاحظ على المرحوم الدكتور العزيز، في كتابه عن قدامه أنه يفسر حوادث التاريخ تفسيراً مادياً، متأثراً بنزعته الماركسية، لذلك فقد تطرق إلى ذكر: ((العلاقات الجدلية)), و ((قوانين الجدل الطبيعية المسيرة لعملية تطور المجتمعات)) وإيمانه ((بالصراع الطبقي)), (ص ١٦٠)، وفي رأينا فإن الاعتماد فقط على العامل المادي (الاقتصادي) في تفسير التاريخ، ولو أنه عامل رئيس، إلا أنه يمكن أن تكون لعوامل أخرى تأثيرها على أحداث ومجريات التاريخ، كأن يكون العامل الديني والمذهبي، أو الاجتماعي أو النفسي أو البيئي وغيرها من العوامل.

كما نراه في كتابه هذا يهاجم ((الاقلام البورجوازية المحافظة المكرسة لخدمة الرأسمالية والاحتكارات العالمية)) -حسب تعبيره-، والتي هي ((غير مؤمنة بالتطور أصلاً)) (ص ١١٧)، إضافة إلى ذلك، فما يؤخذ عليه استخدامه لمصطلحات تستعمل في وقتنا الحالي على أمور حدثت في الزمن الماضي، -زمن الدولة العباسية- كاستخدامه لمصطلح "الارستقراطية"، (ص ص ١٣٦، ١٥٤، ١٥٢)، إذ أنه من غير المستحب في الدراسات الأكاديمية استخدام مثل هكذا مصطلح، بل يمكن استخدام تعبير: الطبقة الغنية أو المتسلطة، عوضاً عن ذلك.

ويلاحظ عليه كذلك إس perpetrاده لموضوعاته إس perpetrاداً طويلاً، وهو يعترف بهذا الاستطراد، إلا أنه يعتبره: ((إس perpetrاداً طويلاً نسبياً)), (ص ١٥٧)، لموضوعات تتعلق بشخصية قدامه ومؤلفاته، تعليقاً طفيفاً. وأصل بحثه هذا كان ردًا على ما أصدره الدكتور محمد حسين الزبيدي، التدريسي في جامعة بغداد، كلية الآداب-قسم التاريخ من

تحقيقه لكتاب قدامه بن جعفر والموسوم بـ(الخراج وصناعة الكتابة) الذي أصدره عام (١٩٨١)، حيث بين فيه مأخذ الكثيرة على طريقة تحقيق الكتاب من قبل الدكتور الزييدي، ونقده نقداً موضوعياً بعيداً عن الأغراض الشخصية، ومبيناً فيه الشروط الواجب توفرها على من يقوم بتحقيق أي كتاب من كتب التراث الإسلامي.

وطبع للدكتور العزيز في حياته، مؤلفه القيم: (البابكية وإنفاضة الشعب الأذربيجاني ضد الخلافة العباسية)، سنة ١٩٧٤، وهي أطروحته للدكتوراه، كما صدر له كتابه الموسوم بـ"تاريخ العرب والإسلام"، نشره عام (١٩٧١)، كما نشر له بحوث علمية عدة في مجلات معترف بها علمياً، ومع ذلك فقد خلف وراءه عدداً من مؤلفاته المخطوط، ومنها ما كانت مهيأة للطبع، ولكنها لم ير النور، يبدو أنها لأسباب سياسية، ولم يرى عوناً له من قبل جامعة بغداد، أو من وزارة التعليم العالي والبحث العلمي آنذاك على طبعها، وعندما أودعت بعض مخطوطاته عند مؤسسة تعنى بالنشر العلمي كـ(مؤسسة زين)<sup>\*</sup>، ارتأت أن تأخذ على عاتقها بطبعها وفاءً

<sup>\*</sup> بعد وفاة المرحوم الدكتور العزيز، وقعت نسخاً من آثاره الخطية غير المنشورة، عند المرحوم حسين فيض الله الجاف، الذي أوصى قبل وفاته بإيداع هذه المخطوطات لدى مؤسسة زين اعتقاداً منه بالمحافظة عليها ونشرها تباعاً وفاءً للمرحوم العزيز. وعلمنا أخيراً بأن نسخة أخرى من هذه الآثار الخطية محفوظة في خزانة الاستاذ جمال خزندهار المقيم حالياً في المانيا [ينظر: فهرس توصيفي للأثار المخطوطة للدكتور حسين قاسم العزيز، المحفوظة في خزانة مؤسسة زين لحياء التراث الوثائقي والصحفي الكردي في السليمانية، للدكتور نصیر الكعبي، مجلة زين، العدد الثالث، ٢٠١٠، ص ٣٤٢-٣٥٧]. [مؤسسة زين]

للمرحوم الدكتور العالم: العزيز، فأصدرت له: (المفصل في نشأة نوروز الذهنية الابداعية)، (الجنور الاسطورية لملحمة نوروز الشعبية)، و(نقدُ وبيانُ لجوانب من سيرة إبن خلكان)، كما ان الدكتور العزيز خلف كتبًا عن التاريخ الاسلامي مازالت مخطوطة.

وأخيرًا أترك للقارئ العزيز، قراءة مؤلفه هذا، حيث سيدرك مدى علمية الباحث وتمكنه من إيفاء موضوعه من شتى النواحي، بأسلوب اكاديمي بحت، مجرّدًا من نوازع شخصية أو مصلحية.

د. حسام الدين النقشبendi

السليمانية

٢٠١٢/١١/٢٩





## القسم الاول

### وطئنة:

يُعتبر توجّه باحثينا إلى تحقيق المخطوطات التراثية، بشكلٍ أوسع في الأونة الأخيرة، مؤشراً جيداً على إيلاء الاهتمام بحقّل كان وقفاً لحدٍ ما على المستشرقين، حيث نالوا به قصب السبق وتفوق العديد منهم علينا في عطائهم، كماً ونوعاً، نظراً لما تخلّوا به [على الرغم من الغايات والدوافع المشبوهة لدى بعضهم] من ترويٍّ وصبرٍ وانابةٍ وجلاٍ وطولٍ باعٍ ومعرفةٍ جيدةٍ باللغات الشرقية، ناهيك عن لغاتهم الغربية، ومنهجية سار على غرارها بعض باحثينا، الذين أفلحوا وحازت أعمالهم بعض النجاح.

إنَّ هذا التوجّه من قبل باحثينا، وأنَّ جاء متَّسراً، يشكّل خطوةٍ جيدةٍ في طريق تطويرنا العلمي تستوجب التشجيع المثابر والثناء الوافر فيما لو أثمرَ انتاجاً يانعاً ونافعاً ومبدعاً، بحيث يضاهي منجزات المستشرقين.

إنَّ تشجيع المحققين الجيدين المبدعين أمرٌ ضروريٌّ جداً وذلك لما يتطلبه التحقيق من جهودٍ استثنائية مجدهة وتتوفر خلفية علمية رصينة ومؤهلاتٍ منوعةٍ عديدةٍ في مقدمتها معرفةٍ واسعةٍ بالكتابة

العربية، خطوط وأساليب، وإلمام واسع وجيد بتاريخ الحقبة التي عاشها صاحب المخطوط، المنوي تحقيقه، الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري والحضاري والتفاعلات المتبادلة بين الحضارات المجاورة السابقة والمعاصرة لمؤلف المخطوط، مع معرفة تامة بمواضيع مضمون المخطوط، فإذا كان يبحث في الخارج مثلاً، صار لزاماً على المحقق دراسة الفقه الإسلامي مع دراسة المواضيع القانونية والاقتصادية عن الضرائب وطرق جبايتها وكميتها وتنوعها وتباينها بأختلاف ربع الأرض.. الخ. وماينجم عنها من مؤشرات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالإضافة إلى معرفة الفروق الموضوعية من خلال دراسة جغرافية البلدان الإسلامية، كما يتطلب التحقيق معرفة تامة بمن أخذ منهم مؤلف المخطوط، أستاذة ورواة وشيوخ، مع ذكر مؤلفاتهم ومدى اطلاع صاحب المخطوط واستفادته منها، كذلك ذكر من انتفع وتأثر بالمؤلف [المخطوط] وبصاحبـه. ويحتاج المحقق كذلك إلى معرفة تامة بالموضوع من مختلف جوانبه الفكرية والتاريخية واللغوية، ومعرفة واطلاع على ماشابه المخطوط من تأليف آخر لمؤلفين سابقين ومعاصرين ولاحقين لصاحب المخطوط سواء بسواء. ويحتاج التحقيق إلى اتقان اللغة العربية [نحواً وبلاغة وصرفًا وأصطلاحاً] مع بعض اللغات الأجنبية. وليس بخافٍ أنَّ هذه المتطلبات ضرورية جداً لمن ينوي تحقيق المؤلفات التراثية، لكي يكون بمستوى المسؤولية العلمية وقدراً على التوصل إلى استنتاجات علمية جديدة رصينة، يدجها في

مقدمة الاثر الذي يبعث فيه الحياة، ينتفع بها القارئ ويختو بـها العلم خطوةً الى الامام. وبهذا الصدد نقترح على وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وعلى المجمع العلمي العراقي فتح فرع في اقسام التأريخ بكليات الآداب باسم فرع احياء التراث يُدرّس فيه بشكل عميق ومكثف اللغات العربية والتركية والفارسية والسريانية مع بعض اللغات الأجنبية، ودراسة تحقيق النصوص مع دراسة التاريخ العربي الاسلامي والحضارة العربية الاسلامية والخط العربي، أو يتولى المجمع العلمي العراقي إقامة دورات لخريجي اقسام اللغة العربية والتاريخ والجغرافية والفلسفة بكليات الآداب، لاعداد مؤهلين للتحقيق. لأن تحقيق التراث ليس بالامر الهين حتى يتوجه للقيام به كلُ من شاء أو رغب وأنما يتشرط أنْ ينهض به قدiron من ذوي اهتمامات واسعة وعميقة بالتاريخ والتراث ومن الممارسين المتحلين بالجلد والانارة وطول الباع وإنقاذه جيد للغة العربية مع بعض اللغات الأجنبية ولهم خلفية فكرية رصينة. إن المسؤولية العلمية في نقل التراث الى الأجيال القادمة، بشكل سليم ومتطور ومبرمج وحالٍ من العبث والتغيير والتقصير، لهي امانة في اعناقنا ولا يمكن التساهل والتفريط والاستهانة بهذه المسؤولية أبداً. وأنما يجب ان تؤدي الامانة بخلاص ونكران ذات بعيداً عن مغريات الشهرة والمال. ولهذا يجب ان يسهم النقد الموجه البناء فيقدم النصيحة والتنبيه والارشاد الى مواضع الخل والزلل والنواقص من دون آية مجاملةٍ للفرد او جهةٍ وغير آبه لنفور هذا وأمتعاض ذلك من نقده الموضعي الهداف. إن لنا

طموحاً مشارعاً في أن يبز باحثونا نظارءهم من الأجانب لا أن يعجزوا عن اللحاق بهم في ميدان التراث والتاريخ العربي الإسلامي، فهم أشدُّ التصاقاً وأكثر قرباً ومعرفة ومعايشة للموروث من التقاليد والنظم والعادات العربية الإسلامية من أيّ اجنبي، ناهيك من أن لغتهم الأصلية هي العربية. لاشك أن الالتزام الدقيق بالمنهج العلمي والسعى لخدمة العلم، دون التكسب به، مما يستوجب التأني والتروي دون الاستخفاف والتسريع، وكذلك فإن الابتعاد عن المكابرة والتحيز والتحرر من ضيق الافق العلمي والسياسي، هي من العوامل الأساسية المهمة في نجاح وتقديم المنجزات العلمية البارعة الرصينة والمبدعة في أي حقل من حقول المعرفة الإنسانية، وهي ماتفتقر اليه - مع الأسف - غالبية كتاباتنا، لهذا تراها في الغالب الاعم متطرفة على الأجنبية ومتخلفة عنها بالوقت نفسه.

### **بنكوى زين**

#### **تحقيق كتاب الخراج لقدامة بن جعفر:**

لайнكر أن د. محمد حسين الزبيدي، قد بذل جهداً ملحوظاً في تحقيق الأقسام المتبقية من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر، [التي لم يتحققها دي غوية ونشرها بعنوان: نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، والملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة ص ١٨٣]

[٢٦٦] ، وبه سد فراغاً أستحق بموجبه الشكر على هذا المسعى. بيد أن المقدمة التي وضعها السيد المحقق للكتاب وثبت المصادر والمراجع التي استخدمها، لم تكونا -مع الاسف- بمستوى الطموح، وكان بمقدوره، لولا عجلة وعدم اكتراط، مما أبتلي بهما الكثير من باحثينا، لاتي، بعد بذلك جهد أوسع، بمقدمة افضل ووضع ثبتاً للمصادر والمراجع أحسن وأدق. ولكنه آثر -كما هو واضح- عدم التريث، فجاءت المقدمة تتغذى بضحالة على ما كتبه الآخرون عن قدامة، وجاء ثبت المصادر والمراجع الذي وضعه مرتبكاً غير منتظماً ومخطوئاً في أغلبه، فالمقدمة [شححة ١١,٥ صفحة، ص-ص ٥-١٦]، بينما المقدمة التي وضعها المستشرق س. أ. بونابكر، لكتاب نقد الشعر لقدامة (٨٠) صفحة -كما يذكر الدكتور صالح الدين المنجد<sup>٢</sup>، لم تتجاوز ما دبرته أقلام أجنبية وعربية عن قدامة وعن مؤلفه، الخراج، فحسب، وأئمأ جاءت، رغم ضئالتها، تفتقر شأنها شأن ثبت المصادر والمراجع [صص ٤٨٧-٤٩١]<sup>٣</sup>، إلى

<sup>١</sup> طبعة ليدن/ بريل، ١٨٨٩م، وكتب على الغلاف وفاة ابن خرداذبة في عام ٣٠٠هـ ووفاة قدامة بن جعفر في عام ٣٢٠هـ.

<sup>٢</sup> معجم المخطوطات المطبوعة، بين سنتي (١٩٥٤-١٩٦٠)، ١٩٦٢م، بيروت، تسلسل (٢٤٢)، ص ١٠٠.

<sup>٣</sup> الخراج وصناعة الكتابة، لقدامة بن جعفر، شرح وتعليق د. حسين الزبيدي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية، سلسلة كتب التراث، تسلسل (١١٠)، بغداد، ١٩٨١م.

العناية والدقة العلمية، فلم تعكس بعمق المحتويات السفر الجليل الذي وضعه قدامة عن الخارج ولا مدلوارات تناوله المبدع البارع للامور الاقتصادية والاجتماعية والضرائية وعلاقاتها التاريخية والجغرافية التي بصمت الآثار الفلسفية والمنطقية في معالجة هذه الامور مما ميّزه عن سبقه في هذا المضمار، في الوقت الذي تقسم البحوث الاجنبية عن قدامة وعن انتاجه الفكري، سواء التقدمية او المحافظة، بالجدة والغزاره والدقة والاستنتاج المبدع.

وفي هذا تأكيد على الحقيقة الثابتة عن تناسب الانتاج العلمي الجيد مع ما يبذل لتحصيله من جهد: فمحصلة العجاله وعدم الاكتئاث لاشئ سوى ثماراً فجة، بينما يجيء الباحث المتربوي الصبور، الذي يرکن، كدأب الباحثين العظام، غربيين وشرقيين، الى كافة نسخ المخطوط دراسة ومقارنة ومطابقة والى المصادر والمراجع والبحوث والفالهارس، باحثاً ومدققاً ومصنفاً ومحللاً ومناقشاً، يجيء انتاجاً جيداً متميزاً بالجدة والدقة والغزاره، وفي هذا يمكن سرُّ قصور غالبية ابحاثنا عن اللحاق بالباحثين ولا اقول بالمنجزات العلمية الاجنبية، حتى في ميدان يفترض أنْ تحوز اعمالنا فيه قصب السبق في الكمية والنوعية والريادة والابداع، وأعني به ميدان تراثنا وتاريخنا العربي الاسلامي -كما اسلفت-. ودفعاً لأي التباس وليس تهيباً من ريب ظن البعض، الذي يتوهם لأول وهلة من قراءة سطحية مستعجلة لكلامنا -آنف الذكر- بأنّنا نسعى الى تركيبة الاستشراق عموماً وبشكل مطلق، وبالتالي تركيبة كافة المستشرقين، فنقول: بأن

المتابعة الطويلة المركّزة لأعمال المستشرقين، توفر أمكانية جيدة للتحرر من تعليم وشمولية الاحكام على أعمال متعددة الجوانب متباعدة الاهداف، تبعاً لاختلاف المؤسسات المشرفة على الاستشراق، يقوم بها اشخاص متفاوتون في فرص التحصيل ودرجة الاتقان والالتزام بالمنهج العلمي، حيث يضم الاستشراق جوانب انسانية مشرقة واخرى كالحة لصيقة الصلة بالمصالح الاستعمارية والاحتياطات الامبرialisية العالمية. لهذا فأئتنا وأنّ كُنا نشيد بالمنجزات الاستشرافية العظيمة، فإن لنا في الوقت نفسه تحفظاتنا على دوافع وارتباطات وغايات ذلك القسم من الاستشراق الموظف لاهداف غير نبيلة مرتبطة بالمصالح الامبرialisية المناقضة لمصالح الشعوب.

لقد سبق وأبدينا مثل هذه التحفظات في مقال لنا بعنوان: (تبالين مبادئ وآفاق الاستشراق وأثره في منهجي البحث التاريخي في العراق)، المنشور في مجلة شمس كردستان<sup>٤</sup>، التي تصدرها جمعية الثقافة الكردية ببغداد. إنّ هذا جانبًا من أسباب التحفظ، وهناك جانب آخر هو أن البعض من المستشرقين لم يفلح في عكس المجتمعات العربية الاسلامية وفق ملموسات واقعها بشكل صحيح وسليم، ومرد ذلك يعود الى عوامل عديدة يأتي في مقدمتها ضيق الافق العلمي والسياسي والتحيز والانحدار الطبقي، المبتلى به الفكر البورجوازي المحافظ. ويضاف الى مبررات التحفظ من تزكية

---

<sup>٤</sup> العدد (٢٧) حزيران، ١٩٧٥ م [كتب خطأ ١٩٥٧]، ص ٧-١٣.

الاستشراق تزكية مطلقة عامة إرتکاب بعض المستشرقين اخطاءً في تعليقاتهم واستنتاجاتهم نتيجة عدم تملّكهم القدرة الكافية لاستيعاب وفهم مفردات وتعابير ومصطلحات تراثية- لغوية<sup>٠</sup>، فعلى سبيل المثال: ظن البعض من المستشرقين ان المقصود بـ(الاراضي البعلية) الاراضي التي تسقى من المياه الجوفية بواسطة البغال وعليه يجب ان تكتب (الاراضي البعلية) على افتراض أن تحريراً قد حصل في المخطوط، بحذف نقطة العين. بينما فات هؤلاء المستشرقين بأن العرب قد سمت هذه الاراضي بـ(البعلية) نسبة الى بعل، إله المياه الجوفية الوثنى ومن غير المعقول ان تنسبها الى واسطة السقي (البغل) والا كنا نجد تسميات للاراضن بالحسانية والابلية والحمارية والثورية.. الخ، نسبة للواسطة المستخدمة في السقي، الحсан والجمل والحمار والثور. ولهذا يجب أن لا يتكلمنا العجب اذا مصادفنا نصوصاً محققة مكتوبأ فيها الاراضي بلغية خلافاً للنص الاصلي حيث ترد فيه اراضي بعلية.

لا يستطيع القارئ المنصف، رغم الملاحظات الواردة أعلاه، الا ان يثمن ويقدر بأكباد المنجزات العلمية الابداعية الرائعة والعظيمة لمستشرقين فطاحل كبار. وبأنصاف نقول، والاسى يحز في قلوبنا، بأن اعمال باحثينا لم تستطع، رغم وجود الجيد والممتاز فيها، ان

---

<sup>٠</sup> من المقيد قراءة ملاحظات د. ابراهيم السامرائي، في مقاله: نمط من التحقيق، المنشور في كتابه، مع المصادر في اللغة والأدب، بغداد، ١٩٧٩-١٩٨٠م، ١/٥-٩.

تدرك، لحد الان، المستوى الراقي الذي بلغته بعض أعمال المستشرقين، إنّ لنا طموحاً مشروعـاً أنْ يقدم باحثونا عطاءً علمياً ليس ثرـاً متميـزاً يشـعـخ في الذـرى عـالـياً مضـاهـيـاً لـمنـجـزـاتـ كـبارـ المستـشـرقـينـ فـحسبـ،ـ وأـئـمـاـ يـتفـوقـ عـلـيـهاـ،ـ وـلـمـ لاـ وـلـبـاحـثـيـنـاـ تـتوـفـرـ كـلـ اـمـكـانـيـاتـ التـفـوقـ؟ـ

#### دور الخبير المستشار في تلقي العثار:

إنّ ما يـدعـوـ إـلـىـ الـاسـتـغـرـابـ حـقـاًـ هـوـ أـنـ يـمـرـ كـتاـبـ الـخـرـاجـ لـقـادـمةـ بنـ جـعـفـرـ وـالـمـحـقـقـ منـ قـبـلـ دـ.ـ الـزـبـيـديـ وـالـمـعـضـدـ منـ قـبـلـ وـزـارـةـ الـاعـلـامـ الـعـرـاقـيـةـ [ـسـلـسـلـةـ كـتـبـ التـرـاثـ ١١٠ـ لـسـنـةـ ١٩٨١ـ]ـ إـلـىـ الـمـطـبـعـةـ وـيـخـرـجـ بـهـذـهـ الصـورـةـ الـبـائـسـةـ لـأـنـ الـوزـارـةـ كـمـاـ نـعـلمـ لـاـتـصـدـرـ مـطـبـوـعاـ يـحـمـلـ أـسـمـهـاـ مـالـمـ يـطـالـعـهـ خـبـيرـاـ

كان المؤمل بـخـيـرـ،ـ مـنـجـازـةـ اـسـتـشـارـتـهـ الـمـكـتـومـةـ،ـ أـنـ يـنـبـهـ،ـ بـمـنـتـهـىـ الصـدـقـ وـالـصـرـاحـةـ مـنـ دـوـنـ مـجاـمـلـةـ اوـ مـحـابـاـةـ،ـ فـالـرـائـدـ كـمـاـ تـقـولـ العـربـ فـيـ اـمـثـالـهــ لـايـكـذـبـ عـلـىـ أـهـلـهـ،ـ عـنـ كـافـةـ النـوـاقـصـ وـالـاخـطـاءـ فـيـ أيـ بـحـثـ يـسـاقـ إـلـيـهـ،ـ طـالـماـ تـفـرـضـ الـخـبـرـةـ جـهـيـذـةـ بـالـعـلـمـ،ـ هـذـاـ إـلـىـ أـنـ سـرـيـةـ إـحـالـةـ الـمـوـضـوـعـ إـلـيـهـ،ـ كـمـاـ يـفـتـرـضـ،ـ تـقـيـهـ مـنـ التـحـفـظـ اوـ مـجاـمـلـةـ صـاحـبـ الـبـحـثـ اوـ الـقـارـئـ سـوـاءـ بـسـوـاءـ.ـ إـنـ شـقـّـ عـلـىـ خـبـيرـ قـولـ الصـدـقـ وـالـصـرـاحـةـ فـمـاـ عـلـيـهـ إـلـاـ أـنـ يـعـتـذـرـ سـلـفـاـ حـفـاظـاـ عـلـىـ سـمعـتـهـ الـعـلـمـيـةـ وـالـتـزـاماـ مـنـهـ لـمـ اـتـمـنـهـ.ـ وـعـلـيـهـ أـنـ يـعـتـذـرـ كـذـلـكـ عـنـ قـبـولـ ايـ بـحـثـ لـايـرـىـ فـيـ نـفـسـهـ الـقـدرـةـ وـالـاستـعـدـادـ الـكـافـيـنـ لـدـرـاسـتـهـ،ـ إـمـاـ لـكـثـرةـ

مشاغله او لا يبعد موضوع البحث عن اهتماماته و اختصاصاته، ليقي نفسه من السقوط في مهاوي الاستنتاجات الهشة المبتسرة الخاطئة. ولا يشكل الاعتذار، في هذه الحالة، بالطبع، مأخذًا على صاحبه بل هو دليل على تمسكه، بشكل سليم، بالمنهج العلمي حيث الاعتذار في هذه الحالة أمر ضروري جداً. وليس مرد ذلك الى ان الخبر مؤتن من لدن جهة يفترض أنها واثقة من استشارته فحسب، ولكن لأن الامانة العلمية تتطلب وتفرض، على أي خبير أمين يبذل أقصى مالديه من جهد في مطالعة كل ماله من صلة بموضوع البحث المحال اليه، لكي يتيسر له بناء حكم سليم وتقديم توجيهات وإرشادات صائبة، لاتساعد صاحب البحث وتجنبه الخطأ وترشدء الى موقع الزلل ونقاط الضعف في بحثه فحسب، وأنما لترفع المسؤلية عن الجهة المعضدة او الناشرة وتقى سمعتها ايضاً.

وأذكر أدناه بهذا الصدد مثالاً قد ترددت في ايراده، لما قد يوجه لدى البعض من أن المراد من عرضه هو التبجح الشخصي ليس الا، ولكن بسبب من غياب تأثير الاستشارة العلمية، حملاني على العزوف عن الاحجام من ذكر هذا المثال الشخصي الذي سأورده: عندما أحالت الي جامعة بغداد [ أيام كنت أعمل بقسم التاريخ بكلية الآداب] تدقيق ترجمة كتاب (العراق في سنوات الانتداب البريطاني) <sup>٦</sup>

---

<sup>٦</sup> صدر الكتاب [باللغة الروسية] في عام ١٩٦٩م وقامت جامعة بغداد بتعزيز الترجمة وطبع الكتاب من قبل مديرية مطبعة جامعة بغداد، ١٩٧٨م [عدد صفحاته ٤٢٨].

لمؤلفه الجورجي السوفياتي البرت م. منتاشيفيلي، لم أكتف بمطالعة الترجمة العربية مع النص الروسي، وهذا هو غاية مامطلوب من التدقيق أصلاً، رغم ثقتي بكتافة وجدية المترجم، الدكتور هاشم صالح التكريتي، وأئمأ قمت بمطالعة مالدي من كتب تبحث في تاريخ العراق الحديث والمعاصر. ولما وجدتها غير كافية رحت أبحث عن ضالتي في مكتبات البلد فأقتنيت ما أستطعت الحصول عليها، كلفتني اثمنها نسبة عالية من مقدار مادفع لي من مكافأة، وأنا راضي ومسرور، وما ذلك الا حرصاً مني على توفير امكانية افضل لتفهم أعمق وأوسع لحقائق ومعلومات وأخبار ماجريات حوادث تلك الحقبة من تاريخ العراق وما سبقها وما تبعها في ظروفها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية المؤثرة، ولاجل ضبط أسماء الاشخاص والقبائل والاماكن والمصطلحات الواردة في الكتاب وفي الترجمة، حيث تتعرض هذه دوماً للتحريف، لاسيما في المصادر الاجنبية: فقبيلة زوج تكتب على سبيل المثال (زوبه) أو (زوبا)، ومدينة العماره (الامارة)، والحاكم السياسي (الضابط السياسي).. الخ في المصادر الاجنبية وبعض المترجمة عنها. فتمكنـت على قدر ما يتسر لي من مصادر ومراجع من تقييم الترجمة تقييماً علمياً موجهاً نال رضى الجامعة وتقبّلها الصديق الزميل المترجم سواء بسواء. ستملك العجب، ولاشك، أي قارئ متخصص، لكتاب الخارج لقدامة، المحقق من قبل د. الربيدي، من تراجم الاخطاء. بل حتى ولو كان لقارئ الكتاب المام فوق المتوسط بالتراث والتاريخ العربي

الاسلامي فأنه سيستغرب من ذلك ومن ثم تساءل كيف حازت هذه الاخطاء على خبير جهد ولم تخفي عنه كقارئ متوسط؟. الم يذكر السيد المحقق أن أبا الاسود الدؤلي [صديق الخليفة الراشدي الرابع الامام علي بن ابي طالب- ح. ق. العزيز] قد توفي في عام ٦٨٨هـ- ١٢٩٨<sup>٧</sup>. فهل تخفي هذه عن أي قارئ في العراق؟ وهل يصدق أحد في العراق بأنَّ أمير المؤمنين علي قد جاء الى الخلافة بعد احتلال المغول للعراق؟ كما يوحيه اليينا خبر السيد المحقق عن وفاة أبي الاسود الدؤلي. وماذا سيقول مستشرق ياباني وآخر لندني وغيرها برازيلي اذا ما وجد أحدهم كتاباً تراثياً صادراً عن دار تعنى بالتراث في العراق يذكر خبر وفاة أبي الاسود الدؤلي في عام ٦٨٨هـ/١٢٩٨ م لابد وانه سيراجع معلوماته بعد مطالعته لما توصل اليه البعض في العراق الى رأي جديد كهذا! لهذا فإن للقارئ المتوسط كل الحق ان يستغرب ويتساءل ايضاً عن ملاحظات الخبير الموجهة الواقية من العثار اين هي؟ ولم يؤخذ بها أن كانت له حقاً توجيهات وملاحظات؟ هل يا ترى ان الخبر قد تجاوز عنها وصمت عمداً لجهله بالتاريخ وبالموضوع المُحقق وبال المصادر والمراجع والفهارس؟ وإذا كان هذا السبب سكوته أما كان بمقدوره الاستعانتة بالمراجع والبحوث الحديثة المعنية بذكر المؤلفين واخبارهم ونتائجتهم المخطوطية

---

<sup>٧</sup> كتاب الخراج، ص ٤٨٧، تسلسل ثبت المصادر رقم (٩).

والمطبوعة، وبذكر من حق المخطوطات مع ذكر ارقام المخطوطات المودعة في امهات مكتبات العالم.. الخ.

لقد نشرت مجلة المورد الفصلية التراثية التي تصدرها دار الجاحظ العديد من الفهارس عن المخطوطات والمطبوعات ولمختلف المكتبات واننا نورد غيضاً من فيض، على سبيل المثال لا الحصر، طبعاً، للمؤلفات والفالرس من اجل الرجوع اليها والى امثالها عند التعامل مع كتب التراث في المستقبل: كارل بروكلمان، تاريخ الادب العربي<sup>٨</sup>، يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات العربية والمعربة<sup>٩</sup>، فرانز روزنثال، علم التأريخ عند المسلمين<sup>١٠</sup>، خيرالدين الزركلي، الاعلام<sup>١١</sup>، غ. ش. شرياتوف، الاستعراب في الاتحاد السوفيتي<sup>١٢</sup>، اسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين اسماء المؤلفين وآثار المصنفين<sup>١٣</sup>، اغا بزرگ الطهراني، الشيخ محمد حسن، الذريعة الى تصانيف الشيعة<sup>١٤</sup>، ف. ف. بارتولد، مجموعة المخطوطات

<sup>٨</sup> ستة اجزاء، ٣-١، ترجمة د. عبدالحليم النجار، القاهرة، ١٩٦١-١٩٦٨، ٦-٤، ترجمة د. رمضان عبدالتواب، القاهرة، ١٩٧٧-١٩٧٥.

<sup>٩</sup> جزءان، القاهرة، ١٩٢٨ م.

<sup>١٠</sup> ترجمة د. صالح احمد العلي، [بغداد، نيويورك، مؤسسة فرانكلين]، بغداد، ١٩٦٣.

<sup>١١</sup> عشرة اجزاء، ط٣، بيروت، ١٩٦٩ م.

<sup>١٢</sup> لسنوات ١٩١٧-١٩٦١م، ترجمة محمد المعصراني، موسكو، ١٩٦١.

<sup>١٣</sup> جزءان، اسطنبول، ١٩٥١م.

<sup>١٤</sup> (طبع منه ٢٠ جزءاً في ٢٢ مجلد) في النجف وطهران ابتداءً من سنة ١٩٣٦م.

الشرقية في باكو<sup>١٥</sup>، وتأريخ دراسة الشرق في أوربا وروسيا<sup>١٦</sup>، ز. م. بونيياتوف، استعراض مؤرخي تاريخ آذربيجان<sup>١٧</sup>، فيكتور بيليف (بيليف)، المخطوطات العربية في مجموعة بخاري<sup>١٨</sup>، المخطوطات العربية في معهد الاستشراق<sup>١٩</sup>، المخطوطات العربية في مجموعة معهد الاستشراق التابع لمجمع العلوم السوفيتية<sup>٢٠</sup>، حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتبة والفنون<sup>٢١</sup>، الجامعة الأمريكية، ما ساهم به المؤلفون في المائة سنة الأخيرة<sup>٢٢</sup>. أبو حيدر، فوزي راجي، فهرس الابحاث، فهرس للمؤلفين والموضوعات والمقالات، ١٩٥٧-٤٨ م<sup>٢٣</sup>

<sup>١٥</sup> (أنباء المجمع العلمي السوفيتي، الحلقة السادسة، ١٩٢٥م، العدد ١٨، ص ٩٤٦-٩٥١، [بالروسية]).

<sup>١٦</sup> (الطبعة الثانية لينينغراد، ١٩٢٥).

<sup>١٧</sup> (بالروسية) باكو، ١٩٦٤.

<sup>١٨</sup> (المتحف الآسيوي ومعهد الاستشراق التابع لمجمع العلوم السوفيتية، [بالروسية]، لينينغراد، ١٩٣٢م).

<sup>١٩</sup> التابع لمجمع العلوم السوفيتية (معرض الدورة الثانية لجمعية المستعربين ١٩٣٧، تشرين الاول ١٩٣٧)، [بالروسية]، لينينغراد، ١٩٣٧.

<sup>٢٠</sup> (السجلات العلمية لمعهد الاستشراق التابع لمجمع العلوم السوفيتية، المجلد السادس، ١٩٥٣، ص ٥٤-١٠٣)، [بالروسية].

<sup>٢١</sup> باعتماء أوكتست فلوكل، ٧ أجزاء، ليبسك-لیدن، ١٨٥٨-١٨٣٥، وهناك طبعة بولاق بجزئين، القاهرة، ١٢٧٤هـ، طبعة الاستانة، بجزئين، (١٣١١-١٣١٠هـ) و ١٩٤٥-١٩٤٧م.

<sup>٢٢</sup> بيروت، ١٩٥٩.

<sup>٢٣</sup> الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٠.

دار الكتب المصرية، فهرس الكتب العربية التي وردت الدار<sup>٢٤</sup>، برنارد دورن، الانتخابات البهية من الكتب العربية والفارسية والتركية فيما يتعلق بتاريخ طبرستان وكيلان<sup>٢٥</sup>، آ. آ. سمينوف، وصف المخطوطات التاجيكية والفارسية والعربية والتركية الموجودة في المكتبة الأساسية لجامعة آسيا الوسطى التي تحمل اسم لينين<sup>٢٦</sup>، عبد الحسين شرف الدين، مؤلفو الشيعة في صدر الإسلام<sup>٢٧</sup>، عبد السلام محمد هارون، نوادر المخطوطات<sup>٢٨</sup>، نجيب العقيقي، المستشرقون<sup>٢٩</sup>، كوركيس عواد، خزانة الكتب القديمة في العراق منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة<sup>٣٠</sup>، واقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم<sup>٣١</sup>، يوسف العش، فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية، التاريخ وملحقاته<sup>٣٢</sup>، روسيي پارث، الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية: المستشرقون الالمان منذ تيودور نولدكه<sup>٣٣</sup>، آ.

### بنکهی زین

[www.zheen.org](http://www.zheen.org)

<sup>٢٤</sup> (٨) أجزاء، القاهرة ١٩٤٢.

<sup>٢٥</sup> بتربورغ، ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م.

<sup>٢٦</sup> طاشقند، ١٩٥٦م، [بالروسية].

<sup>٢٧</sup> النجف، ١٣٨٥هـ.

<sup>٢٨</sup> جزءان، القاهرة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م و ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م.

<sup>٢٩</sup> (٣) أجزاء، مصر، ١٩٦٥م.

<sup>٣٠</sup> بغداد، ١٩٤٨م، ١٩٥٤م.

<sup>٣١</sup> ببغداد، ١٩٨٢م.

<sup>٣٢</sup> دمشق، ١٩٤٧م.

<sup>٣٣</sup> ترجمة د. مصطفى ماهر، القاهرة، ١٩٦٧.

س. فلتون و آ. جي. إلس، ذيل فهرس المتحف البريطاني الخاص بالكتب العربية المطبوعة<sup>٣٢</sup>، كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين ترجم مصنفي الكتب العربية<sup>٣٣</sup>، مجلة سومر<sup>٣٤</sup>، مجلة المورد<sup>٣٥</sup>، أ. يو. كراتشковسكي، مع المخطوطات العربية<sup>٣٦</sup>، في اعداد موجز بالمصادر العربية لتأريخ اوربا الشرقية والقفقاس وآسيا الوسطى<sup>٣٧</sup>، المؤلفات المختارة<sup>٣٨</sup>، الاستعراب في الاتحاد السوفياتي خلال (٢٨) سنة (١٩١٧-١٩٤٥) (الدراسات العربية في الاتحاد السوفياتي<sup>٣٩</sup>، تاريخ الادب الجغرافي العربي<sup>٤٠</sup>، المجمع العلمي السوفياتي، فهرس المخطوطات العربية - قسم التاريخ - لمعهد شعوب آسيا<sup>٤١</sup>، فهارس

<sup>٣٢</sup> ب لندن، ١٩٢٦م، [بالإنكليزية].

<sup>٣٣</sup> (٧) اجزاء، دمشق، ١٩٥٧-١٩٥٩م.

<sup>٣٤</sup> اعداد متفرقة.

<sup>٣٥</sup> عدة مجاميع في اعداد متفرقة.

<sup>٣٦</sup> دار التقدم، موسكو، ١٩٦٣، [باللغة العربية].

<sup>٣٧</sup> (سجلات معهد الاستشراق التابع لمجمع العلوم السوفياتي، المجلد ١١ ١٩٣٢م، ص ٥٥-٦٢)، [بالروسية].

<sup>٣٨</sup> (٥) مجلدات، موسكو-لينينغراد، ١٩٥٥-١٩٥٨، [بالروسية والعربية].

<sup>٣٩</sup> بغداد، ١٩٤٦، ص ٢١-٣٧.

<sup>٤٠</sup> ترجمة صالح الدين عثمان هاشم، جزءان، القاهرة، ١٩٦٣، ١٩٦٥م، اما اصل الكتاب [بالروسية]، موسكو - لينينغراد، ١٩٥٧.

<sup>٤١</sup> النشرة ٣، موسكو، ١٩٦٥م، [بالروسية].

مكتبة المثنى ببغداد، خلدون الوهابي، مراجع تراجم الادباء<sup>٤٢</sup>، د. يوسف عزالدين، مخطوطات عربية في مكتبة صوفيا الوطنية البلغارية<sup>٤٣</sup>، فؤاد سرزيكين، تاريخ التراث العربي<sup>٤٤</sup>، د. صلاح الدين المنجد، معجم المخطوطات المطبوعة بين سني(١٩٥٤-١٩٦٠)<sup>٤٥</sup>، عبدالجبار عبدالرحمن، دليل المراجع العربية والمصرية<sup>٤٦</sup>، وفهرست المطبوعات العراقية (١٨٥٦-١٩٧٢)<sup>٤٧</sup>. عبدالكريم الامين وزاهدة ابراهيم، دليل المراجع العربية<sup>٤٨</sup> نكتفي بهذا القدر لأن المجال لايسع لأن ذكر اكثر.

#### بعض ماكتب عن قدامة بن جعفر وعن الخراج:

نظراً لضئالة المقدمة التي وضعها السيد المحقق عن قدامة وعن كتاب الخراج أرتينا أن نأتي ببعض ماكتب عن المؤلف وعن كتابه ومايتعلق بهما في المصادر والمراجع: زين [www.zheen.org](http://www.zheen.org)

<sup>٤٢</sup> بغداد، ١٩٥٦م (الجزء الاول)، ١٩٥٧م، (الجزء الثاني).

<sup>٤٣</sup> بغداد، ١٩٦٨م.

<sup>٤٤</sup> ترجمة: د. فهمي ابو الفضل، المجلد الاول، القاهرة، ١٩٧١م.

<sup>٤٥</sup> بيروت، ١٩٦٢م.

<sup>٤٦</sup> ط١، البصرة، ١٩٧٠م.

<sup>٤٧</sup> الجزء الاول، البصرة، ١٩٧٨م.

<sup>٤٨</sup> ج١، بغداد، ١٩٧٠م.

- (١) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت ٩٥٩/٥٣٨٥ م) وقيل بعد سنة ٩٣٩هـ في كتابه الفهرست، عن قدامة بن جعفر: ((وهو قدامة بن جعفر وكان نصراً وأسلم على يد المكتفي بالله وكان قدامة أحد البلاء الفصحاء وال فلاسفة الفضلاء ومن يشار اليه في علم المنطق وكان ابوه جعفر من لا تفكر فيه ولا علم عنده وله من الكتب كتاب الخراج شمان منازل واضاف اليه تاسعة كتاب نقد الشعر، كتاب صابون الغم، كتاب صرف الهمم، كتاب جلاء الحزن، كتاب درياق الفكر، فيما عاب به أبا تمام كتاب السياسة كتاب الرد على ابن المعترز كتاب حشو حشاء الجليس كتاب رسالة في أبي علي ابن مقلة ويعرف بالنجم الثاقب كتاب صناعة الجدل كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر)<sup>٤٨</sup>. وعن اهتمامات قدامة في الفلسفة والمنطق كتب ابن النديم ايضاً: ((... الكلام على السمع بتفاسير جماعة فلاسفة متفرقين وجد تفسير فرفوريوس الاولى والثانية والثالثة والرابعة .. ولابي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة تفسير بعض المقالة الاولى من السمع))<sup>٤٩</sup>.
- (٢) كتاب ياقوت الحموي (الروماني)، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) عن قدامة (وهو ينقل عن ابن النديم بشكل

---

<sup>٤٨</sup> تحقيق فلوكل، ليبنك، [١٨٧١-١٨٧٢م، مصورة بالاوفسيت، بيروت، ١٩٦٥م]، ص ١٣٠، (سترد الاشارة الى هذه الطبعة احياناً بـ F1 ن.م.، ص ٢٥٠، وكتب الادلة ونقلنا الاولى كما يجب.

اساسي وعن ابن الجوزي وغيرهما بتحفظ) في كتابه معجم الادباء المعروف بـ(ارشاد الاربيب الى معرفة الاديب)<sup>٥٩</sup> [سنستعمل ارشاد الاربيب- فيما بعد] قال فيه: ((قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب ابو الفرج كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله وكان احد البلاء الفصحاء وال فلاسفة الفضلاء ومنمن يشار اليه في علم المنطق وكان أبوه جعفر من لا يفكر فيه ولا علم عنده. وذكر ابو الفرج ابن الجوزي في تاريخه: قدامة بن جعفر بن قدامة ابو الفرج الكاتب له كتاب في الخارج وصناعة الكتابة وقد سأله ثعلباً عن اشياء. مات في سنة ٤٣٧هـ في ايام المطبيع وانا لا اعتمد على ما تفرد به ابن الجوزي لانه عندى كثير التخليط ولكن آخر ما علمنا من أمر قدامة ان ابا حيان ذكر انه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة ابي سعيد السيرافي ومن المنطقي في سنة ٤٣٠هـ. قال محمد بن اسحاق وله من الكتب: كتاب الخارج تسع منازل كان ثمانية منازل فأضاف اليه تاسعاً. كتاب نقد الشعر. كتاب صابون الغم، كتاب صرف الهمم، كتاب جلاء الحزن، كتاب درياق الفكر، كتاب السياسة، كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به ابا تمام. كتاب حشو حشاء الجليس، كتاب صناعة الجدل، كتاب<sup>٦١</sup> الرسالة في ابي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب. كتاب نزهة القلوب وزاد

<sup>٥٩</sup> تحقيق د. س. مرغليوث، ط٢، القاهرة، ١٩٣٠، ٢٠٣/٦، ٢٠٥-٢٠٣، تسلسل الترجمة (٥٩).

<sup>٦١</sup> كتب في هامش ص٢٠٤: لم يذكره صاحب الفهرست (ص١٣٠).

المسافر. كتاب زهر الربيع في الاخبار<sup>٥٢</sup>. وبلغني عن بعض متعاطي علم الادب انه شرح المقامات الحريرية فقال عند قوله (ولو أتي بلاغة قدامة) <sup>٥٣</sup> ان قدامة بن جعفر كان كاتباً لبني بويه وجهل في هذا القول فإن قدامة كان اقدم عهداً<sup>٥٤</sup>. ادرك زمن ثعلب والمبرد وأبي سعيد السكري وأبن قتيبة وطبقتهم والادب يومئذ طرى فقرأ واجتهد وبرع في صناعتي البلاغة والحساب وقرأ صدراً صالحأ من المنطق وهو لائح على ديباجة تصانيفه وأن كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الان واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر وصنف في ذلك كتاباً منها كتاب نقد الشعر له وقد تعرض ابن بشر الامدي الى الرد عليه فيه<sup>٥٥</sup>، وله كتاب في الخارج رتبه مراتب واتى فيه بكل

<sup>٥٢</sup> كتب في هامش ص ٤٢٠: لم يذكره صاحب الفهرست (ص ١٣٠).

<sup>٥٣</sup> ذكر في هامش ص ٤٢٠: في الديباجة [www.zheem.com](http://www.zheem.com)

<sup>٥٤</sup> لم يشر ياقوت الحموي في كلامه الى شارح كتاب المقامات الحريرية ولا بد انه عنى في قوله المطربزي، ناصر بن عبدالسید ابی المکارم بن علی، ابو الفتح، برهان الدين الخوارزمي (ت ٦١٠ هـ/ ١٢١٣ م). كان اديباً عالماً باللغة ومن فقهاء الحنفية. ذكر خيرالدين الزركلي: "من كتبه الايضاح - مخطوط - في شرح مقامات الحريري، انتقد ياقوت (في معجم البلدان) بعض ماجاء فيه من التعريف بأسماء الاماكن ولم يسمه، الاعلام، ٣١١/٨.

<sup>٥٥</sup> والامدي معروف فهو ابو القاسم الحسن بن بشير بن يحيى متوفى ٩٨٠ هـ/ ١٥٥٠ م. عالم جيد التأليف قال عنه ابن النديم انه (يتغاطى مذهب الجاحظ فيما يعمله من الكتب)، الفهرست، ص ١٥٥، وذكر له ياقوت عدة مؤلفات من بينها: (كتاب يبين غلط قدامة بن

ما يحتاج الكاتب اليه وهو من الكتب الحسان الى غير ذلك من الكتب ولم يزل يتردد في أوساط الخدم الديوانية بدار السلام الى سنة (٢٩٧هـ) فان الوزير ابا الحسن بن الفرات لما توفي اخوه ابو عبدالله جعفر بن محمد بن الفرات في يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة (٢٩٧هـ) وكان اسن من أخيه ابي الحسن بن محمد الوزير بثلاث سنين رد ما كان اليه من الديوان المعروف بمجلس الجماعة الى ولده ابي الفتح الفضل بن جعفر واليه ديوان المشرق ثم ظهر له بعد ذلك اختلال من النواب فولاه ولدته ابي احمد المحسن واستخلف المحسن عليه القاسم بن ثابت وجعل قدامة بن جعفر يتولى مجلس الزمام في هذا الديوان وبانت عند ذلك صناعة المحن وأثار من جهة العمال اموالاً جليلة<sup>٥٦</sup>).

(٣) أورد السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، [ت ٢٠٢ هـ ١٤٩٧ م] في كتابه، الاعلان بالتبسيخ لمن ذم التاريخ<sup>٥٧</sup>، نصاً للمسعودي بحق قدامة بن جعفر. لم استطع العثور عليه في مؤلفات المسعودي، كما لم

جعفر في كتاب نقد الشعور، ارشاد الاربيب، ط٢، القاهرة، ١٩٢٧، ٥٨/٣، وعن الامدي انظر: الاعلام، ١٩٩/٢.

<sup>٥٦</sup> ارشاد الاربيب، ٦-٢٠٥-٣، تسلسل الترجمة (٥٩).

<sup>٥٧</sup> حققه وعلق عليه بالانكليزية فرانز روزنتال، ترجم التعليقات والمقدمة وشرف على نشر النص د. صالح احمد العلي، بغداد، ١٩٦٣، وكتاب الاعلان بالتبسيخ لمن ذم التاريخ للسخاوي هذا منشور ايضاً ضمن مؤلف فرانز روزنتال، علم التاريخ عند المسلمين [يشار اليه في الهاشم رقم (١٠) اعلاه] ص ٣٧١-٣٧٥.

يترك فرانز روزنتال، الذي حقق كتاب الاعلان بالتوقيخ، ولا الدكتور صالح احمد العلي الذي ترجم التعليقات وأشرف على نشر النص، في أيّ مؤلف للمسعودي النص الذي اشار اليه السحاوي. والنص هو كالتالي: ((قدامة بن جعفر، ابو الفرج الكاتب، قال فيه المسعودي انه كان حسن التأليف بارع التصنيف موجز الالفاظ مقرباً للمعاني وأنظر لكتابه زهر الربيع والخرج تحقق هذا)).<sup>٥٨</sup>

ان كتاب السحاوي، الاعلان بالتوقيخ لمن ذم التاريخ، منشور ايضاً ضمن مؤلف فرانز روزنتال: علم التاريخ عند المسلمين<sup>٥٩</sup>، من ص (٣٧١-٣٧٥) من الترجمة العربية وهو خلو من اية اشارة الى مؤلفات المسعودي التي اقتبس منها السحاوي النص المذكور اعلاه. لقد ذكر السحاوي نصاً لقدامة بن جعفر في موضوع التاريخ في كتابه الاعلان بالتوقيخ<sup>٦٠</sup>. جاء فيه: ((قال ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب في كتاب (الخرج) له (تاریخ كل شئ آخره) فيؤرخون بالوقت الذي فيه حوادث مشهورة))<sup>٦١</sup> وقد علق فرانز روزنتال على هذا النص في الهامش رقم (٧) بقوله: ((عاش قدامة حوالي سنة ٩٠٠م)) (انظر بروكلمان، ج١، ص٢٢٨، ياقوت ارشاد، ج١٧، ص١٢ فما بعد طبعة

<sup>٥٨</sup> الاعلان بالتوقيخ، ص٣٢٥، نفس المصدر، ضمن كتاب علم التاريخ عند المسلمين، ص٦٩٣.

<sup>٥٩</sup> انظر اعلاه الهامش (٥٧) والهامش (١٠).

<sup>٦٠</sup> ص١٥-١٦، وعلم التاريخ عند المسلمين، ص٣٨٣-٤.

<sup>٦١</sup> الاعلان، ص١٥-١٦، علم التاريخ، ص٣٨٣-٤.

القاهرة، ج٦، ص٢٠٣-٥ (طبعة مرجليلوث): لم استطع ان اجد هذا المقتطف من الاجزاء المطبوعة من كتاب الخراج او مخطوطة باريس ١٣٢٩ ar ٥٩٠٧ ومع هذا فأنظر: تاريخ دمشق، ج١، ص١٨ (دمشق ١٣٢٩) فما بعد) حيث يذكر ان هذا النص مأخوذ من قدامة ولعل هذا التاريخ هو (زهر الربيع) الذي يقول المسعودي انه من كتب قدامة (انظر الاعلان ١٥٦)، ياقوت ارشاد، ج١٧، ص١٢، طبعة القاهرة، ج٦، ص٤٢ طبعة مرجليلوث ولكنه غير مذكور في الفهرست ص ١٨٨ (طبعة القاهرة ١٣٠٤ طبعة فلوجل). وقد نقل عن الجوهرى وقدامة، ابن الدوادارى في كنز الدرر (مصور القاهرة: تاريخ ٢٥٧٨ ج١ ص٨١ فما بعد، كما نقل عن قدامة فقط عبد الله بن الفضل اللخمي في (واسطة الادب) مخطوطة باريس رقم ar6497fal14b .<sup>٦٢</sup>

(٤) كتب المستشرق السوفيتى أ. يو. كراتشковفسكى عن قدامة وعن مؤلفه في أماكن عدة من عمله الجليل، تاريخ الادب الجغرافي العربي<sup>٦٣</sup>، نورد البعض منه لاهمية ما يحتوي من استنتاجات. قال كراتشkovفسكى: ((وإذا كان ابن رسته فارسيًّا فقد كان قدامة بن جعفر آرامياً فهو ينتمي إلى أسرة مسيحية من عمال الدولة اقامت بالبصرة وكانت مقرّة إلى العباسيين، ولم يعتنق قدامة الإسلام إلا بعد الحاح شديد من جانب الخليفة المكتفي (٩٠٢/٥٢٩٥-٥٢٨٩)).<sup>٦٤</sup>

<sup>٦٢</sup> الاعلان، ص١٥-١٦، علم التاريخ، ص ٣٨٤.

<sup>٦٣</sup> الجزء الاول، ص١٠٦، ١٣٤، ١٣٩، ١٦٥-١٦٦، ٢٠١، ٢٨١، ٢٨٨.

٩٠٨م)، وكان من جراء ذلك ان انفسح امامه الطريق الى المناصب العليا فشغل في اواخر ايام حياته منصب صاحب البريد. ولم يكن هذا هو الشبه الوحيد الذي يربطه بابن خردانة بل ان جميع نشاطه وميوله الادبية تذكرنا بذلك المؤلف. فهو قد جمع بين العمل الاداري والاهتمام بالمسائل الادبية البحتة وترك لنا بضعة مؤلفات. وفي احدى هذه المؤلفات يقدم لنا نظرية جريئة في الشعر على طراز ما فعله ابن المعتز. ينعكس فيها تأثير الفلسفة اليونانية التي من الجائز ان قدامة كان على معرفة بها وفقاً لتقاليد اسرته. وتاريخ وفاته غير معروف على وجه التحديد ويتأرجح بين عامي ٩٢٢/٥٣١٠ و ٩٤٨/٥٣٧<sup>٦٤</sup>، ومن المحتمل ان يكون وسطاً بين هذين التارixin.

وليس لقدامة مصنف جغرافي بالمعنى الدقيق بل لديه مدخل من اجل عمال الدولة هو (كتاب الخراج وصنعة الكتابة). وليس في الاستطاعة الحكم عليه ككل، وقد تم تأليفه على ما يبدو حوالي عام ٩٢٨/٥٣١٦<sup>٦٥</sup>، وكان يتكون من ثمانية اقسام لم يصلنا منها سوى اربعة فقط تمثل الجزء الثاني من الكتاب، وقد نشر من بينها الشطر الذي يتعلق بالخارج. اضف الى هذا ان حالة المخطوطة

<sup>٦٤</sup> ن. م.، ١٦٥/١ وذكر في الهاشم رقم (٥٧)، ص ١٧٥ سوء فهم لدى Brochelmann GAL, SBI, P. ٤٠٦, No ٨

<sup>٦٥</sup> ن. م.، ١٦٥/١ وأشار في الهاشم رقم (٥٨)، ص ١٧٥، الى: Nallino, ١١ Valore, P. ٥٦, Hudud, P. ١٦٨.

لاتبعث كثيراً على الرضا فقد وجدت طريقها اليها من حين لآخر ملاحظات توضيحية اضافها اليها النسخ<sup>٦٦</sup>. والجزء الذي في متناول اليدى الان يذكر كثيراً بكتاب ابن خرداذبة فقد انصب اهتمامه الاساسى على وصف طرق البريد والولايات مع ايراد معلومات هامة عن تقسيم الاراضي وجبایة الخراج، كما يوجد به استطراد في تاريخ الفتوحات الاسلامية يستند على البلاذري. وترد في صلب العرض معلومات من محیط الجغرافيا الرياضية وأوصاف الجبال والانهار والاقاليم السبعة كما يولي اهتماماً كبيراً لجiran العالم الاسلامي. وعلى العموم فمن الافضل اعتبار القسم المطبوع من كتاب قدامة بمثابة تتمة هامة لابن خرداذبة إذ كثيراً مايساعد في تحقيق نقاط عديدة فيه لانه يعتمد في اغلب الاحوال على الوثائق الرسمية لذلك العهد. وقد وضحت اهميته الكبرى في هذا المجال من ابحاث العلامة اسبرنجر Sptrnhrt (١٨٦٤).

ومقدمة القسم المطبوع من كتابه تعطي فكرة جلية عن وجهة نظر المؤلف والغاية التي استهدفها والخطة التي سار عليها<sup>٦٧</sup>، وهي تسمح بتقدير دور البريد في الدولة العباسية، وهو الغرض الرئيس من كتابي ابن خرداذبة وقدامة<sup>٦٨</sup>.

<sup>٦٦</sup> ن.م.، ١٦٥/١ وأشار في الهامش رقم (٥٩)، ص ١٧٥ الى: Hudud, P. ٢٩١, nte ٢

<sup>٦٧</sup> ن.م.، ١٦٦/١ وأشار في الهامش رقم (١٠) ص ١٧٥، الى قدامة بن جعفر، BGA, VI، ص ١٨٤-١٨٥ (المتن)، ص ١٤٤-١٤٥ الترجمة، Blachere, P. ٥٥-٥٧.

<sup>٦٨</sup> ن.م.، ١٦٥/١.

وبعد ان يورد كراتشковسكي مقطعاً من مقدمة الجزء المطبوع من كتاب الخراج لقدامة الذي تحدث فيه عن اهمية دور صاحب البريد، يقول كراتشковسكي: ((في هذا المقدمة ينظر مرة اخرى كيف استحدثت المطالب الدنيوية على تأليف الاوصاف الجغرافية التي انضمت الى الجغرافيا الفلكية لتقديم لنا عرضاً عاماً شاملًا متربّط بالحلقات ابتداء من القرن التاسع))<sup>٦٩</sup>.

يورد كراتشковسكي معلومات مهمة عن مصادر معلومات قدامة عن البلدان الاجنبية، فيقول: ((ومن اهم الحوادث التي ساعدت على توسيع مدارك العرب عن اقطار الغرب في عهد الواشق كان بلاشك حادث افتراك مسلم بن ابي مسلم الجرمي<sup>٧٠</sup> من اسر البيزنطيين. ولسنا على بينة من حقيقة اسمه إذ يمكن قراءته الحُرمي كما حدث احياناً، او بصيغة اخرى. أما عن شخصه فلا يعرف سوى هذه القصة المتعلقة بطلاق سراحه والتي حفظها لنا المسعودي، وهي تمثل اهمية ليست بالضئيلة: [ثم ينقل القصة عن الفداء الثالث فداء خاقان في خلافة الواشق بالخامس في المحرم سنة ٢٢١ [الموافق سبتمبر ٨٤٥).. ح. ق. العزيز].. غير ان الاهمية الجوهرية بالنسبة لنا في هذه القصة هو القول بوجود مصنفات للجريمي، وبالطبع لو كان قد تبقى لنا شئ منها لاستطعنا بلا ريب ان نصدر الحكم على

<sup>٦٩</sup> ن.م.، ١٦٦/١.

<sup>٧٠</sup> ن.م.، ١٣٤/١٢ وأشار في الهاشم رقم (٩٥) ص ١٤٩ الى: Brechelmann GAL, SBI, P. ٤٠٤.

كثير من المسائل المتصلة بتطور المعلومات الجغرافية عند العرب، إلا أننا مع الأسف لانعرف في الحقيقة من جميع مصنفاته سوى شذرة واحدة لا يعتور الشك صحة نسبتها إلى الجرمي وهي المتعلقة بتعدد الولايات البيزنطية [Themata] أو البنود كما يسميها العرب - المترجم] وما يرتبط بذلك من وصف نظم تلك الدولة. وقد حفظ لنا هذه القطعة ابن خرداذبة ويرجع تأريخها إلى عام ٨٨٥م<sup>٧١</sup>).

وأغلب الظن أن المعلومات التي يوردتها قدامة<sup>٧٢</sup> عن بيزنطة ترجع إلى الجرمي خاصة وأنه توجد من بينها اشارات إلى أوقات الاغارة على آسيا الصغرى<sup>٧٣</sup> الامر الذي نوه إليه المسعودي عند كلامه على مصنفات الجرمي. ومسألة الجزم بوجود مقتطفات وشذرات لدى المؤلفين المتأخرين نقلوها عن مصادر قديمة مفقودة أو مجهولة العناوين من أصعب المسائل وأعسرها، وقد أحسن بعض العلماء، خاصة ماركفارت Markwart، بميل شديد إلى أن ينسبوا إلى مسلم الجرمي جميع ما أورده الجغرافيون العرب بصدق

<sup>٧١</sup> ن.م.، ١٣٤/١، وأشار في الهاشم رقم ٩٨، ص ١٥٠، إلى: ابن خرداذبة BGA، ص ١٠٥-١١٣، الترجمة ص ٧٧-٨٦.

<sup>٧٢</sup> ن.م.، ١٣٤/١، وأشار في الهاشم رقم ٩٩، ص ١٥٠ إلى شرحه ص ٢٥٥-٢٥٩، الترجمة ص ١٩٦-١٩٩.

<sup>٧٣</sup> ن.م.، ١٣٤/١، وأشار في الهاشم رقم ١٠٠، ص ١٥٠، إلى شرحه، ٢٦٩.

الموضوعات التي ذكرها المسعودي عند كلامه على الجرمي<sup>٧٤</sup>. والامر الوحيد الذي لا يتطرق اليه الشك هو ان مصنفاته كانت مصدراً هاماً للغاية في معرفة العرب بالدولة البيزنطية بل وتقديم لنا لأول مرة معلومات مباشرة ومفصلة عن الصقالبة<sup>\*</sup> وجيرانهم. ويمكن ان نقرر وفقاً لرأي بارتولد ان مادته قد تناقلها جميع الجغرافيين المتأخرين حتى القرن الثالث عشر في جميع العالم الاسلامي<sup>٧٥</sup>. دون ان يشيروا الى مصدرها. ويظهر ان تسمية البحر الاسود ببحر الخزر ترجع اليه، وهو قد عرف الصقالبة كجيران لمقدونيا من ناحية الغرب وميز عنهم البرجان او بلغار الطونة كجيران لترacia من ناحية الغرب ولمقدونيا من ناحية الشمال<sup>٧٦</sup>.

ويتطرق كراتشوفسكي الى معرفة العرب بالطريق البري الذي يخترق آسيا الوسطى الى الصين فيقول: ((والى نفس هذا العهد المبكر [يقصد القرن السابق للقرن التاسع ح. ق. العزيز] ترجع اول معرفة للعرب بالطريق البري الذي يخترق آسيا الوسطى الى الصين، وذلك

<sup>٧٤</sup> ن.م.، ١٣٤/١، واشار في الهاشم رقم ١٠١ ص ١٥٠ الى حدود العالم ص ٤٩، ٤٢٢-٤٢٣ الخ راجع:

Mankwant, Stheifuje, P. ٢٨ etc

\* الصقالبة: أطلق على الشعوب السلافية التي تقطن وسط جنوب اوروبا من قبل المؤرخين المسلمين.

<sup>٧٥</sup> ن.م.، ١٣٥/١، واشار في الهاشم رقم ١٠٢، ص ١٥٠ الى: (حضرها للطبع وعلق عليها كوفالفسكي) bartold,sv,I, ٧٠٧٠

<sup>٧٦</sup> ن.م. ١٣٤/١، ٠-

اعتماداً على الوصف الذي يقدمه تميم بن بحر المطوعي. وكما يتبيّن من نسبته فإنه لم يكن تاجراً أو عالماً بل انتهى إلى فئة المتطوعة من جنود التغور الإسلامية الذين كثُر عددهم على تخوم الخلافة خاصة في آسيا الوسطى. وقد توجه تميم إلى خاقان الترك التغزغز بمهمة دبلوماسية على ما يظهر ويرجع بارتولد تأريخ هذه الرحلة مع بعض التردد<sup>٧٧</sup> إلى الحقبة بين عامي (٨٠٠ و ٧٦٠)<sup>٧٨</sup>. وحفظ لنا ياقوت<sup>٧٩</sup> أهم قطعة من هذه الرحلة امكناً بوساطتها الاستدلال على شخصية المؤلف الذي ترجع إليه القطعتان المجهولتا المؤلف في معجم ياقوت وكتاب ابن خرداذبة<sup>٨٠</sup>، وبهذا فإنَّ الأخير هو أول جغرافي عربي يحفظ لنا وصف الطريق البري إلى الصين<sup>٨١</sup>. ويمكن أيضًا تتبع أثر تميم عند بعض الجغرافيين مثل أبي دلف وقدامة<sup>٨٢</sup> بل وحتى عند

<sup>٧٧</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٣٩ ص ١٥١ إلى Barthold toghuzghuz، P. ٨٧٣.

<sup>٧٨</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٠، ص ١٥١، إلى Barthold Vorlesungen، P. ٥٤.

<sup>٧٩</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤١، ص ١٥١، إلى ياقوت، المعجم، الجزء الأول، ص ٨٤٠.

<sup>٨٠</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٢، ص ١٥١، إلى ياقوت، المعجم، الجزء الرابع، ص ٨٢٣ = ٣٠-٣١ BGA, V, p. ٣٠-٣١

<sup>٨١</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٣، ص ١٥١، إلى Barthold, Vorlesungen, P. ٥٤

<sup>٨٢</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٤، ص ١٥١ إلى Hudud, P. ٢٦٨

الادرسي<sup>٨٣</sup>. وتميم هو اول عربي يمدنا بمعلومات عن التغزّز تستند على معرفة مباشرة بهم في ديارهم<sup>٨٤</sup>. وهو الى جانب الاخبار الطريقة عنهم وعن غيرهم من القبائل التركية الاخرى يصف لنا عاصمة التغزّز خامچو kan-chou قرب طُرفان<sup>٨٥</sup> Twrfan. وقد ورد لديه ايضاً ذكر لحجر المطر عند الترك، الامر الذي دفع ياقوت بهذه المناسبة الى نقل الرواية الاكثر تفصيلاً والمؤخوذة عن المرزوبي الذي مر ذكره<sup>٨٦</sup>. والغرض الذي نادى به ماركفارت وهو ان تميم قد زار الاويغور على نهر الارخون Orkhon قبل هجرتهم منه<sup>٨٧</sup> قد ثبتت صحته في الاونة الاخيرة بعد الاطلاع على مخطوطة ابن الفقيه التي عُثر عليها بمشهد، فهي تورد لنا قصة تميم بصورة اوفى مما لدى ياقوت<sup>٨٨</sup>).

<sup>٨٣</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٥، ص ١٥١ الى: شرحه، ص ٢٦٩.

<sup>٨٤</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٦، ص ١٥١ الى: شرحه، ص ٢٦٨، حدود العالم، ص ١.

<sup>٨٥</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٧، ص ١٥١، الى: حدود العالم، ١٩.

<sup>٨٦</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٨، ص ١٥١ الى: ياقوت، المعجم، الجزء الاول، ص ٨٤٠-٨٤٢.

<sup>٨٧</sup> ن.م.، ١٣٩/١، وأشار في الهاشم رقم ١٤٩، ص ١٥١، الى: Markwart, Stheifzuge, P. ٨١.

<sup>٨٨</sup> ن.م.، ١٣٨/١، ١٣٩-١٣٨، وقد اشار في الهاشم رقم ١٥٠، ص ١٥١، الى: ابن الفقيه، مخطوطة مشهد، ص ١٦٩-١٧٠.

Hudud, P. ٤٨١-Validov-gran, P. ٢٤١-٢٤٢.

(٥) جاء في كتاب تاريخ الادب العربي للمستشرق كارل بروكلمان<sup>٨٩</sup> عن قدامة بن جعفر وعن مؤلفاته ما يأتي: ((أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، وكان نصرانياً وأسلم على ايدي المكتفي (٢٨٩-٩٠٢/٥٢٩٥م)، صنف عدة كتب أدبية الى جانب كتابه عن الخارج. ومن المحتمل انه توفي سنة ٩٢٢/٣١٠ م<sup>٩٠</sup> كما يرى دى خويه<sup>٩١</sup> وفي قول انه توفي سنة (٩٤٨/٣٢٧ م<sup>٩٢</sup>، ويقول ابن تغري بردي انه توفي (٣٣٧ م<sup>٩٥٨</sup>). وأبوه<sup>٩٤</sup> مذكور في تاريخ بغداد للخطيب (٢٠٥/٧)).

<sup>٨٩</sup> الجزء الرابع، ص ٢٤٢-٢٤٤.

<sup>٩٠</sup> يأخذ بهذا الرأي ايضاً د. صالح احمد العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، في القرن الاول الهجري، ط٢، بيروت، ١٩٦٩، ص ٣٦١.

<sup>٩١</sup> ان دى غوية قد ثبت عام ٣٢٠ هـ على غلاف كتاب المسالك والممالك لابن خردانة ص ١٨٣.

<sup>٩٢</sup> إن عام ٣٢٧ هـ لا يطابق عام ٩٤٨ م، وانما العامين ٩٣٨ م و ٩٣٩ م، انظر: جداول يوسف اوربلي [التي ترجمتها عن الروسية]، المورد، المجلد الثالث، العدد الثالث، ١٩٧٤ م، الجدول ٦٦، ص ٧٥، ولابد ان بروكلمان او المترجم قد وقعوا في هذا الالتباس.

<sup>٩٣</sup> إن عام ٣٣٧ هـ يطابق العامين الميلاديين ٩٤٨ و ٩٤٩ وليس صحيحاً ماورد هنا من أنه يطابق العام ٩٥٨ م، ذلك لأن ما يطابق العام ٩٥٨ م، هما العامان الهجريان ٣٤٦ و ٣٤٧، انظر: جداول يوسف اوربلي، رقم ٦٨، ٧٠، مجلة المورد، ٢/٧٧-٧٦.

<sup>٩٤</sup> تاريخ الادب العربي، ٢٤٣/٤، وذكر في الهاشم هو جعفر بن قدامة بن زياد. لقد اعتمد بروكلمان في دراسته عن قدامة على المصادر والمراجع التي ذكرها في الصفحة

ثم يعدد كارل بروكلمان بعض مؤلفات قدامة التي منها:

١. **كتاب الخراج**: منه تُبَذِّ في المجلد السادس من (المكتبة الجغرافية العربية): يعرض لنظام البريد ثم يصف الارض وصفاً عاماً يعني فيه ببلاد الاسلام وما يجيء منها من المال. وبعد وصف الامم الاجنبية المجاورة وببلادها ينتقل الى ادارة الاموال العامة ونظام الجباية وقانون الادارة. وفيه تاريخ مختصر الفتوح نقل كله من كتاب البلاذری. انظر: V. Kremer, *Cultwrgereh.* ١١, ٤٢٧.

ومنه نسخة مخطوطة في كوبيريلي ١٠٧٦ (Berl. Aim ٦١).

٢. **كتاب نقد الشعر**: الاسكوریال ثان ٢٤٢، ٢/١٤٤٥ (MOSOS ١٤/١٧)، طبع في استانبول سنة ١٣٠٢ هـ. وقد تأثر في هذا الكتاب بالفلسفة والمنطق اليونانيين، ولهذا نجد كتابه أقوم منهجاً من كتابي الجاحظ وأبن المعترن، وهو يحلل أمثلته تحليلًا أدق من تحليلهما، ويحاول استحداث مصطلحات جديدة وأن لم يُقدّر لها الشیوع، انظر کراتشکوفسکی، المرجع المذکور. [يقصد المستشرق السوفیتی أ. بو. کراتشکوفسکی، الذي أوردنا اقواله بحق قدامة

أعلاه ح. ق. العزيز].

٢٤٣ وهي: الفهرست، ص ١٣٠ س ٢٧-٢٠، ياقوت، الارشاد ٦/٢٠٣-٢٠٥، ابن تغري بردي، ط Juynloll ٢٢٢/٢، طبعة القاهرة ٢٩٧/٣.

- M. de slane, Notice pur Codama-et reoecrito, JA, ٥٠٧, T. go P. ١٨٥ff.  
- Reinaud, Geogr. D `Aloulfeda LX, LXXXIV.

- De Goeje, BG VI, ٢٢.  
- Knachlovsky, MO XXII, ٣٥-٣٦.

**٣. كتاب نقد النثر المعروف للبيان:** الاسكوريال ثان ١٤٢/١، نشره طه حسين وعبدالحميد العبادي، القاهرة ١٩٣٣ [جامعة المصرية، مطبوعات كلية الآداب، المطبوع الخامس عشر]. ولا يمكن البت على وجه قاطع فيما اذا كان الكتاب قدامة فعلاً أو جمعه من كتبه القاضي أبو عبدالله محمد بن ابيو الغافقي (المتوفى سنة ٦٦٠/١٢٦٢، انظر ابن البار: التكملة ٢٩٧/١-٢٩٩ ولично دلا فيدا: مجلة الدراسات الشرقية IZV. AK. Noub ١٣١-٣٣٣/١٢RSO سنة ١٩٣٠، ص ٦٢-٧٨). ويتمسك طه حسين في كتابه: من حدث الشعر والنثر، ص ١٢٥ وما بعدها بصحبة نسبة الكتاب الى قدامة، ويجد ان قدامة قدّ فيه كتاب الشعر لارسطو.

**٤. جواهر الانفاظ:** الموصل ٤/٢٠٦، طبع بالقاهرة، سنة ١٩٣٢/١٣٥٩. ومنه نسخة معدلة: آيا صوفيا ١/٤١٩٤ (ريتر)<sup>٩٥</sup>.

**٥. ثمن المستشرق فرانز روزنثال.** في كتابه: علم التاريخ عند المسلمين<sup>٩٦</sup>، مؤلف قدامة بن جعفر في الخارج تثميناً عالياً مبيناً أهميته فيتناول القضايا الاجتماعية والاقتصادية والادارية حيث كتب: ((والعلوم الاجتماعية يمثلها في الاسلام علم الاقتصاد الاغريقى. كانت تبحث في رسائل اغريقية الاصل، او تدخل ضمن مجموعات))<sup>٩٧</sup>. وفي بعض هذه

<sup>٩٥</sup> تاريخ الادب العربي، ٤/٢٤٣-٤.

<sup>٩٦</sup> ١٦٣-١٦٥.

<sup>٩٧</sup> ن.م، ص ١٦٣، انظر الهاشم ٥٤

الموسوعات اجزاء عن التاريخ ايضاً، غير ان بحث التاريخ لم يربط ببحث العلوم الاجتماعية وكثيراً ما اعتبر المؤرخون الامور المالية والضرائب احداثاً هامة، كما أغاروا تاريخ العملة وتبدلاتها التفاتاً كبيراً<sup>٩٨</sup>. وقد راعوا ما للاحصاء الاقتصادي من اهمية تأريخية، وادخلوا مثل هذه الاحصاءات أحياناً في كتب التاريخ، وخاصة التواريخ الدينوية المحلية، كتواريخ بغداد في القرن التاسع والتواريخ الفارسية والمصرية الدينوية المحلية المتأخرة<sup>٩٩</sup>. غير أن مكانها الحقيقي كان في المؤلفات عن الادارة او الخراج او الحكومة والادارة ككتاب قوانين الدوّاين لابن مماتي<sup>١٠٠</sup>.

ففي مثل هذا النوع من الكتب في القرن العاشر نجد نموذجاً بارعاً من التفكير التأريخي والاجتماعي النافذ في النظريات الاقتصادية الاسلامية الا وهو كتاب الخراج لقدامة بن جعفر الذي يختلف عن كتب الخراج الاولى للقاضي ابي يوسف ويحيى بن آدم او كتاب الاموال لابن سلام من حيث ان في قدامة فصلاً طويلاً (خاصاً) عن تاريخ الفتوح الاسلامية. ومن الطبيعي ان الفتوح تقدم الاساس القانوني لنظام الضرائب الاسلامي، كما ان ادلة الفتوح كانت تستنتج من الباحثين في قضايا الضرائب عند اللزوم. غير ان بحث

<sup>٩٨</sup> ن.م.، ص ١٦٣، انظر الهاشمين ٥٥، ٥٦.

<sup>٩٩</sup> ن.م.، ص ١٦٣، انظر الهاشمين ٥٥، ٥٦.

<sup>١٠٠</sup> ن.م.، ص ١٦٤، وذكر في الهاشمن رقم (٥٧): (طبعة عزيز سوريان عطية في القاهرة سنة ١٩٤٣). وابن مماتي كما يذكره الزركلي هو: اسعد (ابو المكارم) بن المذهب (الملقب بالخطير ابي سعيد) بن ميناين زكريا ٥٤٤/١١٤٩ م. الاعلام ٢٩٥/١.

الفتوح ضمن كتب الخراج يقوم على اسس اخرى فقد كان قدامة ي يريد بمزجه دراسة الضرائب بالتاريخ، ان يوسع ميادين البحث التاريخي، كما حدث من منجز الجغرافية بالتاريخ آنذاك مثلاً.

وقد شملت المنزلة الثامنة من كتاب الخراج اثنى عشر باباً: (١) في صدر هذه المنزلة (٢) في السبب الذي احتاج له الناس الى اللباس والكسوة (٣) في السبب الذي احتاج له الناس الى التناسل من أجله. (٤) في السبب الذي احتاج الناس الى المدن والاجتماع فيها (٥) في حاجة الناس الى الذهب والفضة والتعامل بهما وما يجري مجرها (٦) في السبب الداعي الى اقامة ملك واماكن الناس يجمعهم (٧) في ان النظر في علم السياسة واجب على الملوك والائمة (٨) في اخلاق الملك وما يجب ان يكون عليه منها في ذات نفسه (٩) في الخلل التي ينتبه الي ان تكون مع خدام الملك والقرياء منهم (١٠) في اسباب بين الملك وبين الناس اذا تحفظ منها زادت - من - محسنه وانصرفت المعائب عنه وتمكنـت له سياسـته (١١) في استـيـزار الـوزـراء وما يحتاج اليـهـ الملكـ منهمـ وما يلزمـ الملـوكـ لهمـ<sup>١٠١</sup> [ملاحظـةـ: سقطـ الـبابـ الثـانـيـ فيـ السـبـبـ الذيـ اـحـتـاجـ لـهـ النـاسـ إـلـىـ التـغـذـيـ<sup>١٠٢</sup>ـ دونـ انـ يـذـكـرـ ذـكـرـ ذـلـكـ المؤـلـفـ اوـ المـتـرـجـمـ وـحلـ محلـ الـبـابـ الثـالـثـ وـلـهـذاـ لـأـنـجـدـ الرـقـمـ (٣ـ)ـ بـيـنـ الـأـرـقـامـ حـ.ـ قـ.ـ العـزـيزـ].ـ وـمـنـ هـذـاـ يـتـبـيـنـ أـنـ قـدـامـةـ لـمـ يـضـفـ فـصـلـاـ عنـ الفـتوـحـ

<sup>١٠١</sup> ن.م.، ص ١٦٤.

<sup>١٠٢</sup> انظر: كتاب الخراج المحقق من قبل د. الزبيدي، ص ٤٢٥.

فحسب، بل ضمن كتابه أيضاً فصلاً عن الآداب (الفصل التاسع) يتضمن جميع المعلومات التقليدية عن ارسطو والاسكندر وانو شروان..الخ. كما أنه ضمن كتابه فصلاً منتظماً عن العلوم الاجتماعية والسياسية (الفصل الثامن) وهو يتكلم بهذه المناسبة عن سبب حاجة الناس إلى الطعام واللباس والتناسل والمدن بتنظيماتها الاجتماعية والنقود والملوك والقادات الذين ينبغي ان يتحلوا بصفات خاصة ويتبعوا سياسة معينة وتكون لهم مجموعة خاصة من المستشارين السياسيين<sup>١٠٣</sup>.

لا يوجد طريق مباشر يصل بين قدامة في القرن العاشر وابن خلدون في الربع الأخير من القرن الرابع عشر، فأبن خلدون هو أول من حاول استخدام هذه العلوم مجتمعة وتسخيرها لدراسة التاريخ<sup>١٠٤</sup>.

(٦) ذكر نجيب العقيقي في كتابه المستشرقون<sup>١٠٥</sup> بأنَّ للمستشرق باكر [B. Bakker, S. B.] يحتمل أن يكون باقرح. ق. العزيز] مقالة عن قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي في مجلة العالم الإسلامي (ليدن ١٩٥٦)<sup>١٠٦</sup>.

<sup>١٠٣</sup> علم التاريخ، ص ١٦٥، وكتب في الهاشم رقم (٥٨): لقد استعملت مخطوطة باريس (رقم Ar ٥٩٠٧) وهي نسخة حديثة من مخطوطة في استانبول.

<sup>١٠٤</sup> ن.م.، ص ١٦٣-١٦٥.

<sup>١٠٥</sup> ثلاثة أجزاء: الأول، القاهرة، ١٩٦٤، الثاني والثالث، القاهرة، ١٩٦٥.

<sup>١٠٦</sup> المستشرقون، ٢/٦٧٦.

(٨) كتب يوسف اليان سركيس في مؤلفه: معجم المطبوعات العربية والمعربة<sup>١٠٧</sup> عن قدامة بن جعفر، فقال: قدامة بن جعفر ٣١٠ او ٣٢٠: ابو الفرج كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله. وكان احد البلغاء الفصحاء الفضلاء ومن يشار اليه في علم المنطق وكان ابوه جعفر من لا تفكر فيه ولا علم عنده. وذكر ابو الفرج بن الجوزي في تاريخه: قدامة بن جعفر بن قدامة ابو الفرج الكاتب له كتاب في الخارج وصناعة الكتابة وقد سائل ثعلباً عن اشياء. مات في سنة ٣٣٧ وانا لا اعتمد على ما انفرد به ابن الجوزي لانه عندي كثير التخليط. ولكن اخر ما علمنا من أمر قدامة ان ابا حيان ذكر انه حضر مجلس الوزير فضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة ابي سعيد السيرافي ومن المنطقي في سنة ٣٢٠.<sup>١٠٨</sup>

ذكر له صاحب ديوان الاسلام<sup>١٠٩</sup> من المؤلفات: كتاب نقد الشعر وكتاب صابون. وكتاب ترياق الفكر<sup>١١٠</sup> وكتاب نزهة القلوب. [ثم يذكر سركيس مؤلفات قدامة المطبوعة]<sup>١١١</sup>

<sup>١٠٧</sup> جزءان، القاهرة، ١٩٢٨.

<sup>١٠٨</sup> ١٤٩٤/٢، وهو هنا يعتمد كلياً على ياقوت الحموي وان اشار الى ابن النديم، وما ذلك الا ان ياقوتاً اعتمد كثيراً على فهرست ابن النديم، لقد نقل سركيس نص ياقوت بما فيه من خطأ طباعي وقد ابقاء على رسمه، ففي الارشاد ورد (ومتى المنطقي) ونقلها سركيس كذلك (ومتى المنطقي) بينما يجب ان تكون [كما نوردناها] من المنطقي.

<sup>١٠٩</sup> ديوان الاسلام للغزي - مخطوط-. وقد وردت ترجمة الغزي في الاعلام: (الغزي ١٦٨٥هـ/١٧٥٣م) محمد بن عبد الرحمن بن زين العابدين العامري

١. كتاب الخراج، طبع من ضمن المكتبة الجغرافية في الجزء السادس، (ليدن ١٨٩٢)<sup>١١١</sup>.
٢. نقد الشعر، ضمن كتابه عشرين باباً وهي التشبيه والمبالجة والطباقي والجناس ونحو ذلك بما تتفق عليه هو وأبن المعتر وبقية العشرين ما انفرد به قدامة في رسالته<sup>١١٢</sup> (كشف الظنون)، مطبعة الجوائب أستانة ١٣٠٢، ص ٨٩<sup>١١٣</sup>.
- (٩) ذكر خير الدين الزركلي في مؤلفه: الاعلام<sup>١١٤</sup>، قدامة بن جعفر ومؤلفاته المخطوط والمطبوعة والمصادر التي انتقى منها هذه المعلومات<sup>١١٥</sup>. وكتب الزركلي: ((قدامة بن جعفر (...-٥٣٧هـ/...-

الغزي، ابو المعالي شمس الدين: مؤرخ. كان مفتى الشافعية بدمشق. مولده ووفاته فيها. له ديوان الاسلام (مخطوط) وهو تاريخ مختصر للعلماء والملوك وغيرهم، وله شعر فيه رقة. الاعلام، ٢٠/٧ وقد اعتمد على سلك الدرر، في اعيان القرن الثاني عشر، للمرادي [طبع في القاهرة ١٣٠١هـ، اربعة اجزاء]، ٤/٥٣.

<sup>١١٦</sup> في الفهرست لابن النديم والارشاد لياقوت ذكر اسم هذا الكتاب درياق بينما كتبه سركيس ترياق، والدرياق لغة في الترياق.

<sup>١١٧</sup> معجم المطبوعات، ١٤٩٥/٢، والصحيح هو عام ١٨٨٩م وليس عام ١٨٩٢م.

<sup>١١٨</sup> لاشك ان رسالته خطأ طباعي والمقصود رسالته.

<sup>١١٩</sup> معجم المطبوعات، ٢/٤٩٤-٥.

<sup>١١٤</sup> عشرة اجزاء، مع جزئين ملحقين، ط٣، بيروت، ١٩٦٩.

<sup>١١٥</sup> ٦/٣١. ومصادره عن قدامة بن جعفر، هي: (النجوم الزاهرة)، ٣/٢٩٧، وارشاد الاريب، ٦/٢٠٣-٢٠٥، ونقد النثر ٣٣ وجواهر الالفاظ، مقدمته، وابن النديم، ١٣٠، ومجلة المشرق، ١٢/٤٨٤، والمنتظم ٦/٣٦٢، قلت: نقل ياقوت، في ارشاد الاريب،

٩٤٨م) قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي، ابو الفرج، كاتب من البلاء الفصحاء المتقدمين في علم المنطق والفلسفة كان في ايام المكتفي بالله العباسى، واسلم على يده وتوفى ببغداد، يضرب به المثل في البلاغة. له كتب منها: الخراج-طبع قسم منه، ونقد الشعر-طبع و السياسة والبلدان وزهر الربيع في الاخبار والتاريخ ونزهة القلوب والرد على ابن المعتز فيما عاب به (اباتمام)<sup>١١٦</sup>.

لقد اعتمد الزركلي في كتابته عن قدامة على: النجوم الراحلة، ٢٩٧/٣، وارشاد الاربيب، ٥-٢٠٣/٦، نقد النثر، ٣٣، وجواهر الالفاظ، مقدمة، وابن النديم، ١٣٠ ومجلة المشرق، ٤٨٤/١٢، والمنتظم ٣٦٣/٦. وقد أورد تحفظ ياقوت على ما انفرد به ابن الجوزي من ذكر تاريخ وفاة قدامة.

(١٠) ذكر مؤلفا كتاب: دليل المراجع العربية<sup>١١٧</sup>، الجزء الاول، بغداد ١٩٧٠، الاستاذ عبدالكريم الامين والاستاذة زاهدة ابراهيم معلومات عن قدامة عند تناولهما مؤلفيه: نقد الشعر (تسلسل ٣٥٤) ونقد النثر

---

وفاته عن ابن الجوزي في المننظم، وقال: أنا لا أعتمد على ماتفرد به ابن الجوزي، لانه عندي كثير التخليط، ولكن آخر ماعلمنا من أمر قدامة ان ابا حيان ذكر انه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة ابي سعيد السيرافي ومتى المنطقي في سنة ٣٢٠، الاعلام، ٣١/٦، وهو هنا يكرر خطأ ياقوت وسركييس فيما يخص [ومتى المنطقي] والتي هي ومن المنطقي.

<sup>١١٦</sup> الاعلام، ٣١/٦.

<sup>١١٧</sup> الجزء الاول، بغداد، ١٩٧٠م.

(تسلسل ٣٥٥) جاء فيها: ((قدامة بن جعفر ابو الفرج ٣٣٧هـ، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٤٨، ٢٢٣ ص.

اول كتاب تناول نقد الشعر على غير ما الف الناس نقده قبله إذ بين حدّ الشعر وشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وائتلافهما في ابواب النظم المعروفة في عصره وشروط المجاز والتشبّه وكان كتاب نقد الشعر اساساً لمن جاء بعده من الكتاب كالجرجاني وابن الاثير وغيرهما وقد حاول المحقق ضبط هذه الطبعة بحيث تكون خالية من الاخطاء.. ولقدامة مؤلفات كثيرة طبع منها غير هذا الكتاب نقد النثر وكتاب جواهر الالفاظ، يحتاج كتاب نقد الشعر الى كشاف هجائي)).<sup>١١٨</sup>

(قدامة بن جعفر ابو الفرج ٣٣٧هـ-٢٦٥هـ نقد النثر او كتاب البيان. القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٣٧). يعرف قدامة بالكاتب البغدادي وقد نُشرت هذه الرسالة عن نسخة مخطوطة في مكتبة الاسكوريوال في اسبانيا - مدريد وهي النسخة الوحيدة مكتوبة بخط مغربي غير مؤرخة ويقال ان مادة نقد النثر لقدامة وصياغتها لابي عبدالله محمد بن ايوب ويقول بروكلمان انه لا يعرف شيئاً عن ابن ايوب هذا.. ويشك طه حسين وهو مشارك في تحقيق الكتاب مع عبدالحميد العبادي يشك في نسبة الكتاب لقدامة غير ان الشيخ الشنقيطي يقول عنه (كتاب نقد النثر المسمى بكتاب البيان) مما عنى بتأليفه ابو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي وهو كتاب

---

<sup>١١٨</sup> ن.م.، ص٢١٨، تسلسل الترجمة ٣٥٤.

نفيس لانظير له في فنه يحتاج اليه وما وقفت عليه في المشرق وقد الف كتاباً اخر سماه نقد الشعر ولكنه بالنسبة لهذا صغير جداً. ويؤكد العبادي ان الكتاب لقادمة ويدعم هذا التأكيد بان الكتاب يذكر حادثة للتسري<sup>١١٩</sup>، شاهدها قادمة بنفسه وهو معاصر له كما ان اسلوب الكتاب يقارب اسلوب نقد الشعر لقادمة، ويبدو ان اسم الكتاب البيان وضعه قادمة معارضًا كتاب البيان والتبيين للجاحظ ٢٥٥هـ وربما سُمي بنقد النثر مقابلة لكتابه نقد الشعر ولأنه تضمن باباً في نقد المنتور هو اطول الابواب واجودها واما ابن ايوب فقد كان تلميذاً لقادمة بن جعفر.. اشتمل الكتاب كما يقول المؤلف في مقدمة الكتاب: ((وقد ذكرت في كتابي هذا جملًا من اقسام البيان وفقرات من آداب حكماء اهل هذا اللسان لم اسبق المتقدمين اليها وأنما شرحت في بعض قولي ما أجملوه واختصرت في بعض ذلك ما أطالوه وأوضحت في كثير منه ما أوغروه وجمعت في مواضع منه ما فرقوه ليخف بال اختصار حفظه ويقرب بالجمع والايضاح فهمه وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أ Nob)).

والكتاب مُقسّم الى الابواب منها باب قسمة العقل، ذكر وجوه البيان، جرح اللسان كجرح اليد، في ذكر القياس، الخير، الاعتقاد،

<sup>١١٩</sup> لعله يقصد سهل بن عبدالله بن يوشن التسري، ابو محمد، (٢٠٠هـ/١٥٨١هـ)، عنه انظر: ابن الاثير، الكامل، ٥٩/٨، ابن خلكان، وفيات، ٢-١٤٩٢هـ/١٩٦م، (١٥٠)، الترجمة ٢٦٥، الزركلي، الاعلام، ٢١٠/٣، فؤاد سرکین، تاريخ التراث، ١/٢٢٢.

الاشتقاق، العلة من الوحي، الامثال، اللغز، الحذف، وهكذا، وفي نهاية الكتاب دليل الكتاب وهو كشاف هجائي<sup>١٢٠</sup>.

#### تعقيب:

على الرغم من إنفراد مؤلفي (دليل المراجع العربية)، عن بقية المصادر والمراجع التي أوردتها عن قدامة بن جعفر، بذكر تاريخ ولادة قدامة بن جعفر في عام ٢٦٥هـ [الذي يصادف عامي ٨٧٨-٨٧٩م]، مما أستوجب التنويه، فأئمهما. فلو رجعنا إلى نص بروكلمان بخصوص كتاب نقد النثر، الذي اعتمدناه آنفاً تحت الرقم (٥) لوجدناه يذكر بالحرف الواحد: ((ولايتمكن البت على وجه قاطع فيما إذا كان الكتاب لقدامة فعلاً أو جمعه من كتبه القاضي ابو عبدالله محمد بن ايوب الغافقي (ت ٦٦٢هـ/١٢٦٢م) .. ويتمسك طه حسين في كتابه: (من حديث الشعر والنثر) ص ١٢٥ او ما بعدها، بصحة نسبة الكتاب الى قدامة، ويجد ان قدامة قدّ فيه كتاب الشعر لارسطو))<sup>١٢١</sup>.

فنص بروكلمان هذا مغاير في تفاصيله لاستنتاجات مؤلفي دليل المراجع العربية، فان بروكلمان، بتواضع العالم الخبير المتأني، هو الذي قد أبدى تحفظه من الجزم برأي قاطع في قضية لازالت المصادر المتوفرة لاتساعد على تثبيت وجهة نظر محددة بشأنها، تلك هي

<sup>١٢٠</sup> دليل المراجع العربية، ١٢٦٢هـ/٩-١٢٨.

<sup>١٢١</sup> تاريخ الادب العربي، ٤/٢٤٤.

مسألة اصدار رأي قاطع بنصوص كتاب (نقد النثر)، هل هي باجمعها من أملاء قدامة ذاته في مؤلف واحد؟ أم أنها جمعت من كتبه المتفرقة فيما بعد (بعد حوالي ثلاثة قرون) من قبل أبي عبدالله محمد بن أيوب الغافقي القاضي؟، ولاسيما وأن ابن النديم<sup>١٢٢</sup>، وياقوت الحموي<sup>١٢٣</sup> لم يذكرا كتاب نقد النثر من ضمن مؤلفات قدامة الأخرى، مما يرجع نشر كتاب النثر في أيام الغافقي الأخيرة، أي بعد وفاة ياقوت (ت ١٢٦٢هـ/١٢٢٩م) والا كان ياقوت قد ذكره أو أشار اليه، علماً بأن ياقوت قد ذكر في مؤلفه: أرشاد الاربيب خبراً عن الغافقي هذا، حيث قال عنه: عند معرض حديثه عن اللورقي<sup>١٢٤</sup>، القاسم بن احمد بن الموفق الاندلسي المرسي اللورقي (ذكر ياقوت ان القاسم اخبره بأن مولده بحدود سنة ٥٦١هـ/١٢٦٣م)<sup>١٢٥</sup>، بينما ذكر الزركلي بأن ميلاده سنة ٥٧٥هـ/١١٨٠م ووفاته سنة ٦٦١هـ/١٢٦٣م<sup>١٢٦</sup> الذي التقى به ياقوت بمحروسة حلب في سنة ٦٦٨هـ<sup>١٢٧</sup>، بأن القاسم قد قرأ القرآن على أبي عبدالله محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقي. ثم يذكر بعد هذا بأن القاسم بعد أن قرأ عليه القرآن وعلى غيره خرج إلى مصر

<sup>١٢٣</sup> الفهرست، ص ١٣٠، ٢٥٠ .

<sup>١٢٤</sup> أرشاد الاربيب، ٦/٢٠٣-٢٠٥.

<sup>١٢٥</sup> ن.م.، ٦/١٥٢-٣، تسلسل ٤٣، وورد عنه في الاعلام للزرکلی، ٦/٦.

<sup>١٢٦</sup> أرشاد الاربيب، ٦/١٥٢.

<sup>١٢٧</sup> الاعلام، ٦/٦.

<sup>١٢٨</sup> أرشاد الاربيب، ٦/١٥٢.

في سنة ٦٠١هـ<sup>١٢٨</sup>. هذا هو الخبر الوحيد الذي وجدته في ارشاد الاريب عن أبي عبدالله محمد بن ايوب الغافقي. ولو كان نشر الكتاب (نقد النثر) من قبل الغافقي في زمان تأليف ياقوت لكتابه ارشاد الاريب لذكر ذلك -كما اسلفت.-

إن بروكلمان، وهو يكتب بتركيز مكثف جداً، لم يجهل أبا عبدالله الغافقي هذا كما أنه لم يذكر بأنه يجهله بل اعطى تعريفاً موجزاً ولكنه دقيق عنه وذلك عندما ذكر نسبه (الغافقي) ووظيفته (القاضي) وعام وفاته (١٢٦٢هـ/٥٦٦٠م). ولكننا نجد، بالرغم من أن الغافقي هذا هو من رجال القرن السابع الهجري وقدامة ابن جعفر كما نعلم من رجال القرن الرابع الهجري، ان المؤلفين ظلّا خطأً بأنَّ ابا عبدالله محمد بن ايوب (الذى لم يذكرا نسبه ولا وظيفته ولا عام وفاته) هو من تلاميذ قدامة! حيث كتبوا: ((واما ابن ايوب فقد كان تلميذاً لقدامة بن جعفر...))<sup>١٢٩</sup> ومع ذلك فأئمّهما يتهمان ببروكلمان بالقول بأنه لا يعرف شيئاً عن ابن ايوب هذا..<sup>١٣٠</sup> ولاشك عندي انهما قد تسربعا في قراءة جملة بروكلمان: او جمعه من كتبه القاضي ابو عبدالله محمد بن ايوب الغافقي (ت ١٢٦٢هـ/٥٦٦٠م)<sup>١٣١</sup> فظننا انَّ ابا عبدالله محمد بن ايوب هو تلميذ لقدامة دون انْ يفطننا الى البعد

<sup>١٢٨</sup> ن.م.، ١٥٢/٦.

<sup>١٢٩</sup> دليل المراجع العربية، ٢١٩/١.

<sup>١٣٠</sup> ن.م.، ٢١٩/١.

<sup>١٣١</sup> تاريخ الادب العربي، ٢٤٤/٤.

الزمني الفاصل بين الاثنين، علماً بأن بروكلمان ذكر حياة قدامة بن جعفر في مطلع القرن الرابع الهجري وحدّد وفاة الغافقي في النصف الثاني من القرن السابع الهجري.

أما فيما يخص موضوع شك الدكتور طه حسين في نسبة كتاب نقد النثر إلى قدامة، الذي أورده المؤلفان<sup>١٢٢</sup>، فهو مخالف لقول بروكلمان. حيث كتب بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (الترجمة العربية) بأنَّ طه حسين يتمسّك بصحة نسبة الكتاب إلى قدامة، واستقى بروكلمان رأيه هذا من كتاب الدكتور طه حسين (من حديث الشعر والنشر)، ص ١٢٥ أو ما بعدها<sup>١٢٣</sup>.

إن هذا التناقض والغموض والاتهام بعيد عن الواقع الذي أقدم عليه مؤلفاً كتاب دليل المراجع العربية بحق كارل بروكلمان واقواله بصدق كتاب نقد النثر لقدامة بن جعفر ليس له ما يبرره ويحتاج إلى مناقشة أوسع يسهم فيها ذوي الاختصاص على أن يبدي المؤلفان بكل رأيهما الصريح للتوصيل إلى رأي قاطع ولا جلاء الغموض واللبس ولا شابع المسألة دراسة وتمحیصاً، ولا سيما وانهما من العاملين في أحدى القنوات المهمة التي تردد أحياء التراث بأحوج ما يحتاج إليه من الفهرسة والوثائق والمصادر والمراجع وكل ما يتعلق بالشؤون المكتبية.

<sup>١٢٢</sup> دليل المراجع العربية، ٢١٩/١.

<sup>١٢٣</sup> تاريخ الأدب العربي، ٤/٢٤٤.

(١١) تطرق الاستاذ عبدالجبار عبدالرحمن الى ذكر قدامة بن جعفر ومؤلفه الخراج، المطبوع جزء منه مع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، وذلك عند حديثه عن ابن خرداذبة في قسم كتب الجغرافية القديمة في مؤلفه: دليل المراجع العربية والمعربة<sup>١٣٤</sup> نقله أدناه: ابن خرداذبة (عبدالله بن عبد الله توفي حوالي ٩١٢/٥٣٠ هـ). المسالك والممالك، لابن خرداذبة ويليه نبذ من كتاب الخراج لقدامة بن جعفر (ت ٥٣٠ هـ) ليدن، بربيل، ١٨٨٩ م، ٢٠٨ ص+٢٤ ص.

#### Bibliothèce Geographorum Aralicorum

سلسلة المكتبة الجغرافية، المجلد السادس، التي اعنى بنشرها دى غويه مع مقدمة وشرح باللغة الفرنسية<sup>١٣٥</sup>.  
ملاحظة: ورد خطأ مطبعي في كتاب دليل المراجع العربية والمعربة في رسم احرف كلمتي الجغرافية والعربية باللاتينية، في النص الذي نقلناه حرفيًا كما هو اعلاه، حيث أنهيت الكلمتان بحرف (N) بينما يجب أن ينتهيما بالحرف (M).

(١٢) كتب المستعرب السوفيتي غ. ش. شرياتوف في مؤلفه القائم (الاستعراب في الاتحاد السوفيتي)<sup>١٣٦</sup> بأن المستشرق السوفيتي أ. يو. كراتشковسكي، (الذي سبق ان نقلنا بعض ماقتبه عن قدامة

<sup>١٣٤</sup> ط١، البصرة، ١٩٧٠ م.

<sup>١٣٥</sup> ن.م.، ص٤٤١.

<sup>١٣٦</sup> موسكو، ١٩٦١ م، ص١٦١، [بالعربية].

وعن مؤلفه الخارج)، كتب بحثاً بعنوان: (بلاغة قدامة بن جعفر) ونشر في: منتخبات أبحاث كراتشковسكي<sup>١٣٧</sup>، الذي قام مجمع العلوم السوفيتية بنشرها في ستة مجلدات، كما يذكر ذلك نجيب العقيقي، في كتابه: المستشرقون<sup>١٣٨</sup>.

نكتفي بهذا القدر من المعلومات الواردة في المصادر والمراجع عن قدامة بن جعفر، وعن مؤلفه الخارج، وعن بعض مؤلفاته الأخرى، لذا نكتفي بالذكر بقدر ماتسعنا المعلومات وهي شحيحة جداً، وسوف نبدأ بالجد (قدامة بن زياد) ثم بالوالد (جعفر بن قدامة بن زياد) حسب التسلسل العائلي والتاريخي.

#### قدامة بن زياد:

يحيّرنا - ولاشك - أمر اعتناق قدامة بن جعفر للإسلام أيّما حيرة. وليس الحيرة من جراء تضارب آراء المؤرخين أو قلتها عن نبذة عقيدته المسيحية واعتناقه الإسلام، كما لا تتعلق بصدق أو ضعف إيمانه بعقيدته السابقة أو اللاحقة، مما حدى به إلى نبذ الأولى واعتناق الثانية، ذلك لأنّ المصادر المتوفرة لنا، تكاد أنْ تجمع على أنْ قدامة بن جعفر ظلّ نصرانياً حتى اسلم، بعد إلحاح الخليفة المكتفي بالله العباسي (في حقبة خلافته، الممتدة ما بين ٢٨٩-

<sup>١٣٧</sup> موسكو، ١٩٥٦م، ٣٧٣/٢.

<sup>١٣٨</sup> ٩٥٤/٣ - ٩٥٥ - ٩٥٦.

وائما الحيرة، في خبر اعتناق قدامة بن جعفر للإسلام، تعود الى خبر يتعلّق باعتناق جده (قدامة بن زياد) للإسلام، في عهد خلافة المتوكل بالله العباسى في عام ٢٣٥هـ (المصادف ٩٠٢-٩٠٨م)، وبشكل انتهازي -كما سنرى لاحقاً-. ولاسيما إذا علمنا بأنه ليس هناك من خبر في المصادر عن إرتداد الجد الى عقيدته السابقة، التي نبذها المسيحية. وما كان بوسع الحيرة ان تستمر في نشر ظلال قائمة من الشك حول هذه التناقضات لو لم يلذ السيد المحقق (د. الزبيدي) بالصمت عن هذه القضية برمتها، سوى اكتفاء بذكر خبر مبتر عن اسلام قدامة بن جعفر من غير مناقشة وبدون تفاصيل، جاء فيه: ((ولك الذي استطعنا ان نستخلصه مما كتبه المؤرخون، ان قدامة كان نصرانياً. واسلم علي يد الخليفة المكتفي بالله العباسى))<sup>١٣٩</sup>، بينما لزم السيد المحقق الصمت المطبق عن ذكر الجد (قدامة بن زياد) من كافة النواحي!.. فما ضرّه لو شمر عن ساعد الجد واجهد نفسه في التقصي ليسبّر اغوار ماضي عائلة قدامة بن جعفر وي تتبع اخبارها وعقيدتها عمودياً؟ لارحنا وانار لنا السبيل وازاح العتمة عن هذه القضية المhireة، ولكنّه آثر العافية فلم يفعل وهذا ماحدى بي لدراسة الموضوع، رغم شحة المصادر، لالقاء بعض الضوء على الامور المتعلقة بتاريخ هذه العائلة، ولاسيما مايخص

---

<sup>١٣٩</sup>. كتاب الخراج، المقدمة، ص.٨.

عقيدتها الدينية نظراً لما لذلك من أهمية في معرفة مصادر انتاج  
قدامة بن جعفر الفكري.

ليس لدينا من معلومات وافرة عن حياة قدامة بن زياد الكاتب  
البغدادي (جد قدامة بن جعفر) سوى نتفٍ يسيرة تشير الى انه كان  
مسيحياً ومسؤولاً عن أموال وضياع ايتاخ الخاصة. وايتاخ، هو من  
القادة والولاة الاتراك المشهورين منذ أيام الخليفة المعتصم بالله  
العباسي، وقد ولّي إمرة بعض الولايات، ويُعرف بالطباخ<sup>١٤</sup>، وتقول  
الاخبار بأنَّ الخليفة المتوكِّل بالله العباسى قد سخط في عام ٥٢٣٥هـ  
على ايتاخ فأمر واليه على بغداد أسحاق بن ابراهيم [كانت سامراء في  
تلك الايام عاصمة، وفيها كان الخليفة المتوكِّل] بالقبض على ايتاخ  
والقضاء عليه فقبض عليه اسحاق بن ابراهيم وقبض على كاتبه  
سليمان بن وهب وقدامة بن زياد وعلى ولدي ايتاخ منصور ومظفر  
واودعا السجن ببغداد. وقد أُعدم ايتاخ، وضرب سليمان وقدامة  
وحبساً، وحبس معهما منصور ومظفر، وينفرد الطبرى بخبر إسلام  
قدامة بن زياد في فترة الحبس. اننا سوف نعرض اقوال بعض  
المؤرخين ومن ثم نجري مناقشة خبر اسلام قدامة بن زياد الجد.

---

<sup>١٤</sup>. انظر عنه: اليعقوبي، (ت بعد ٥٢٩٢هـ/٩٠٥م)، التاریخ، بيروت، ١٩٦٠، ٤٨٦/٢،  
الطبرى (ت ٥٣١هـ/٩٢٣م)، تأریخ الرسل، بتحقيق ابو الفضل ابراهيم، القاهرة،  
١٩٦٩م، ١٦٩/٩، ابن الاثير (ت ٦٢٠هـ/١٢٢٢م)، الكامل في التاریخ، بيروت، ١٩٦٥م،  
٤٦/٧، كتابنا: البابكية او انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية،  
بيروت، ١٩٧٤م، ص ٢٠٥ و ٢٠٠ وغيرها.

قال طبرى (ت ٩٣١هـ / م ٢٣٥) في حوادث سنة ٩٢٥هـ في ذكر الخبر عن مقتل إيتاخ: ((.. ثم قدم بأبنيه منصور ومظفر وبكاتبيه سليمان بن وهب وقادمة بن زياد النصراني بغداد. وكان سليمان على اعمال السلطان، وقادمة على ضياع إيتاخ خاصة، فحبسوا ببغداد، فأماما سليمان وقادمة فضريا، فأسلم قادمة وحبس منصور ومظفر)).<sup>٤١</sup>

ان خبر اسلام قادمة بن زياد، ولاسيما في عهد الخليفة المتوكل، المتشدد على أهل الذمة، محير وإن كان محتملاً، ذلك لأن هذا الخبر لم يتطرق اليه، بقدر ما أطلعنا عليه من مصادر، سوى الطبرى، فاليعقوبى، المتوفى بعد سنة ٢٩٢هـ، لم يذكر خبر إسلام قادمة مع أنه انهى كتابة مؤلفه (التاريخ) سنة ٢٦٠هـ / م ٨٧٤، فقد كتب: ((فلما قرب [يقصد إيتاخ ح.ق. العزيز] من بغداد تلاقاه اسحاق [يقصد اسحاق بن ابراهيم]، فأمره بتنزع السواد والسين والمنطقة وأدخله بغداد في قباء ايض وعامة بيضاء، حتى صار به الى قصر خزيمة الذي على رأس الجسر، فحبسه وقيده وقبضت ضياعه وامواله،

<sup>٤١</sup> تاريخ الرسل، ١٦٩/٩، ومما له علاقة بسليمان بن وهب، انظر: ما يرويه عريب بن سعد القرطبي (ت ٣٦٦هـ / م ١٩٧٦) عن الوزير أبي الجمال الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب من انه كان يتقرب إلى النصارى الكتاب بان يقول لهم: ان اهلي منكم واجدادي من كباركم، وان صليباً سقط من يد عبيد الله بن سليمان جده في ايام المعتصم، فلما رأه الناس، قال: هذا شئ تترك به بحائزنا، فتجعله في ثيابنا من حيث لانعلم، صلة تاريخ الطبرى، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١٤١.

وبعث بسليمان بن وهب، وقادمة بن زياد كاتبيه، وبأبنه منصور الى بغداد، حتى جمع بينه وبينهم، فبكتوه ووبخوه بما كان منه...<sup>٤٢</sup> الخ)، بل وحتى ابن الاثير (ت ١٢٣٣هـ/١٢٣٠م)، وهو اكثـر المؤرخين نقلـاً عن الطبرـي، أورد خـبر الطبرـي، المنقول اعلاه، من دون ان يذكر خـبر اعتناق قـدامة بن زيـاد للإسـلام. فقد كـتب ابن الاثير في حـوادث سـنة ٢٣٥: ((أخذـ ايتـاخ بـبغـداد من قـبل اـسـحـاقـ بنـ اـبـراهـيمـ بأـمـرـ مـنـ الـخـلـيقـةـ الـمـتـوـكـلـ وأـخـذـ مـعـهـ وـلـدـيهـ مـنـصـورـاـ وـمـظـفـراـ وـكـاتـبـيهـ سـليمـانـ بنـ وـهـبـ وـقـدـامـةـ بنـ زيـادـ، فـحـبـسـواـ بـبغـدادـ ايـضاـ)).<sup>٤٣</sup>

وحتى لو سلمنا بـخبرـ الطـبـريـ المـنـفـرـدـ عـنـ اعتـناـقـ قـدـامـةـ بنـ زيـادـ الـاسـلامـ، عـنـ حـبـسـهـ، وـنـبـذـ لـعـقـيـدـتـهـ الـأـولـىـ بـشـكـلـ اـنـتـهـازـيـ، تـحـتـ تـأـثـيرـ الـخـوـفـ فـيـ عـهـدـ كـانـ يـشـهـدـ التـشـدـدـ عـلـىـ اـهـلـ الـذـمـةـ، فـأـظـهـرـ الـاسـلامـ وـأـبـطـنـ الـمـسـيـحـيـةـ، فـأـنـ هـذـاـ خـبـرـ لـاـ يـنـسـجـمـ عـمـاـ وـاقـعـ وـلـاـ يـقـوـىـ عـلـىـ الـصـمـودـ اـمـامـ الـحـقـائـقـ الـتـيـ اـوـرـدـتـهـ غـالـبـيـةـ الـمـصـادـرـ وـالـمـرـاجـعـ عـنـ اعتـناـقـ الـحـفـيدـ، قـدـامـةـ بنـ جـعـفـرـ، لـلـاسـلامـ، تـحـتـ تـأـثـيرـ الـحـاجـ الـخـلـيقـ الـمـكـتـفـيـ بـالـلـهـ. إـذـ كـيـفـ يـنـسـجـمـ خـبـرـ بـقـاءـ الـعـائـلـةـ عـلـىـ عـقـيـدـتـهـ الـمـسـيـحـيـةـ وـبـيـنـ اعتـناـقـ الـجـدـ، قـدـامـةـ بنـ زيـادـ، الـاسـلامـ؟

لا اذا كان هذا أنْ قدامة بن زياد النصراني ليس والداً لجعفر بن قدامة بن زياد، وليس جداً لقدامة بن جعفر بن زياد، وأنما هو شخص

<sup>٤٢</sup> التاريخ، ٤٨٦/٢.

<sup>٤٣</sup> الكامل، ٤٦/٧.

آخر، وهذا ما يشكل عنصراً أساسياً في الغموض الذي يكتنف هذه المسألة لأنّ المصادر لا تخرج عن تعدادها الثلاثي لنسب قدامة بن عفر بن قدامة بن زياد عن ذكر هذا التسلسل، كما أنها لا تذكر أن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي النصراني، كاتب ايتاخ التركي، هو غير قدامة بن زياد، جد قدامة بن عفر بن قدامة بو زياد. إذن ليس تماماً، على ضوء ما تعكسه المصادر لحد الان، الا الاخذ بالقول بأنّ قدامة بن زياد، كاتب ايتاخ، هو جد قدامة بن عفر بن قدامة بن زياد وليس شخصاً آخر. وهنا، في لجة ملابسات غموض ما افترضه الطبرى عن اعتناق الجد، قدامة بن زياد، الاسلام، يطرح سؤال معقد نفسه وهو كيف ومتى تسنى لعائلته الارتداد عن الاسلام والعودة الى دين سبق ان نبذته، وجزاء المرتدين عن الاسلام معروف؟

ان الجواب المنطقي، والمنسجم مع اجماع الاقوال تقريباً عن إسلام قدامة بن عفر، هو أنّ قدامة بن زياد الجد لم يسلم، وظلّت عائلته محتفظة بعقيدتها المسيحية، حتى اسلم حفيده قدامة بن عفر. وأما خبر الطبرى المشوش عن اسلام قدامة بن زياد عند حبسه في عام ٢٣٥هـ، فلا بدّ قد حصل فيه تحريف من قبل الناسخ، ومن الجائز برأينا ان الطبرى اراد القول من كلامه: "فاما سليمان وقدامة فضريا، فأسلم قدامة وحبس منصور ومظفر" أراد القول بأنّ سليمان وقدامة قد ضربا، وسلم قدامة من الموت ولكنه حبس وحبس كذلك منصور ومظفر، فأضاف الناسخ همزة الى الفعل سلم لتصبح الكلمة فأسلم -كما هي واردة في النص المطبوع.

إن هذه المسألة تشكّل، ولاشكّ، حلقة غامضة في تاريخ العائلة. ولما كان السيد المحقق لم يذكر أيّ خبرٍ عن قدامة بن زياد، فإننا لانعلم أنْ كانت له معرفة بهذه المسألة أم لا؟ غير أننا كنا نأمل أن يتطرق إليها ويجبّينا مشقة الخوض في مطبّات شائكة معقدة ومحرجة. فلو انه كان قد اشبع هذه القضية دراسةً وتمحیصاً وخرج علينا بأسننات ينير لنا سببًا واضحًا في ديجور هذه القضية لراحنا وأراح القراء، معنا بيد أنَّ حنفه (الصفحة ٤٧ من المسودة) -مع الأسف- عن ذكر المسألة، في حالة علمه بها، يدلّ على عدم الرغبة في أرتقاء المركب الخشن حتى ولو كان للمسألة، رغم الحيرة التي تكتنفها، أهمية واضحة.

إن أهمية هذه المسألة، التي تجنبها السيد المحقق، تكمن في ارتباط العقيدة المسيحية باللغة السريانية، التي تمّ عبرها ترجمة الكثير من الترجمات عن الأغريقية إلى العربية، لانه في حالة تمسّك عائلة قدامة بن زياد بعقيدتها النصرانية، حتى زمن اكمال نضج حفيده قدامة بن جعفر [اسلم وعمره بين ٣٠-٢٤ سنة في فترة خلافة المكتفي ٢٩٥-٢٨٩هـ، لأن مولده في عام ٢٦٥هـ] فان احتمال احتفاظ العائلة باللغة السريانية يكون أقوى مما لو أنها نبذت عقيدتها النصرانية -حسب فرضية الطبرى المشكوك فيها- وأسلمت منذ زمن الجد قدامة بن زياد في عام ٢٣٥هـ. تحدّثنا المصادر والمراجع العربية والمعربة عن سعة اطلاع قدامة بن جعفر بالمنطق والبلاغة اليونانية وإتساع تأثيرهما في اسلوب كتابته، قال ابن النديم: ((ان

لابي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة تفسير بعض المقالة الاولى من السماع)<sup>١٤٤</sup>، وكذلك قال عنه: ((وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء وال فلاسفة الفضلاء ومن يشار إليه في علم المنطق))<sup>١٤٥</sup>، كما قال عنه ياقوت الحموي: ((وقد صدر من المنطق وهو لائق على ديباجة تصانيفه وان كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الان واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر))<sup>١٤٦</sup>، كما أوردنا، في النصوص السابقة، آراء كراتشوفسكي وبروكلمان وروزنثال وعبدالرحمن بدوي<sup>١٤٧</sup>(١٤٦ب) في تأثر قدامة بالفلسفة اليونانية ومحاولته تقليد اسلوب ارسسطو وغيره. ولكن على الرغم من ذلك فأئتنا لانستطيع الجزم بان قدامة بن جعفر قد درس الفلسفة والمنطق والادب الاغريقي باللغة السريانية ذلك لأن عصره قد شهد كثرة الترجمات الاغريقية مباشرة او عبر السريانية الى العربية، والترجمات عن اللغات الاخرى الى العربية ايضاً، ومن الجائز انه ربما قد درسها باللغة العربية، بيد أن اسلامه عن كبر يعطي امكانية افتراض دراسته للعلوم

<sup>١٤٤</sup> الفهرست، ص ٢٥٠.

<sup>١٤٥</sup> ن.م.، ص ١٣٠.

<sup>١٤٦</sup> ارشاد الاربيب، ٦/٢٠٤-٥.

<sup>١٤٧</sup> كتب عبدالرحمن بدوي في معرض حديثه عن الرازبي: "...ولقد كان هذا هو المثل الاعلى للبلاغة في ذلك العصر، خصوصاً بتأثير كتاب الخطابة لارسطو وما قام حوله وتأثر به من دراسات بلاغية كما يظهر من (نقد النثر) لقدامة بن جعفر من تاريخ الالحاد في الاسلام، تاريخ ومكان الطبع مجهول، ص ٢١٧ لسنة ١٩٤٥.

والمعارف الاغريقية بالسريانية ايضاً، فإن يكون خبر اسلام قدامة بن زياد متعارضاً مع خبر اسلام حفيده قدامة بن جعفر، لأنَّه لا يصح اسلام من كان مسلماً أبداً عن جد، وما قول الطبرى عن اسلام قدامة الجد الا تحريراً من قبل الناسخ لفعل سلم (من الموت - كما اسلفنا) واصبح الفعل اسلام. فقدامة بن زياد وابنه جعفر بن قدامة كانوا مسيحيين وأمّا حفيده قدامة فإنه اسلم في عهد خلافة المكتفى - بعد الحاج - كما تؤيد هذه غالبية المصادر والمراجع.

#### جعفر بن قدامة بن زياد:

لم يتطرق السيد المحقق كثيراً عن حياة أبي القاسم جعفر بن قدامة بن زياد، والد صاحب المخطوط المحقق، فيما يخص مواهبه ومحارفه، كما وانه لم يذكر شيئاً عن عقيدته الدينية وعن موقفه من اسلام ولده قدامة [في الحقبة ما بين ٢٨٩-٢٩٥ هـ] حتى عام وفاته ٣١٩ هـ. هل كان جعفر بن قدامة مسلماً على اسلام والده قدامة بن زياد وفق ماجاء برواية الطبرى؟ او انه كان وظلّ مسيحياً وفق اجماع الروايات على اسلام ولده قدامة بن جعفر في عهد خلافة المكتفى؟ وهل بقي مسيحياً بعد اسلام ولده قدامة حتى عام وفاته هو أم اسلام تحت تأثير الظروف التي دفعت بأبنه قدامة على نبذ عقيدته المسيحية واعتناقه الاسلام؟ لقد اكتفى السيد المحقق بايراد نتفٍ مما كتبه ابن النديم وياقوت الحموي فحسب ومن دون مناقشة مسحية وقد تحاشى عن ذكر عقيدته على الرغم من اهمية ارتباط

المسيحية باللغة السريانية - كما اسلفنا - والغريب انَّ السيد المحقق اورد أقوال ابن النديم وياقوت الحموي عن نباهة جعفر ولم يناقشهما رغم تعارضهما، كما انه نسب اقوال ياقوت الى الخطيب البغدادي، بينما الكلام يتطابق مع نص ياقوت، كما وان ياقوت الحموي قد ذكر بأن سنة وفاة ابي القاسم جعفر بن قدامة هي: ١٤٨ هـ٣١٩ ، ولكن السيد المحقق جعلها ١٤٩ هـ٣٢٩ ومن دون ان يلحظ هذا الاختلاف ولم يذكر لنا من اين جاء بهذا التاريخ؟

لقد تحدث السيد المحقق عن جعفر بن قدامة فقال عنه: ((وابوه [الضمير] يعود على قدامة، صاحب المخطوط، ح.ق.العزيز] ابو القاسم جعفر بن قدامة بن زياد، وقد اختلف المؤرخون في نباهته ومعرفته في الادب فقد وصفه ابن النديم، في كتابه الفهرست، وصفاً يدل على خموله وخلوته من العلم والمعرفة فقال: وكان ابوه جعفر من لا تفكر فيه ولا علم عنده<sup>١٥٠</sup>. ولكن الخطيب البغدادي يخالف رأي ابن النديم ويثنى عليه ثناءً كبيراً وعلى معرفته وسعة اطلاعه في فنون الادب والعلم فيقول عنه: انه احد مشايخ الكتاب وعلمائهم وينعنه بوفرة الادب، وحسن المعرفة. ويذكر ان له مؤلفات في صناعة الكتابة، وانه تحدث عن اكابر العلماء الذين تلقى عنهم، والادباء

<sup>١٤٨</sup> ن.م.، تسلسل الترجمة (١٥٦)، ٤١٣/٢.

<sup>١٤٩</sup> كتاب الخراج، المقدمة، ص.٥.

<sup>١٥٠</sup> ن.م.، ص.٥، وأشار في الهامش انه نقل عن الفهرست، ص.١٨٨، لقد أوردنا هذا النص سابقاً وذكرنا انه في الفهرست طبعة لييزك بإعتناء فلوگل، ص.١٣٠.

الذين جالسهم، كأبي العيناء الضرير، وحمادي بن اسحاق الموصلي، ومحمد بن يزيد المبرد ومحمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي وغيرهم. ومن رواته ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغاني. وقد توفي ابو القاسم يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ٥٣٢٩<sup>\*</sup>.

لا اعترض على مانقله السيد المحقق من كتاب الفهرست لابن النديم عن جعفر بن قدامة من الناحية الفنية وان اغفل رأياً آخر لابن النديم مغاير لرأيه هذا في جعفر حيث ذكره -وهو يعدد مصنفات الشعراء والكتاب- فعده معهم وقال ان له مائة ورقه<sup>١٥٢</sup> ولكن اعتراضنا ينصب على استناده القول الى الخطيب البغدادي، لانه لم يلتزم بمنهج البحث العلمي، فهو تارة يلخص النص وتارة يحصره بين حبستين، كأنما هو قول مباشر وفي كلتا الحالتين لم يثبتت في هامش الصفحة [المقدمة، ص٥] اية اشارة الى مؤلف الخطيب البغدادي (تأريخ بغداد)، كما وتحاشى عن ادراجه في قائمة ثبت المصادر في آخر الكتاب أيضاً، [والشئ نفسه فعله مع رأي بروكلمان،

<sup>١٥١</sup> ن.م.، ص٥.

\* ينتقد العزيز، الدكتور الزبيدي بأن وفاة ابو القاسم جعفر، والد قدامة هي ٣١٩هـ، كما ذهب الى ذلك الزبيدي ويتسائل من اين جاء بهذا الرقم، ولكن العزيز يذكر بعد ذلك في السطر الثالث والرابع ما قبل الاخير انه توفي سنة ٥٣٢٩هـ، نقاً عن ابن النديم، وبذلك يناقض العزيز رأيه السابق المذكور في اعلى هذه الصفحة. [المراجع]

<sup>١٥٢</sup> الفهرست، ص١٦٨.

المقدمة، ص[١٢]، مما يدلل على عدم الرغبة في ذكر المصدر، لانه ربّما جاء بالرأي من مصدر آخر دون الرجوع الى الخطيب البغدادي مباشرة. وبرأينا انه استقاء - كما يبدو - من ياقوت الحموي [ارشاد الاريب، تسلسل الترجمـ[١٥٦ـ، المجلد الثاني، الصفحـ[٤١٢ــ٤١٥ـ] من دون أن يذكر ياقوت مطلقاً - في الوقت الذي يتطابق مانقله السيد المحقق، عن ارشاد الاريب مع مانسبه الى الخطيب البغدادي في الكلام عن جعفر بن قدامة. لقد قال ياقوت الحموي عنه: ((جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ابو القاسم ذكره الخطيب فقال هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم وكان وافر الادب حسن المعرفة وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها حدث عن أبي العيناء الضرير وحمد بن اسحاق الموصلي والمرد محمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي ونحوهم، روى عنه أبو الفرج الاصفهاني... وقال ابو محمد عبيد الله بن أبي القاسم عبدالمجيد بن بشران الاهوازي في تاريخه مات أبو القاسم جعفر بن قدامة بن زيـ[١٥٣ـ يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة هـ[٣١٩ـ])، وعلى الرغم من الاختلاف في تاريخ وفاة جعفر بين ياقوت الحموي [هـ[٣١٩ـ] وبين السيد المحقق [هـ[٣٢٩ـ]ـ، فأننا نرى في نص ياقوت الحموي عن جعفر بن قدامة الهيكل الاساسي الذي بنى عليه السيد المحقق رأيه في جعفر بن قدامة وان نسب القول الى الخطيب البغدادي وان ما يعز ذلك هو ان الخطيب

---

<sup>١٥٣</sup> ارشاد الاريب، تسلسل الترجمـ[١٥٦ـ، ٢ـ٤١٢ـ].

البغدادي<sup>١٥٤</sup> – كما يقول الزركلي<sup>١٥٥</sup> – لم يؤرخ وفاته. ويثبتت الزركلي عام (٩٣١/٥٢١٩) تاريخ وفاة جعفر بن قدامة، ولقد كتب عنه: ((جعفر بن قدامة بن زياد، ابو القاسم: اديب من كبار الكتاب. من اهل بغداد. له شعر رقيق ومصنفات في صنعة الكتابة وغيرها. روى عنه ابو الفرج الاصفهاني))<sup>١٥٦</sup>. وقد اشار في الهاامش رقم ٢-٢ [الاعلام، ١٢١/٢] الى المصادر التي استقى منها معلوماته في ترجمة حال جعفر بن قدامة، فذكر [ارشاد الاربيب ٤٢/٢، طبعة مرجليلوث وتذكرة الحفاظ ٢٨٩/٢ وفيه وفاته سنة ٣٠٨ هـ وتاريخ بغداد ٢٠٥/٧ ولم يؤرخ وفاته]<sup>١٥٧</sup>.

ان النقطة الاساسية والمهمة التي تحاشاها السيد المحقق هي الحديث عن عقيدة جعفر بن قدامة بن زياد، والحقيقة ان المصادر، بالإضافة الى شحتها وضئالة ماذكرته عنه، لاتسعف الباحث ولا تقدم له اية معلومات ولاحتى اشارة تساعده على اصدار رأي صائب ودقيق عن عقيدة جعفر فهي لم تتطرق [بالنسبة له فقط] الى الديانة التي كان يعتنقها بعكس الحال بالنسبة لوالده، قدامة بن زياد، ولولده، قدامة بن جعفر، حيث ذكرنا بأنهما كانوا نصرانيين. وقد انفرد الطبرى – كما ذكرنا سابقًا – بخبر اسلام والد جعفر، قدامة بن زياد،

<sup>١٥٤</sup> تاريخ بغداد، ٢٠٥/٧ (نقلًا عن الزركلي، الاعلام، ١٢١/٢، الهاامش رقم ٢).

<sup>١٥٥</sup> الاعلام، ١٢١/٢، الهاامش رقم ٣).

<sup>١٥٦</sup> ن.م.، ١٢١/٢.

<sup>١٥٧</sup> ن.م.، ١٢١/٢.

بينما تكاد المصادر والمراجع ان تجمع على إسلام ولده، قدامة بن جعفر. أما بالنسبة له -جعفر- فلم تذكر المصادر عقيدته مطلقاً [المسيحية او الاسلام سواء بسواء]، ولهذا فنحن استنرجنا سابقاً عندما قلنا بأنه كان مسيحياً، على اساس ان والده قدامة بن زياد كان نصراانياً ولم يسلم لاننا رفضنا روایة الطبری المنفردة عن اسلامه، وكذلك على اساس ذكر المصادر لبقاء ولده قدامة نصراانياً الى ان أسلم بعد الحاج الخليفة المكتفي. فاذن كان جعفر بن قدامة نصراانياً، ولكن اطلاقنا لهذا الرأي يجب ان لا يمتد على طول مدى عمره لانه يواجهنا خبر اسلام ولده قدامة في حقبة الست سنوات من حكم الخليفة المكتفي [٢٩٥-٢٨٩هـ] لأننا لانعلم في أية سنة منها أسلم قدامة بن جعفر، ولما كان جعفر قد توفي في سنة ٣١٩هـ، فان هذه الحقبة الممتدة بين إسلام ولده وبين وفاته (وفاة جعفر ٣١٩هـ) تبقى غامضة بالنسبة لعقيدة جعفر، حيث واجهته ولاشك، فترة عصبية وقلقة، هل يحتفظ بعقيدته؟ أم يساير ولده، الذي انصاع للحاج الخليفة وأسلم؟ إننا في الحقيقة لانعلم أنْ كان قد ساير ابنه وخضع للمؤشرات نفسها التي حملت الابن على نبذ ديانته التي ظلَّ متمسكاً بها ولم يسلم، الاً بعد الحاج الخليفة؟ أم بقى جعفر محافظاً بدينه على الرغم من إسلام ولده قدامة؟ إننا لانستطيع الجزم، على ضوء النذر اليسير من المصادر، المتوفرة لدينا لحد الان، بنوع العقيدة التي كان عليها جعفر بن قدامة بن زياد من حقبة خلافة المكتفي (٢٩٥-٢٨٩هـ) حتى وفاته (سنة ٣١٩هـ).

### مؤلفو الخارج:

لم يكن ابو الفرج قدامة بن جعفر الوحيد من اَلْف او صنف كتاباً في الخارج، فهناك جماعة من الفقهاء والعلماء عنوا بتأليف او تصنيف كتاب في الخارج. ولما كان موضوع الخارج يدخل ضمن اهتمامات رجال الفقه والقضاء، لهذا فان تصنيف او تأليف كتاب في الخارج كان في البدء يقوم به، في الاغلب، الفقهاء ورجال القضاء، بيد أن ذلك لا يمنع من قيام غيرهم بالتأليف والتصنيف في موضوع الخارج. فلم يعد بمستغرب أن يتحرر البعض من الاسلوب الفقهي في استعراض الخارج وتناول الاسباب والنتائج ويأتي في مقدمة هؤلاء قدامة بن جعفر. فقد كانت كتب الخارج السابقة له [وصلنا منها اثنان، احدهما لابي يوسف والآخر ليعيي بن آدم] ذات طابع فقهي بالاحاديث، ولما كان الفقه والحديث لا يشكون، نسبياً، اهتماماً لدى قدامة بن جعفر مثل اهتمامه ~~بالمور~~<sup>بالادارية والاقتصادية</sup> والاجتماعية، فأننا نرى تميز مؤلفه عن سابقيه في مزجه الاحداث التأريخية بالواقع الجغرافي وتأثيرهما في العلاقات الاجتماعية مما يكشف ويبُرِّر الاطار الفلسفى لهذا التناول.

لقد اَلْف في الخارج مجموعة لا يستهان بها من العلماء فكان من الواجب على السيد المحقق أن يقدم تعريفاً بهم للقراء، ولكن مقدمته جاءت خلواً من ذكر أي واحد منهم. إن دراسة مقارنة، من حيث الشكل والمضمون ، لكتاب قدامة في الخارج مع مصنفات الآخرين في

الموضوع ذاته لتشكل احد المحاور الاساسية لهيكل بناء المقدمة الارتكازى، التي توضع للكتاب، فحسب، وأنما تغدو مهمة جداً لهم أسباب ونتائج اختلاف اساليب ووجهات نظر الفقهاء والكتاب في تناولهم لموضوع الخراج، وكذلك لفهم التطور التاريخي لهذا الحقل من المعرفة العربية الاسلامية. ويشكل فقدان هذه الدراسة، في مقدمة السيد المحقق، نقحاً بارزاً ويحرم القراء من التعرّف الشامل والتام بمؤلفي كتب الخراج من علماء وفقهاء وكتاب عرب ومسلمين سبقين لقدامة او معاصرين له او لاحقين به. إن هذا النقص، الذي كان من الممكن تلافيه من قبل السيد المحقق لو أنه بذل جهداً، يكتنف ايضاً -مع الاسف- كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م) [الكتاب بدون مقدمة اصلاً]<sup>١٥٨</sup>، وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي (ت ٢٠٣هـ/٨١٨م) [بتصحیح وشرح قاضي شرع القاهرة أبي الاشبال احمد محمد شاكر]<sup>١٥٩</sup>، وكتاب الاموال لابي القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ/٨٣٨م) [بتحقيق محمد خليل هراس]<sup>١٦٠</sup>، وان كان الكتاب الاخير يبتعد في جمل اختصاصاته عن الخراج، حيث لا يشكل الخراج الا جزءاً يسيراً منه.

<sup>١٥٨</sup> المطبعة السلفية، ط٣، القاهرة، ١٣٨٢هـ، وهذه الطبعة اعتماداً على نسخة مخطوطة في الخزانة التيمورية رقم (٦٧٤)، مع معارضتها بطبعة بولاق ١٣٢٠.

<sup>١٥٩</sup> المطبعة السلفية، القاهرة، ١٩٤٧م، وعن يحيى بن آدم، انظر: الاعلام، ١٦٠/٩.

<sup>١٦٠</sup> ط١، القاهرة، ١٩٦٨م/١٣٨٨هـ، ليس هناك من ذكر في المقدمة لكتاب الخراج، وعن أبي عبيد القاسم بن سلام، انظر: الاعلام، ٦/١٠.

ليس لهذا النقص البارز لدى المحققين والباحثين العرب ما يبرره مطلقاً وكان الاخرى بالسيد محقق كتاب الخراج لقدامة أنْ يرتب اسماء مؤلفي الخراج وفق تسلسلهم التاريخي على الاقل ليغنى معارف القراء ويمكنهم من امتلاك تصور واضح عن موقع مؤلف قدامة في الخراج بين صنوف كتب الخراج الاخرى بشكل مقارب اسوة بما فعله ابن شمش A. Ben Shamesh [أستاذ قانون الشرق الاوسط في جامعة تل أبيب] الذي ترجم كتاب الخراج ليعيى بن آدم وكتب مقدمة له بالانكليزية، وقدم له الاستاذ گوتين S. D. Gaitein [أستاذ الدراسات الشرقية في الجامعة العربية، القدس]، والكتاب بعنوان:

Taxation in Jalam, yahya Ben Adam's Kitato al-Kharaj, Leiden E. J. Bhil, ١٩٥٨<sup>١١</sup>.

لقد ذكر ابن شمش: ((انَّ حوالى ٢١ كتاباً يحملُ أسمَ كتاب الخراج أو كتاب/ رسائل في الخراج معروفة لنا والذِي من بينها

<sup>١١</sup> ليدن/بريل، ١٩٥٨م، ويقع كتاب الضريبة في الاسلام Taxation in Jalam في صفحة ١٧٢ (١) المقدمة عن يحيى بن آدم من قبل شمش ص ٢٠-١ ويسبقها تقديم الاستاذ گوتين. (٢) ترجمة كتاب يحيى الى اللغة الانكليزية، ص ١٠٩-٢٣. (٣) ببليوغرافيا، ص ١١٠-١٢٠. (٤) الفهرس ص ١٢١-١٣٧. (٥) صور للمخطوط، ص ١٤١-١٦٥، وقد ذكر في الصفحة ١٤١ وقف الشيخ علي الموصلي رحمة الله مستقرة بالمدرسة الضيّعة بسفح قاسيون.

موجود حالياً ثلاثة فقط وهي لابي يوسف ويحيى بن آدم وقدامة بن جعفر<sup>١٦٢</sup>.

رتب ابن شمش مؤلفي الخراج وفق تسلسهم الزمني ونحن ندرجهم بعد ترجمتهم عن الانكليزية - كما وردوا ثم نعقب بتعريف لغير المشهورين منهم: (قائمة ابن شمش بمؤلفي الخراج)<sup>١٦٣</sup>.

(١) معاوية بن عبيدة الله بن يسار العشاري (ت ١٧٠/٧٨٦) [وهو أول من صنف كتاباً في الخراج] وكوزير للمهدي فقد عدل نظام الخراج الموجود، حيث اصبح يدفع مقاسمة. وكان من يهود طبرية ومن موالي قبيلة يمنية العشار<sup>١٦٤</sup>.

(٢) لاحظ الفهرست [يقصد ابن النديم صاحب الفهرست، ح. ق. العزيز] فقيها آخر سماه حفصوية (Hafasawiya) وهو أول من ألف [وليس صنف] في الخراج وربما هذا الاسم قد حرف عن معاوية<sup>١٦٥</sup>.

(٣) أبو يوسف: رسائل في الخراج وهي التالية في الزمن وقد حضر بموجب أمر هارون الرشيد (هذا الكتاب نشر في ثلاث طبعات)<sup>١٦٦</sup>.

<sup>١٦٢</sup> ن.م.، ص ٣.

<sup>١٦٣</sup> ن.م.، ص ٦-٣.

<sup>١٦٤</sup> ن.م.، ص ٣-٤، وقد أشار في الهاشم إلى: "الفخري، ص ٦-١٦٣؛ الطبرى، تاريخ ١١، ص ٤٩٠، طبعة القاهرة، مجلد X، ص ٣٤١؛ والمسعودى، التنبيه، ص ٣٤٣.

<sup>١٦٥</sup> ن.م.، ص ٤، وقد أشار في الهاشم إلى: (الفهرست: طبعة القاهرة، ص ١٩٤، وتحقيق فلوگل، ص ١٣٥).

- (٤) الى عهد المأمون نصَّف كتاب يحيى بن آدم.
- (٥) لابي علي الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت ٨١٩/٢٠٤) وهو صديق آخر لابي حنيفة وتلميذه، كتاب الخراج<sup>١٦٧</sup> المتميّز (الخاص) من بين بقية أعماله.
- (٦) الكاتب المشهور ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (م ٨٦٩/٢٥٥)، المتمم لابي يوسف ويحيى وحسن بن زياد، له ايضاً تصنيف: كتاب رسالة أبي نجم بالخارج<sup>١٦٨</sup>.
- (٧) أمر الخليفة المهدي، مقتدياً بهارون الرشيد، القاضي الشهير احمد بن عمر الشيباني الخصاف (م ٨٧٥/٢٦١) ليحضر كتاباً مشابهاً سُمي كتاب الخراج للمهدي<sup>١٦٩</sup>.

<sup>١٦٦</sup> ن.م، ص٤، ويقصد بالطبعات الثلاث الخارج لابي يوسف (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، طبعات القاهرة: بولاق ١٣٠٢هـ، السلفية (الاولى ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م، الثانية، ١٩٥٢م). غير ان لكتاب الخارج لابي يوسف طبعات أخرى منها: روما، ١٩٠٦، والسلفية، الطبعة الثانية، ١٣٨٢هـ، كما ان "فاكتريان Fagnan" ترجمه الى الفرنسية، بباريس ١٩٢١م، ولهذا فان لهذا الكتاب اكثر من ثلاثة طبعات وليس ثلاثة طبعات فقط كما حدّدها ابن شمش، كما تعاون المستشرق السوفييتي شميدت (١٩٣٩-١٨٧١) والمستشرق السوفييتي ياكوفسكي (١٨٨٦-١٩٥٣) وآخرون على ترجمة كتاب الخارج الى الروسية، وطبعت الترجمة عام ١٩٤٥. [د. حسام]

<sup>١٦٧</sup> ن.م، ص٤، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، طبعة القاهرة، ص ٢٨٨، تحقيق فلوكل، ٢٠٤، وخليفة، ص ١٤١٥).

<sup>١٦٨</sup> ن.م، ص٤، وأشار في الهاشم الى (أرشاد الاريب VI ص ٧٧).

- (٨) يتلو ذلك كتاب الخراج الكبير، وصف بأنه يحتوي على (١٠٠٠) صفحة، من قبل أبي عباس احمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب (م ٢٧٠/٨٨٤).<sup>١٧٠</sup>
- (٩) وتوفي بالعام نفسه (٨٨٤-٢٧٠) مؤلف آخر (كتاب الخراج) يلاحظ في الفهرست بأسم أبي عباس احمد بن محمد بن عبدالكريم [ربما متطابق مع السابق].<sup>١٧١</sup>
- (١٠) أبو سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الاصفهاني (م ٢٧٠/٨٨٤) منشئ مدرسة الظاهيرية القانونية ذكر عنه كمؤلف لكتاب الخراج.<sup>١٧٢</sup>

<sup>١٦٩</sup> ن.م.، ص٤، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، ٢٩٠، فلوگل، ٢٠٦، ص ٦٨ Muh.

St, ١١,

<sup>١٧٠</sup> ن.م.، ص٤، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، ١٦٥، فلوگل، ١٣٥، خليفه ١٤١٥، أرشاد، ١١ ص ٥٨).

<sup>١٧١</sup> ن.م.، ص٤، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، ص ١٩٤، فلوگل ١٩٤).

<sup>١٧٢</sup> ن.م.، ص٤-٥، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، الصفحات ٤-٢٠٣، فلوگل، الصفحات ٢١٦-٢١٩). وأبو سليمان داود بن علي اليه تنسب الطائفة الظاهيرية التي تأخذ بظاهر الكتاب والسنّة واعتراضها عن التأويل والرأي والقياس. انظر: الزركلي، الاعلام، ٨/٣، ويسميه داود الظاهري، انظر: بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ٣٢٦-٣١٧/٣، لقد ذكره ابن التديم فقال عنه: (ابو سليمان داود بن علي بن داود بن خلف الاصفهاني وهو اول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنّة والفا ماسوى ذلك من الرأي والقياس وكان فاضلاً صادقاً ورعاً وتوفي داود سنة سبعين ومائتين وله من الكتب..وكتاب الخراج)، الفهرست، تحقيق فلوگل، ص ٢١٦-٧.

- (١١) في القسم الاول من القرن الرابع الهجري لدينا ثالث كتاب باقي، (في مخطوط فقط) من قبل قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب -- مسيحي - آثر الاسلام في حكم المتوكل<sup>١٧٣</sup>.
- (١٢) أبو القاسم عبيد الله بن احمد بن محمد الكلوذاني، الذي كان وزيراً للمقدار وصاحب ديوان السواد، نشر سختين من كتابه: كتاب الخراج، واحدة في ٣٢٦ والآخر في ٥٣٣٦<sup>١٧٤</sup>.
- (١٣) لدينا من حكم المقدار كتاب في الخراج ايضاً: كتاب الخراج اللطيف (الصغير) لابي الحسن علي بن الحسن المعروف بأبن الماشطة<sup>١٧٥</sup>.

<sup>١٧٣</sup> ن.م.ص.٥، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، ص ١٨٨، فلوگل، ١٣٠، خليفة، ١٤١٥، أرشاد VI صفحات ٤-٢٠٣)، ملاحظة: ان اسم الخليفة المدون لدى في الجذاذات التي نقلتها عن كتاب الضريبة في الاسلام هو ١٦ المتوكل، بينما قدامة كان قد اسلم في عهد الخليفة المكتفي -كما مرّ بنا- ولست متأكداً الان ان كان ابن شمش قد اخطأ وكتب المتوكل ام انه كتب المكتفي ونقلته انا خطأ باسم المتوكل لأن كتاب الضريبة في الاسلام ليس بحوزتي الان وانما كنت قد رجعت اليه اثناء دراستي في موسكو ١٩٦٦-١٩٦١، ودونت الملاحظات التي احتفظت بها بما اقتضى التنوية.

<sup>١٧٤</sup> ن.م.، ص.٥، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، ١٨٨ فلوگل، ١٣١، الفخري، ص ٢٤٦).

<sup>١٧٥</sup> ن.م.، ص.٥، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، ١٩٥، فلوگل، ١٣٥، أرشاد، VII ص ١١٣-١١٥). ملاحظة: إن ابن الماشطة مذكور في الفهرست، تحقيق فلوگل في الصفحة ١٣١ وليس في الصفحة ١٣٥ كما ذكر.

(١٤) ابو الحسن علي بن يوسف الكاتب هاشكمانجه<sup>١٧٦</sup> المعاصر لابن النديم، كتب كتاباً معرفاً وموضحاً لمسائل الخارج: (كتاب الافصاح والتنقيف في الخارج والرسوم)<sup>١٧٧</sup>. [ملحوظة: ان الاسم كما هو وارد في الفهرست هو: ابو الحسن علي بن وصيف خشكناكة الكاتب<sup>١٧٨</sup>، وفي ارشاد اريب: علي بن وصيف الملقب بخشكنانجة الكاتب<sup>١٧٩</sup>. واما الاسم كما ذُكره اعلاه غير متأكد منه رُبما قد نقلت يوسف بدلاً من وصيف وهاشكمانجه بدلاً من خشكنانجه وليس معنى نسخة من الكتاب وأنما جُذادات مانقلت منه].

(١٥) كتب عبدالرحمن بن عيسى وزير المقتفي (٩٤٠/٣٣٠-٩٤٣/٣٣٣)، كتاباً عن تاريخ اهل الخارج: (أهل الخارج) من نشوءه وقد بدأ بكتابه كتاب الخارج بصورة موسعة ولكن لم يكمله<sup>١٨٠</sup>.

(١٦) وينسب لاسحاق بن يحيى بن سريج النصراني الكاتب [معاصر آخر لابن النديم، الذي كان حياً عندما كُمل الفهرست عام

<sup>١٧٦</sup> سوف انقل ما كتب عنه في الفهرست وفي ارشاد الاريب.

<sup>١٧٧</sup> المصدر السابق، ص٥، وأشار في الهامش الى (الفهرست ٢٠٠ فلوطل، ١٣٩،

ارشد ٧ ص٤٣٥)

<sup>١٧٨</sup> ص ١٣٩.

<sup>١٧٩</sup> ٤٣٥/٥.

<sup>١٨٠</sup> الضريبة في الاسلام، ص٥، وأشار في الهامش الى (الفهرست، ص١٨٦، فلوكل ١٢٩).

[٢٧٧هـ]، كتابان: (كتاب الخراج)، كبير ويحتوي على مجلدين بالف صفحة، وصغير بمائة صفحة<sup>١٨١</sup>.

(١٧) كتاب الخراج: نوّه عنه حاج خليفة على انه كُتب من قبل ناصر بن موسى الرازي الحنفي<sup>١٨٢</sup>.

(١٨) مجد في الفهرست: كتاب الخراج لعبدالله بن العرمم أبي القاسم<sup>١٨٣</sup>.

(١٩) ومن قبل محمد بن احمد بن علي بن خيار [Khiyar]<sup>١٨٤</sup>. الكاتب

(٢٠) ينوه ياقوت: على انّ علي بن احمد بن بسطام ك(صاحب الخراج)<sup>١٨٥</sup>.

(٢١) ويُلاحظ في الفهرست فقيه شيعي بأسم ابي النصر محمد بن مسعود العياشي، كمؤلف ل(كتاب الجزية والخراج)<sup>١٨٦</sup>. تنتهي بالعياشي قائمة مؤلفي الخراج المترجمة نصاً عن كتاب الضريبة في

<sup>١٨١</sup> ن.م.، ص٥، وأشار في الهاشم الى (الفهرست ١٩٥، فلوگل ١٣٥، ارشاد ١١ ص ٢٣٨).

<sup>١٨٢</sup> ن.م.، ص٥، وأشار في الهاشم الى (خليفة ١٤١٥).

<sup>١٨٣</sup> ن.م.، ص٥، وأشار في الهاشم الى (الفهرست ص ١٨٦ فلوگل ١٢٩).

<sup>١٨٤</sup> ن.م.، ص٥، وأشار في الهاشم الى (الفهرست ١٩٥ فلوگل ١٣٦).

<sup>١٨٥</sup> ن.م.، ص٦، وأشار في الهاشم الى (ارشاد، ٧ ص ٢٢٤).

<sup>١٨٦</sup> المصدر السابق، ص٦، وأشار في الهاشم الى (الفهرست، الصفحات ٧-٢٧٤ فلوگل ١٩٤).

الاسلام، أدرجناها هنا للافادة منها وسوف نقدم تعريفاً لغير المشهورين منهم بعد الانتهاء من التنبيه الى عدم اعتبار ابى عبدالله احمد بن محمد بن نصر الجيهاني من مؤلفي الخراج. إذ رُبما تؤدي القراءة السطحية السريعة لنص بروكلمان المركز عن الوزير الساماني، في كتابه: *تأريخ الادب العربي* (٤-٢٤٤)، الى التوهم بأن الجيهاني الوزير الجغرافي - الرياضي كان من مؤلفي الخراج ايضاً. ذلك لأن بروكلمان كتب عنه: ((احمد بن محمد بن نصر الجيهاني، وزير نصر بن احمد بن نصر الساماني (٢٦١-٢٧٩) / (٨٧٤-٨٩٢) كتب في بخارى بين سنتي ٢٧٩ و٢٩٥ هـ (٩٠٧ م) على اساس كتاب الخراج لقدامة كتاباً اكثراً تفصيلاً الى حد بعيد. وقد ضاع اصل هذا الكتاب، لكن رُبما كان المرجع الذي اعتمد عليه الاريسسي في وصف آسيا)).<sup>١٨٧</sup> إن بروكلمان بتكييف القول في هذا النص، والتركيز المكثف قد يحمل معه عسر الفهم احياناً، قد اعطى فكرة غير دقيقة

<sup>١٨٧</sup>- *تأريخ الادب العربي*، ٤/٢٤٤، وقد اشار الى مصادره، فذكر: (*الفهرست* ١٣٨ سن ٤، المقدسي، ص ١٩ وما بعدها، ياقوت، *الارشاد* ٩٥/٢ وكذلك:

-Sprenger, Poot-and Reioerouten, AKM, III, ٣, S. XIII.

- J. Marauart, O tewropacizevhe and ortoo. Stieifguege, ٢٠٦, ٤٦٦-٤٧٣.

- Hergfeld, Eph. On. ١٩٢٠, N. ٢٨, S. ٧. (هرتسفلد)

- St. Janice , BOS V, ١٥-٣٦.

ويذكر هرتسفلد (في المرجع المذكور) ان اصل كتاب الجيهاني محفوظ في مكتبة جامع مشهد، ولكن هذا القول نتيجة سوء فهم للمعلومات التي اوردتها احمد زكي وليدي، انظر: (*المجلة الجغرافية*. Geogr. Zeitschr. سنة ١٩٣٤، ٣٦٨، ص ٢٤٤-٢٤٥).

عن اعتماد الجيهاني في كتابة مؤلفه، الذي لم يسمه كما لم يشر إلى محتوياته صراحة هنا، مثلاً فعل في كتابه: تاريخ الشعوب الإسلامية، حيث كتب عنه: ((وفي بلاط اسماعيل الساماني ٨٩٢-٩٠٧) ألف الوزير الجيهاني كتاباً لم يصلنا، استطرد فيه من بحث الضرائب إلى وصف البلدان المجاورة))<sup>١٨٨</sup>، على كتاب الخراج لقدامة، مما يوحى بأن الجيهاني اطلع على مؤلف قدامة في الخارج، وهذه مسألة معقدة تحتاج إلى نقاش كثير لأندخل في دقائق تفاصيلها إلا بالقدر الذي يسمح به المجال هنا. إننا نجد أن هذا الاستنتاج لا ينسجم ولا يتطابق مع توارييخ تأليف كتابي الجيهاني وقدامة ولا من حيث أسانيدهما ومن أخذ عنهما، كما أن كتاب قدامة لا يعتبر مصنفاً جغرافياً، وأنما كتاب في الخارج، إلا أنه يشكل، بحكم تناوله - خلافاً - لما سبقه من كتب الخارج - التأريخ والجغرافيا والحياة الاجتماعية - كعناصر مساعدة للتوضيح الخارج وصنعة الكتابة وما يتعلّق بهما، يشكل مدخلاً للشؤون الإدارية، بينما كتاب الجيهاني مؤلف جغرافي وليس في الخارج، وإن تدرج فيه - كما يقول بروكلمان نفسه - من الضرائب إلى وصف البلدان المجاورة. ولهذا وجدنا أن ابن النديم وياقوت الحموي يسميان مؤلف الجيهاني بكتاب مسائل الممالك ولم يطلعا عليه كتاب الخارج مطلقاً. كتب ابن النديم: ((الجيهاني، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن نصر وزير صاحب خراسان وله من الكتب

---

<sup>١٨٨</sup> ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعليكي، ط٥، بيروت، ١٩٦٨م، ص ٢٦٥.

كتاب المسالك والممالك كتاب آئين مقالات كتب العهود للخلفاء والامراء كتاب الزيادات في كتاب آئين في المقالات كتاب رسائل<sup>١٨٩</sup>. وكتب ياقوت الحموي: ((احمد بن محمد بن نصر الجيهاني ابو عبدالله وزير نصر بن احمد بن نصر الساماني صاحب خراسان كان أديباً فاضلاً ذكره محمد بن اسحاق النديم وقال له من الكتب كتاب آئين. كتاب العهود والخلفاء والامراء. كتاب المسالك والممالك. كتاب الزيادات في كتاب الناشئ من المقالات .. الخ))<sup>١٩٠</sup>.

<sup>١٨٩</sup> الفهرست، تحقيق فلوگل، ص ١٣٨.

<sup>١٩٠</sup> إرشاد الاربيب، (تسلسل الترجمة ٢٢، ٢، ٥٩). لقد أورد ياقوت خبراً عن الجيهاني جاء فيه: ((... صرفت عنه الوزارة في شهر ربيع الآخر سنة ٣٦٧هـ ووليها ابو الحسين عبدالله بن احمد العتبى)، ارشاد، ٦٠/٢. بينما ورد في تاريخ بخاري [تأليف ابي بكر محمد بن جعفر الترشخي، ٢٨٦هـ/٨٩٩م-٤٨٥هـ/٩٠٩م، وقد انتهى من تأليفه عام ٩٤٣هـ/١٦٥م] مع اضافات بعد هذا التاريخ لآخرين، تحقيق وتعريب عن الفارسية، د. امين عبدالمجيد بدوي ونصرالله مبشر الطرازي، القاهرة، ١٩٦٥م] في احداث محرّم عام خمس وستين وثلاثمائة هجرية (٩٧٥) عن وفاة منصور من نصر بن احمد بن اسماعيل الساماني وتولى ابنه نوح، ورد مايلي: ((وصار ابو عبدالله محمد بن احمد الجيهاني وزيراً (له) ثم اعتذر لشيخوخته)) ص ١٣٤، ثم يذكر ((ومضت بعده مدة يومين او ثلاثة اخرى وعندئذ صار الامير محمد بن عبدالله بن عزيز وزيراً)، ص ١٣٤. وعلى الرغم من الاختلاف الواضح، في بعض التسميات والتاريخ، بين روایتين: تاريخ بخاري وإرشاد الاربيب، فإنهما متتفقان على موضوع استیزار الجيهانی بالآخر في بداية حكم الامير نوح حفید الامیر نصر الساماني [٣٦٥هـ تاريخ بخاري، ٣٦٧هـ إرشاد]. ويثير هذا الخبر فقية تحتاج الى نقاش طويل، لمجال للخوض فيه الان، فهو غير قابل للتصديق، ليس لجهلنا تاريخ وفاة الجيهاني فحسب، وأئما ايضاً لسعة المسافة

لقد تصدّى كراتشковسكي، الذي ثمن بشكل دقيق جهود الوزير الساماني العلمية والثقافية في نشر المعلومات الجغرافية والرحلات والفلك، إلى أراء بروكلمان بالنقد والتجريح والنقاش المثير فيما يخص اعتماد الجيهاني على مؤلف قدامة واعتماد الأدريسي في وصف آسيا على أوصاف الجيهاني الجغرافية. كتب كراتشковسكي، بعد أن تحدث عن الجيهاني واهتماماته، يقول: ((...) واسم الكتاب فيما يبدو كان، وفقاً للعرف السائد، هو كتاب المسالك والممالك أنه يظهر أحياناً عنوان أكثر تعقيداً هو كتاب المسالك في معرفة المالك)<sup>١٩١</sup>. وليس من المستطاع إثبات تاريخ تأليف هذا الكتاب الذي كثرت حوله الآراء والمعلومات الخاطئة إلاّ بصورة تقريبية. ويفترض بروكلمان<sup>١٩٢</sup>، ويظاهره في هنا هير Heer<sup>١٩٣</sup>

## بنكهی زین

---

الزمنية المفروضة، الطويلة نسبياً [ترواح بين ١٠٦-٨٦ عاماً]، بين استئزاره إبان حكم نصر الساماني [٩٢٦١/١٠٧٤-٨٩٢/٥٢٧٩م]، وافتراض توليه مسؤولية الوزارة للمرة الأخيرة في بداية حكم الأمير نوح الساماني [٩٣٦٥/٥٣٦٧]. لقد ورد اسم الجيهاني في تاريخ بخاري بصيغ متعددة: [أبو عبد الله الجيهاني، ص ٦-٧٥، أبو عبدالله محمد بن احمد الجيهاني، ص ١٣٤] ولم يجد المحققان رايهم بشأن ذلك.

<sup>١٩١</sup> تاريخ الادب الجغرافي العربي، ٢٢١/١، وأشار في الهاشم رقم (١٠) ص (٢٣٨) إلى:

Reinaud, Imthoduction, P. LXIII

<sup>١٩٢</sup> ن.م.، ٢١١/١، وأشار في الهاشم رقم (١١) ص (٢٣٨) إلى: Bnachalmann GAL,

I, P. ٢٢٨, No. I

<sup>١٩٣</sup> ن.م.، ٢٢١/١، وأشار في الهاشم رقم (١٢) ص (٢٣٨) إلى: Heel, P. ٢١, No. ٦

وسارتون<sup>١٤</sup>، أن الكتاب قد تم تاليفه بين عامي ٩٢٧٩ـ٩٢٩٢ م Sarton و ٩٠٧ـ٩٢٩ م. ولكن يضعف هذا الرأي اعتبارات زمنية، منها التقاوئ بجغرافيين ورحلة آخرين، وأنه قد استوزر لامير ساماني صغير السن هو نصر الثاني بن احمد ٩٤٣ـ٩٣١ـ٥٣٠١ هـ في أوائل سني حكمه<sup>١٥</sup>. ويدلل بارتولد استناداً على رواية كردizi أن الجيهاني قد وضع مؤلفه في ذلك الحين، ومن ثم فهو يميل إلى الافتراض بأن ذلك قد تم قبل عام ٩٢٢ـ٩٣١٠ هـ<sup>١٦</sup>. وتاريخ وفاة الجيهاني غير معروف لنا، أما قول جرجاس Gargas<sup>١٧</sup>، بأنه قد توفي عام ٩٥٦ فهو سهو واضح.

إذا ما اعتبرنا ان الكتاب قد تم تاليفه قريباً من عام ٩٢٢ـ٩٣١٠ هـ فيجب ان نطرح جانباً بعض المزاعم القائلة بعلاقة الجيهاني بجغرافي

## بنکھی زین

[www.zheen.org](http://www.zheen.org)

<sup>١٤</sup> ن.م.، ٢٢١/١، وأشار في الهاشم رقم (١٢) ص (٢٣٨) الى: Sarton, Imthoduction, I, P. ٦٣٥-٦٣٦

وكتب المترجم اسم [ارتون] بالصاد وليس بالسين ونفضل تسميته بسارتون مثلاً فعل مترجمو كتابه [أربیخ العلم] إلى اللغة العربية، [ورج سارتون، تأریخ العلّم، ستة أجزاء، ط٢، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٧٢ م]<sup>١٥</sup>

<sup>١٦</sup> ن.م.، ٢٢١/١، وأشار في الهاشم رقم (١٤) ص (٢٣٨) الى: Marhuart, Svieipzuge, P. XXXI-Hudud, P. ١٦٨.

<sup>١٧</sup> ن.م.، ٢٢١/١، وأشار في الهاشم رقم (١٥) ص (٢٣٨) الى: Bartold SV, I, P. ٤٢

<sup>١٨</sup> ن.م.، ٢٢١/١، وأشار في الهاشم رقم (١٦) ص (٢٣٨) الى: G. irgoo, P. ١٩٥

الجيل المعاصر له. ويرى بروكلمان<sup>١٩٨</sup>، ((ان الجيهاني قد أعتمد في وضع كتابه على كتاب الخراج لقادة بن جعفر وهو زعم لاتدحضه اعتبارات زمنية فحسب، لأن قادة كتب بعد الجيهاني او على الاقل في وقت واحد معه، بل أيضاً مانعرفه عن مصنف الاخير)).<sup>١٩٩</sup>

لإيغري أن إيرادنا بعض المعلومات عن أبي عبدالله الجيهاني وطرفًا من المناقشات حول العلاقة بين مؤلفه (كتاب المسالك والممالك) وكتاب (الخراج) لقادة قد دفعنا اليه اغفال السيد المحقق ذكر الجيهاني في مقدمته لكتاب الخراج، على الرغم من أهمية ذلك لقارئ كتاب الخراج لقادة.

#### ترجم غير المشهورين من مؤلفي الخراج:

نذكر في أدناه ترجم البعض مؤلفي الخراج غير المشهورين الواردین في قائمة ابن شمش -المثبتة اعلاه- حيث وردوا من غير تعريف في قائمته:

<sup>١٩٨</sup> ن.م.، ٢٢١/١، وأشار في الهاشم رقم (١٧)، ص (٢٣٨) الى: Bhobelann GAL, I, P. ٢٢٨, No. ٩

<sup>١٩٩</sup> ن.م.، ٢٢١/١، لقد أورد كراتشكوفسكي -كما أوردناه سابقاً- عن مؤلف الخراج لقادة خبراً بأنه قد تم تأليفه على ما يبدو حوالي عام ٩٢٨/٥٢٦م، تاريخ الادب الجغرافي، ١٦٥/١ وعلى هذا الاساس يكون مؤلف الجيهاني قد ظهر قبل مؤلف قادة بما يزيد عن سبعة اعوام.

**ابن يسار، ابو عبد الله معاوية بن يسار الاشعري بالولاء** (١٠٠-١٧٠هـ/٧٨٩-٧١٨م)، كتب عنه الزركلي: ((من كبار الوزراء، أصله من طبرية، من بلاد الاردن <sup>(٢)</sup>). أشتغل بالحديث والادب. واتصل بالمهدي العباسى قبل خلافته. فكان كاتبه ووزيره. وكان المهدى يعظمه ولا يخالفه في شيء يشير به عليه. ولما آلت الخلافة إلى (المهدى) فوض إليه تدبير المملكة والدواوين، فنهض بالاعباء وجعل للوزارة شأنًا. وكان أوحد الناس في عصره حذقاً وخبرة وكتابة. وصنف كتاباً في (الخارج) ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده. وهو أول من صنف كتاباً فيه، وكان شديد التكبر والتجبر، مع وفرة الخبرة والاحسان. استمر إلى أن تولى الربيع بن يونس حجابة المهدى، فأفسد ثقة المهدى به، فعزله بعد أن قتل أباً له بتهمة الرزندقة. ومات معنولاً. قال ابن الخطيب: أمثلت جسور بغداد يوم وفاته بمواليه واليتامى والارامل والمساكين، وصلى عليه علي بن المهدى، ودفن بمقبرة قريش ببغداد <sup>(٣)</sup>.

**حفصويه:** ذكره ابن النديم في الفهرست، فقال عنه: ((وكان من أفضل كتاب الخارج متقدماً في صناعته وهو أول من ألف في الخارج كتاباً وله من الكتب كتاب الخارج كتاب الرسائل)) <sup>(٤)</sup>. وعلى الرغم من أنّ ابن النديم اعتبر حفصويه أول من كتب في الخارج إلا أنّ ترتيبه في

<sup>(١)</sup> الأعلام، ١٧٤/٨، وأشار في الهاشم إلى (المرزباني ٣٩٥ وتاريخ بغداد ١٩٧/١٣، والفارسي ١٣٣ وهو فيه (معاوية بن يسار)).

<sup>(٢)</sup> الفهرست، ص ١٣٥.

قائمة كتاب الضريبة في الاسلام قد جاء ثانياً؟ وذكره بارتولد [المؤلفات الكاملة، الجزء الاول، الترجمة العربية، ص٦٧] (كتاب في الخراج لحفص بن منصور المرزوقي كاتب علي بن عيسى والي خراسان).

ابو علي الحسن بن زياد اللؤلوي (ت ٢٠٤ هـ/١١٩ م):

كتب عنه ابن التديم، فقال: ((اللؤلوي، وهو الحسن بن زياد اللؤلوي ويكنى ابا علي من اصحاب أبي حنيفة ممن اخذ عنه وسمع منه وكان فاضلاً عالماً بمذاهب أبي حنيفة في الرأي وقال يحيى بن آدم ما رأيت افقة من الحسن بن زياد وتوفي سنة اربع ومائتين قال الطحاوي قوله من الكتب كتاب المجرد لابي حنيفة روايته كتاب أدب القاضي كتاب الخصال كتاب معاني الايمان كتاب النفقات كتاب الخراج كتاب الفرائض كتاب الوصايا)).<sup>٢٠٢</sup>.

وجاء عنه في الاعلام للزركلي: ((اللؤلوي، ابو علي الحسن بن زياد اللؤلوي الكوفي، قاض، فقيه، من اصحاب أبي حنيفة، أخذ عنه وسمع منه، وكان عالماً بمذهبة بالرأي، ولي القضاء بالكوفة سنة ١٩٤ هـ، ثم استعفى، من كتبه (أدب القاضي) و (معاني الايمان)، (النفقات) و (الخراج) و (الفرائض) و (الوصايا) و (الامالي). نسبته الى بيع

اللؤلؤ. وهو من اهل الكوفة، نزل ببغداد. وعلماء الحديث يطعنون في روايته. وكان أبوه من موالى الانصار<sup>٢٠٣</sup>.

ابوبيكر/احمد بن عمر الشيباني الخصاف (ت ٢٦١هـ/٧٥م):

كتب ابن النديم عنه: ((الخصاف وأسمه احمد بن عمر بن مهير الشيباني الخصاف ويكنى ابابكر وكان فقيهاً فرضياً حاسباً عالماً بمذاهب اصحابه متقدماً عند المهتمي حتى قال الناس هو ذا يحيى دولة ابن ابي داود ويقدم الجهمية وعمل الخصاف للمهتمي كتابه في الخارج فلما قُتل المهتمي ثُبَّ الخصاف فذكر ان بعض كتبه ذهبت وفي جملته كتاب عمله في المناسب لم يكن خرج الى الناس وتوفي سنة .. وله من الكتب كتاب الحيل كتاب الوصايا كتاب الشروط الكبير كتاب الشروط الصغير كتاب الرضاع كتاب لمحاضر والسجلات كتاب ادب القاضي كتاب الخراج المهتمي كتاب النفقات كتاب اقرار الورثة بعضهم لبعض كتاب العصير واحكامه وحسابه كتاب النفقات على الاقارب كتاب احكام الوقوف كتاب ذرع الكعبة والمسجد والقبر)<sup>٢٠٤</sup>.

كتب عنه بروكلمان: ((ابوبيكر احمد بن عمر (او عمر) الشيباني الخصاف، وكان على رأس الطبقة الثالثة من فقهاء الحنفية. وكان ايضاً من خاصة الامير محمد بن الخليفة الواقف. وقد افضلت الخلافة

<sup>٢٠٣</sup> الاعلام، ٢٠٥/٢، وذكر مصادره: (الفوائد البهية ١٠، وأنساب السمعاني، وميزان الاعتدال، ٢٢٨/١، وتأريخ بغداد ٣١٤/٧).

<sup>٢٠٤</sup> الفهرست، ص ٢٠٦.

إلى هذا الأمير سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م، وتسمى بالمهتمي بالله، ولم تكن تمضي سنة على خلافته حتى قتله الاتراك. فكان من نتاج ذلك أن نهبوا أيضاً بيت الخصاف. وضاعت كتبه. وتوفي الخصاف بعد ذلك سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م. وكتبه:

١. كتاب أحكام الأوقاف، نشر بالقاهرة، ١٣٢٢هـ.
٢. كتاب ادب القاضي، وعليه شروح.
٣. كتاب الحيل والمخارج، نشر في القاهرة، ١٣١٦هـ.
٤. كتاب النفقات، نشر في حيدر آباد (١٣٤٩هـ).

كما كتب عنه الزركلي، وقد اعتمد على ابن النديم، كما يلاحظ، فقال: ((الخصاف أبو بكر أحمد بن عمر بن مهير الشيباني المعروف بالخصاف: فرضي حاسب فقيه. كان مقدماً عند الخليفة المهتمي بالله، فلما قُتل المهتمي نهب ذهب بعض كتبه. وكان ورعاً يأكل من كسب يده. توفي ببغداد، له تصانيف منها: (أحكام الأوقاف - مطبوع) و(الحيل - مطبوع) و(الوصايا) و(الشروط) و(الضياع) و(المحاضر

---

<sup>٢٠٠</sup> تاريخ الأدب العربي، ٢٦١-٢٥٩/٣، وذكر مصادره: (الفهرست لابن النديم، ٢٠٦)، الجوائز المضيئة لابن أبي الوفاء، ٨٧/١، الفوائد البهية للكنوي، ١٧، طبقات ابن قططويغا، رقم ١٥ وانظر: Fliigel, Die Khom d. Lelenolesehr, ٢٩١

والسجلات) و (ادب القاضي) و (النفقات على الاقارب) و (درع الكعبة) و (الخراج) وغير ذلك<sup>٢٠٦</sup>.

**ملاحظة:** ورد اسم الكتاب ما قبل الاخير لدى الزركلي باسم (درع الكعبة) ولدى ابن النديم باسم (ذرع الكعبة والمسجد والقبر) مما يقتفي التنبيه ولربما يعود ذلك الى الخطأ الطباعي والسهوا في كتاب الاعلام للزركلي.

#### ابو عباس احمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب

(ت ٤٢٧ هـ ٨٨٤ م):

كتب عنه ابن النديم، فقال: ((ابن بشار احمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب استاذ أبي مجذال الله الكوفي الوزير وكان احد افضل الكتاب بلاغة و صناعة وله من الكتب كتاب الخراج الكبير ورأيت المسودة بخطه نحو الف ورقة، كتاب البيوتات والمنادمة بخطه<sup>٢٠٧</sup>). وكتب ياقوت الحموي عنه: ((احمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب. ذكره محمد بن اسحاق النديم، فقال هو استاذ أبي عبدالله الكوفي الوزير وكان احد افضل الكتاب بلاغة

<sup>٢٠٦</sup> الاعلام، ١٧٨/١، وذكر مصادره: (تاج التراجم لابن قطليوبا - مخطوط - وابن النديم الفن الثاني من المقالة السادسة والجواهر المضيئة ٨٧/١ وهو فيه (احمد بن عمرو وقيل عمر).

<sup>٢٠٧</sup> الفهرست، تحقيق فلوكل، ص ١٣٥.

<sup>٢٠٨</sup> ارشاد الاريب، ٥٨/٢، وذكر في الهاشم: (ورد في الفهرست نسخة القاهرة (استاذي أبو).

وفصاحة وله كتاب الخراج نحو الف ورقة وكتاب الشراب  
٢٠٩ . والمنادمة).

#### ابو عباس احمد بن محمد بن عبدالكريم بن سهل الكاتب

(٤٢٧٠ هـ/٨٨٣ م):

ابن النديم فقال عنه: ((ابن عبدالكريم، أسمه أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن أبي سهل ويقال أبو سهل الأحوال ويكنى أبا العباس من متقدمي الكتاب وأفاضلهم وكان عالماً بصناعة الخراج متقدماً في ذلك على أهل عصره وتوفي سنة سبعين ومائتين وله من الكتب كتاب الخراج)).<sup>٢١٠</sup>

وكتب عنه ابن خلكان، ترجمة مقتضبة جداً، فقال: ((احمد بن محمد الكاتب، ابو العباس احمد بن محمد بن عبدالكريم بن سهل، الكاتب، صاحب كتاب الخراج. توفي سنة سبعين ومائتين، رحمه الله، ولم اعلم من حالة شيئاً حتى ذكره، وكتابه مشهور، وما ذكرته إلا لاجل كتابه، فقد يتسوق الواقع عليه الى معرفة زمانه)).<sup>٢١١</sup> ومن ابن خلكان فقط استقى الزركلي معلوماته عنه، فقال: ((ابن سهل، احمد بن محمد بن عبدالكريم بن سهل الكاتب، ابو العباس، صاحب كتاب (الخراج) قال

<sup>٢٠٩</sup> ن.م.، ٥٨/٢، وذكر في الهاشم: (فهرست البيوتات وهو ظاهر التصحيف).

<sup>٢١٠</sup> الفهرست، تحقيق فلوكل، ص ١٣٥، وقد ذكر الاسم (ابن عبدالكهم) وذلك خطأ طباعي والصحيح، -طبعاً- عبدالكريم، كما ثبتناه في النص.

<sup>٢١١</sup> وفيات الاعيان، تسلسل الترجمة (٤١)، ٨٤/١.

ابن خلكان: "لم اعلم من حاله شيئاً، وكتابه مشهور، وما ذكرته إلا لاجل كتابه فقد يتשוק الواقف عليه إلى معرفة زمانه)".<sup>٢١٢</sup>

يرى ابن شمش -كما مرّ بنا- أن صاحب هذه الترجمة ربّما يتطابق مع صاحب الترجمة السابق له ولكنّا نرى أن التطابق موجود فقط بالكنية والاسم الأول والثاني لكلّ منهما وفي سنة الوفاة والوظيفة وتأليف كتاب الخراج إلا ان الاسم الثالث والرابع لكلّ منهما غير متطابق ومن هنا يأتي الاختلاف.

#### الوزير أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمد:

لاتتناسب ضيّالة واختلاف معطيات المصادر عنه مع مكانته الاجتماعية والسياسية ككاتب جليل القدر وكوزير في الدولة العباسية، فالأخبار الواردة عنه قليلة جداً لاتتجاوز بضعة أسطر مبعثرة هنا وهناك، وحتى مسكونيه<sup>٢١٣</sup>، الذي تناوله أكثر من سواد، لا يعطينا صورة واضحة ودقيقة عنه، ولا تتعدى الاخبار عنه في المصادر كافة عن ذكر ممارسته الامور الكتابية والشؤون المالية في الدواوين وعن محاسبته وارغامه على دفع المال [تترواح بين ١٠٠-

<sup>٢١٢</sup> الأعلام، ١٩٤/١.

<sup>٢١٣</sup> تجارب الامم، بتصحيح وأعتماء هـ. فـ. آمدون، القاهرة، ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ٢١١/١-٢٤٦.

٢٠٠ الف دينار<sup>٢١٤</sup>، واستيقاره لفترات محدودة، لاتتجاوز بضعة اشهر في كل مرة، كانت الوزارة الاولى في خلافة المقتدر بالله العباسى، في نهاية عام ٣١٤هـ وبداية عام ٣١٥هـ، نيابة عن الوزير على بن عيسى، الذي كان في سوريا عند تعيينه، والثالثة مع بدء خلافة القاهر بالله، في نهاية عام ٣٢٠هـ [لم يتطرق اليها ابن الاثير]، نيابة أيضاً، عندما أخطر القاهر بالله على قبول تعيين المرشح للوزارة ابى علي محمد بن سقلة وتعيين ابى القاسم عبیدالله وزيراً ثائباً عنه لغيابه في ايران على ان تكتب -كما ذكر عربـ<sup>٢١٥</sup>، الكتب الى العمال باسم ابن مقلة.

أما الوزارة التي اصبح فيها وزيراً اصيلاً فهي الوزارة الثانية وفي خلافة المقتدر بالله عام ٣١٩هـ ودامت شهرين<sup>٢١٦</sup>، بعد وزارة ابى القاسم سليمان ابن الحسن بن مخلد الجراح [خلط المؤلف المجهول لكاتب العيون والحدائق اسم الوزيرين فأدمجهما حينما قال لدى

<sup>٢١٤</sup> العيون، ١٠٠ الف دينار، الجزء الرابع، القسم الثاني، ص٦، تكميلة تاريخ الطبرى، ٢٠٠ الف دينار، ص٢٧٦.

<sup>٢١٥</sup> صلة تاريخ الطبرى، ص٤، من كتاب ذيول تاريخ الطبرى، تحقيق ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٧م.

<sup>٢١٦</sup> عرب، صلة تاريخ الطبرى، ص٠، ابن الاثير [شهرين وثلاثة ايام] الكامل، ٢٣٢/٨، ابن الطقطقى، الفخرى، ص٢٧٣.

تعداده لوزراء المقتدر: وسليمان بن الحسن بن مخلد الكلوذاني<sup>٢١٧</sup>، ولم تلاحظ محققة الكتاب، الاستاذة نبيلة عبد المنعم داود هذا التداخل]. لقد كان ترشيحه للوزارة يتم في كلّ مرة من قبل المتنفذين المهيمنين الاتراك ولا قبل لل الخليفة على أبداء أي اعتراضٍ على ترشيحاتهم.

لم تكن لأبي القاسم عبيد الله شخصية متميزة نافذة واهتمامات مبدعة وكفاءات نادرة خارج نطاق عمله الروتيني واحتضانه الوظيفي بالدواوين الحكومية. أما استیزاره فكان يجري بطرق ملتوية من خدمة مصالح المتنفذين والتزلف اليهم وارشائهم، ذكر مسكونيه ان ابابكر بن قرابة كان يلزم دار الكلوذاني، أبي القاسم عبيد الله، ويقرضه بريح درهم في كل دينار [الضمير يعود على الخليفة المقتدر ومفلح الاسود] فأفترضه مائتي الف دينار مشى بها أمر الكلوذاني<sup>٢١٨</sup>، لهذا لانستغرب إذا كانت وزاراته نيابة وقصيرة، وربما كان هذا سبب قلة عنانية المؤرخين بتفاصيل حياته مما جعل معطيات المصادر عنه نزرة شحيحة. ونورد أدناه بعض النصوص التي توضح ما ذكر أعلاه: كتب عريب بن القرطبي (ت ٩٧٦هـ/١٣٦٦م): ((وكان عبيد الله بن محمد الكلوذاني أحد الكتاب

<sup>٢١٧</sup> كتاب العيون والحدائق، الجزء الرابع، القسم الاول، تحقيق نبيلة عبد المنعم، بغداد، ١٩٧٢م، ص ٣٦٠، [من الصعب تحديد القرن الذي عاش فيه المؤلف المجهول لهذا الكتاب، يظن البعض انه من القرن الرابع وآخرون يرون أنه في السادس او السابع].

<sup>٢١٨</sup> تجارب الامم، ٢١٣/١.

الكبار، وجليلاً في نفوس الناس، فقدروا [الضمير يعود من دون شك] على المتنفذين الاتراك ح. ق. العزيز] ان فيه كفاية بالامر، فأقام على الوزارة شهرين وهو متبرّم بها لضيق الاموال وكثرة الاعترافات واتصال الشغب وقعود العمال عن حمل المال. فأستعفي وقال: ما اصلاح ان اكون وزيراً فصرف عنها)).<sup>٢١٩</sup> وقال ابن النديم: ((أبو القاسم عبيد الله بن احمد بن محمد بن عبدالله بن الحسين بن الحسن بن خسرو فيروز بن ابي المهروان بن ارشيد بن بابك الكلوذاني صاحب ديوان السواد وخلف ابا الحسن علي بن عيسى ورأس جلة الكتاب ثم وزر بالاسم ونشأ في ديوان ابي الفرات وموالده قبل الثلاثاء وتوفي وله من الكتب كتاب الخراج نسختان الأولى حملها في سنة ست وعشرين والثانية في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة)).<sup>٢٢٠</sup>

وكتب المؤلف المجهول لكتاب العيون والحدائق: (( وأشار على القاهر ان يستوزر ابا علي بن مقلة وان يتوب عنه الان الى ان يقدم من فارس ابو القاسم الكلوذاني فامضي القاهر ومؤنس ذلك وكتب الى ابي علي بن مقلة بالاسراع والي ياقوت بحمله وتعجبله)).<sup>٢٢١</sup> كذلك

<sup>٢١٩</sup> صلة تاريخ الطبرى، ص ١٤٠.

<sup>٢٢٠</sup> الفهرست، تحقيق فلوگل، ص ١٣١، لقد ورد في النص (ابي الفرات) وال الصحيح هو ابن الفرات، كما وان كلمة الاولى كتب اوله وكتبناها بشكلها الصحيح مما اقتضى التنوية.

<sup>٢٢١</sup> الجزء الرابع، القسم الاول، ص ٣٦٣، وقد ورد نفس هذا النص في الجزء الاول، القسم الثاني للحقيقة نفسها، بغداد، ١٩٧٣، ص ٤ مع اختلاف في نسبته القسم الاول: الكلوذاني [ص ٣٦٠، ٣٦٣] بينما في القسم الثاني: الكلوذاني [ص ٤، ٦].

ورد في العيون والحدائق: ((وقبض على الكلوذاني واحد خطبة بمائة الف دينار ونقله مع كتابه واسبابه الى ابي بكر بن قرابة))<sup>٢٢٣</sup>. وكتب عنه الهمذاني، محمد بن عبد الملك (ت ١١٢٧ هـ / ٥٢٠ م)، وهو يتحدث عن استيزاره ايام القاهر، فقال: ((واشار مؤنس ان يستوزر له على ابن عيسى، فقال بليق: وابنه على الحال الحاضرة لا يقتضى ذلك، لانها تحتاج الى سمح الكف واسع الاخلاق [فأشار بأبي علي بن مقلة وبيان يستخلف له الى ان يقدم من فارس ابو القاسم الكلوذاني])<sup>٢٢٤</sup> فرضي مؤنس بذلك، واستخلفوا له الكلوذاني، وكتبوا الى ياقوت بحمله عاجلاً<sup>٢٢٥</sup>، كذلك كتب الهمذاني عنه: ((قبض ابن مقلة على جماعة من العمال، منهم النوبختي اسحاق بن اسماعيل، وعلى الكلوذاني، وعبث عليه انه لم يراع اهله وقت غيبته، واحد خطه بمائتي الف دينار، وسلمه الى ابي بكر بن قرابة))<sup>٢٢٦</sup>. وكتب ابن

<sup>٢٢٣</sup> ج ٤، ق ٢، ص ٦.

<sup>٢٢٤</sup> اشار في الهاشم رقم (٢) الى ان الكلام المحصور بين الحابتين مأخوذ من تجرب الام لمسكويه.

<sup>٢٢٥</sup> تكميلة تاريخ الطبرى، ص ٢٧٣-٤، والكتاب جزء من كتاب ذيول تاريخ الطبرى تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، القاهرة، ١٩٧٧م ( وقد اشير اليه اعلاه).

<sup>٢٢٦</sup> ن.م، ص ٢٧٦، لقد وردت في النص جملة (علي الكتوذى) وفيها كلمة (علي) وعليها شدة بحيث تصبح اسماء: [علي] وليس حرف جر [على] بينما الواضح ان ترفع الشدة لتصبح الكلمة حرف جر وبها يستقيم المعنى: اي قبض على الكوادى.

<sup>٢٢٧</sup> ن.م، ص ٢٧٦. لقد ورد في العيون والحدائق - كما ذكر اعلاه- مائة الف دينار وهذا مائتا الف مما يقتضى التنوية.

الاخير: ((فلما صار الامر الى هذه الصورة اشار مؤنس المظفر بعزله [عزل الوزير الخصيبي ح. ق. العزيز]، وولادية علي بن عيسى، فقبض عليه، وكانت وزارته سنة وشهرين وأخذ ابنته واصحابه فحبسوا، وأرسل المقتدر بالله بالغد الى دمشق بالنيابة عن علي بن عيسى الى ان يحضر، فسار علي بن عيسى الى بغداد، فقدمها اوائل سنة خمس عشرة [وثلاثة]، واشتغل بأمور الوزارة، ولازم النظر فيها، فمشت الامور، واستقامت الاحوال))<sup>٢٢٧</sup>، وذكر ابن الاثير ايضاً: ((وكان المقتدر كثير الشهوة لتقليد الحسين بن القاسم الوزارة، فأمتنع مؤنس من ذلك، وأشار بوزارة ابي القاسم الكلوذاني، فاضطر المقتدر الى ذلك، فاستوزر لثلاث بقين من رجب [عام ٥٣١٩ هـ. ق. العزيز])<sup>٢٢٨</sup>، ثم يذكر اقالته من الوزارة ((.. فُعِلَ الْكَلُوذَانِيُّ فِي رَمَضَانَ، وَتَوَلَّ الْحَسِينُ الْوَزَارَةَ لِلْيَلَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ رَمَضَانَ أَيْضًا، وَكَانَتْ وَلَيْةَ الْكَلُوذَانِيِّ شَهْرِيْنَ وَثَلَاثَةَ أَيَّامَ)).<sup>٢٢٩</sup>

كتب ابن الطقطقى، محمد بن علي بن طباطبا، (ت ١٣٠٩ هـ/ ٩٧٠ م)، وهو يتحدث عن وزارة ابي القاسم عبيد الله في خلافة المقتدر في عام ٥٣١٩ هـ، فقال: ((لم تطل ايامه ولم يتمكن مما أراد وكثرت المصادرات في ايامه وشغب الجند وشتموه وترجموه وهو في السفينة، فلحل انه لا يدخل

<sup>٢٢٧</sup> الكامل، ٨/١٦٤، انظر: عربت، ويذكر ان علي بن عيسى كان في المغرب، صلة تاريخ الطبرى، ص ١١٢.

<sup>٢٢٨</sup> ن.م.، ٨/٢٢٥.

<sup>٢٢٩</sup> ن.م.، ٨/٢٣٢.

بعد ذلك في الوزارة وانقطع بداره و اغلق بابه، فكانت وزارته مدة شهرين<sup>٢٣٠</sup>). نكتفي بهذا القدر من النصوص عنه والملاحظ ان المصادر اختلفت فيما بينها في نسبة بعضها (المسعودي، عريب والهمذاني)<sup>٢٢١</sup> يطلق عليه الكلوذاني، بينما يطلق عليه البعض الآخر(المؤلف المجهول، والمسعودي ايضاً)<sup>٢٢٢</sup> الكلوذاني، وهناك فريق ثالث من المؤرخين: (مسكويه، ابن النديم، المؤلف المجهول، ابن الاثير وابن الطقطقي)<sup>٢٢٣</sup>، يطلق عليه الكلوذاني، إن اختلاف المؤرخين حوله وندرة ما كتبوا عنه أمر متوقع وهو ما حملنا على الاسهاب نوعاً في ذكر أخباره.

#### ابو الحسن علي بن الحسن المعروف بأبن الماشطة:

ذكره ابن النديم فقال: ((ابن الماشطة، وهو ابو الحسن علي بن الحسن ولقبه المظلوم بأبن الماشطة ولم يكن بعيد العهد وله صناعة تقدم في الحساب وصناعة الخراج وله من الكتب كتاب جواب المعنون

<sup>٢٣٠</sup> الفخرى في الاداب السلطانية، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٢٧٣.

<sup>٢٣١</sup> مرجو الذهب، ط٥، القاهرة، ١٩٦٧م، ٣٠٥/٣، صلة تاريخ الطبرى، ص ٢١٢

<sup>٢٣٨</sup> ،١٤٠، ١٥٤، تكميلة تاريخ الطبرى، ٢٤٩، ٢٧٣، ٤-٢٧٦.

<sup>٢٣٣</sup> المسعودي، التنبيه والاشراف، تحقيق البارون روزين، طبعة بيروت [بالاؤفسيت]، ١٩٦٥م، ص ٣٧٩، العيون والحدائق، ج ٤، ق ٢، ص ٤، ٦، ١٢٤.

<sup>٢٣٣</sup> تجرب الام، ١٥٠/١، الفهرست، ص ١٣١، العيون والحدائق، ج ٤، ق ٤، ص ٣٦٠. الكامل، ٨/٢٣٠-١٦٤، الفخرى، ص ٢٧٣-٤.

كتاب الخراج لطيف كتاب تعليم بعض المؤامرات<sup>٢٣٤</sup>). وكتب ياقوت الحموي عن ابن الماشطة وهو يشير الى اقوال ابن النديم ولكنه لم يكن دقيقاً ومصرياً في نقله لنصوص ابن النديم كما سنرى، وكان مارغليوث قد نوه الى ذلك ايضاً، وقال ياقوت الحموي: ((علي بن الحسن يلقب بابن الماشطة، الكاتب يكفي ابا الحسن ذكره محمد بن اسحاق وقال يلقب بابن الماشطة ظلماً<sup>٢٣٥</sup>، كان في أيام المقتدر وله صناعة في الخراج وتقدم في الحساب وله من التصانيف كتاب جواب المعنون. كتاب الخراج لطيف كتاب تعليم نقض<sup>٢٣٦</sup> المؤامرات)). قال المرزباني: ((ابو الحسن علي بن الحسن بن الماشطة الكاتب احد مشايخ الكتاب المتعارفون في اعمال السلطان العالمين بأمور الكتبة والخارج ورأيته شيئاً كبيراً بعد العشر والثلاثين وجاوز التسعين .. قال ابو علي التنوخي حدثني ابو الحسين علي بن هشام سمعت علي بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة وهو صاحب كتاب المعروف بجواب المعنون في الكتابة وعاش حتى بلغ مائة سنة وكان قد تقلد مكان ابي في ايام حامد لما غلب علي بن عيسى على الامور. قال سمعت الفضل بن مروان وزير المنتصر بالله بن المتوكل وذكر

<sup>٢٣٤</sup> الفهرست، ص ١٣٥ (تحقيق فلوكل).

<sup>٢٣٥</sup> ارشاد الاريب، ١١٣/٥، وقد ذكر في الفهرست (١٣٥) (ولقبه المظلوم بابن الماشطة يريد الخليفة المظلوم هو المقتدر. وهذا من غلطات المؤلف، انتهى تعليق مارغليوث وتنصيف بأن نص ابن النديم واضح.

<sup>٢٣٦</sup> ن.م.، ١١٤/٥، وقد ورد في الهاشم تعليق: (انه في الفهرست)

خبرًا. وقال في موضع آخر حدثني أبو الحسن الكاتب المعروف بأبن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب وتقلد في أيام حامد بن عباس (ديوان بيت المال) <sup>٢٢٧</sup>.

#### ابو الحسن علي بن وصيف خشكاناكه [خشكاناجة] الكاتب:

كان معاصرًا لأبن النديم وصديقاً له فكتب عنه: ((خشكاناكه الكاتب من اهل بغداد، وكان اكتر مقامه بالرقعة ثم انتقل الى الموصل واسمه علي بن وصيف ابو الحسن، وكان من البلغا في معناه والـف عدة كتب ونحلها عبдан صاحب الاسماعيلية وكان لي صديقاً وأنيساً، وتوفي بالموصل وكان يتشيع عليه من الكتب كتاب التشر الموصول بالنظم، كتاب صناعة البلاغة (ديوان شعره)، كتاب الفوائد)) <sup>٢٢٨</sup> لقد نقل ياقوت الحموي معلوماته عن أبي الحسن علي بن وصيف الكاتب من كتاب الفهرست لابن النديم غير انه خالقه في

<sup>٢٢٧</sup> ن.م.، ١١٤، ١١٥، إن مانقله ياقوت عن أبي علي المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم التنوخي، المتوفى سنة ٣٨٤ هـ فيه تصرف لأن التنوخي كتب: "حدثني أبو الحسين قال سمعت أبا الحسن علي بن الحسن الكاتب المعروف بأبن الماشطة وكان يتقلدها العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب وتقلد في أيام حامد بن العباس (ديوان بيت المال) قال سمعت الفضل وهو تحني عن أبيه وهو أبو الفضل بن مروان)، كتاب جامع التوارييخ، نشور المحاضرة واخبار المذاكرة، الجزء الثامن، دمشق، ١٩٣٠، ص ١٣-١٤.

<sup>٢٢٨</sup> الفهرست، فلوكل، ص ١٣٩.

تسمية كتبه، وقد ذكر محقق كتاب أرشاد الاربيب المستشرق مارغليو<sup>٣٣٩</sup> بأن رواية ياقوت اصح<sup>٣٣٩</sup>. كتب ياقوت عنه: ((علي بن وصيف الملقب بخشكتابجه الكاتب، من أهل بغداد وكان اكثراً مقامه بالرقّة ثم انتقل إلى الموصل، وكان من البلغا وalf عدّة كتب ونحلها عبدان صاحب الاسماعيلية. قال محمد بن اسحاق النديم وكان لي صديقاً وانيساً ومات بالموصل وله من الكتب كتاب الفصاح والتثقيف في الخارج ورسومه)).<sup>٣٤٠</sup>.

#### ابو علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح:

لم يكن عبد الرحمن بن عيسى ذا مواهب وكفاءات ومؤهلات متميزة تؤهله لتقدير الوزارة، وهي منصب خطير يلي مركز الخليفة احياناً في الهمية، بيد أنه كان أخوا الوزير الشهير أبي الحسن علي بن عيسى. فتقىد، بفضل هذه الصلة ولامكانياته المادية، الوزارة للخليفة العباسي الراضي، في عام ٣٢٤هـ، ولكن لافتقاره للشخصية النافذة وللخبرة الادارية فإنه أظهر عجزه في تمشية الأمور، فأستعفى

<sup>٣٣٩</sup> إرشاد الاربيب، ٤٣٥/٥، الهاشم رقم (١).

<sup>٣٤٠</sup> ن.م.، ٤٣٥/٥، وكتب في الهاشم الكتب المذكورة في الفهرست، ص ١٣٩، هذه ورواية المؤلف اصح.

من الوزارة بعد مدة قصيرة<sup>٢٤١</sup>، ((وتقلدتها للخليفة المتقي لله، في عام ٥٣٢٩هـ، ولكن من دون تسمية بالوزارة<sup>٢٤٢</sup>). لقد كان تكليف عبدالرحمن بن عيسى بالوزارة يتم بناءً على ترشيح أخيه علي، الذي كُلف أولاً بهاتين الوزارتين ولكنّه امتنع، فقد كان يعتذر باصرار ويرشح أخيه عبدالرحمن لهما<sup>٢٤٣</sup>). كان علي ذا شخصية نافذة وأبصر من أخيه عبدالرحمن بالشؤون الادارية والسياسية وفي تفهم بعض الأمور عن خصوصيات طبيعة وخفايا الصراعات القائمة في البلاط العباسي آنذاك، والدسائس الخفية المحرّكة لها، وعن الفساد المستشري وشراء الذمم والرشاوي، والعلاقات الثنائية بين مختلف الجهات المتنازعة المتنفذة، مما أكسبه مرونة وبراعة في المناورات السياسية وفي العمل من وراء الستائر [الكواليس]، حيث اكتسبته الملاحقة ومصادرة الأموال، التي تعرض لها مع أخيه، خبرة وتجربة نافعة، يشهد على ذلك حذره وامتناعه من تولي الوزارة فهو لا يتقدّم بأسمه إذا ما شعر بأنّ أسمه سيثير حساسية لجهة ما، او لتوقعه

<sup>٢٤١</sup> مسکویه، تجارب الامم، ٨-٣٣٦/١، المؤلف المجهول، العيون والحدائق، ج، ٢، ق، ٣٧ (وجعلها في سنة ٣٢٢٣هـ، ابن الاثیر، الكامل، ٥-٣١٤/٨) (حوادث سنة ٣٢٤هـ)، ابن الطقطقي، الفخرى، ص ٢٨١، لم يذكر السنة.

<sup>٢٤٢</sup> ابن النديم، الفهرست، فلوكل، ص ١٢٩، مسکویه، تجارب الامم، ١٨/٢، المؤلف المجهول، العيون والحدائق، ج ٤، ق ٢، ص ١٠٥، ابن الاثیر، الكامل، ٤/٨.

<sup>٢٤٣</sup> انظر: المصادر المشار إليها أعلاه: الفهرست، تجارب الامم، العيون والحدائق، تحملة تأریخ الطبری، الكامل والفرخی.

الفشل في تمشية الأمور في ظروف صعبة محروقة، فكان يسارع بالاعتذار عن التكليف ويرشح أخاه عبد الرحمن بدليلاً عنه ليضمن بذلك سيطرته وتمشيته للأمور بالخفاء على رغم من ذلك كان يؤدي حتماً إلى اضعاف مركز أخيه عبد الرحمن، المفتقر للشخصية النافذة والكفاءة الفنية والمؤهلات والخبرة الادارية، وبالتالي تقصير أيام بقائه بالسلطة. وندرج أدناه بعض النصوص والشهادات على ذلك:

كتب ابن الذيم: ((عبد الرحمن بن عيسى)، أخو أبي الحسن وكان فاضلاً كاتباً ووزر للمتقى بمشورة أخيه وكان المسدد له والناظر في الأمور علي بن عيسى وله من الكتب كتاب سيرة أهل الخارج وأخبارهم وأنسابهم في القديم والحديث كتاب التاريخ من سنة سبعين ومائتين إلى أيامه كتاب الخارج كبير ولم يتمه) <sup>٢٤٤</sup>.

وترد لدى مسكونيه تفاصيل أكثر عن تدخل الغلامان الحجرية والمظفر بن ياقوت في عزل الوزراء وتنصيبهم، فيذكر في أحداث سنة ٥٣٢هـ في عهد الخليفة الراضي ((ورد [ويقصد الخليفة الراضي ح.ق. العزيز] علي بن عيسى ووصفوه بالامانة والكفاءة وأنه ليس في الزمان مثله فاستحضره الراضي بالله وخطبه في تقلد الوزارة فأمتنع وتكرر ذلك، فراجعه الراضي بالله وخطبه الغلامان فيه وطال الخطب

<sup>٢٤٤</sup> الفهرست، فلوط، ص ١٢٩. وفي الصفحة نفسها، ترجمة علي بن عيسى وابنه أبي القاسم عيسى بن علي بن عيسى و قريبه أبو القاسم عبدالله بن علي بن محمد بن داود بن الجراح.

معه فأقام على الامتناع فقالوا: فتشير بمن تراه فأوّلًا إلى أخيه عبد الرحمن<sup>٢٤٥</sup>). ثم يذكر مسكونيه في مجال آخر: ((فأنفذ الراضي بالله المظفر بن ياقوت إلى عبد الرحمن فأحضره وأوصله إلى الراضي وعرقه أئه قلده وزارته ودواوينه.. لما تقلد عبد الرحمن غالب علي بن عيسى على التدبير فعلم أبو العباس الخصيبي وأبو القاسم سليمان بن الحسن..)).<sup>٢٤٦</sup> ثم يشير مسكونيه إلى عجز عبد الرحمن عن تمشية الأمور واستعفافه من الوزارة وإقالته منها، ثم محاسبته وأخيه علي وارغامهما على دفع المال، فقال: ((وعجز عبد الرحمن عن تمشية الأمور وضاق المال حتى استعفى عبد الرحمن عن تمشية الأمور للراضي بالله ومن الوزارة، وسأله أن يقرضه عشرة آلاف دينار إذا كانت وجوه المال قد تعذرت عليه، فقبض عليه الراضي في هذه السنة [يقصد عام ٣٢٤هـ. ق. العزيز] وقدّ وزارته الكرخي.. لما قدّ أبو جعفر الكرخي الوزارة وخلع عليه وانصرف إلى منزله ومعه الجيش كلف مناظرة علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وحمله إلى داره فصادر علي بن عيسى على مائة ألف دينار وصادر أخاه على سبعين ألف دينار وأقاما على حال صيانة وتكرمة إلى أن أدى علي بن عيسى سبعين ألف دينار وأدى أخوه ثلاثين ألف دينار ثم صرفا إلى منازلهم)).<sup>٢٤٧</sup> كما يذكر مسكونيه تولي

<sup>٢٤٥</sup> تجارب الأئم، ٣٢٦/١.

<sup>٢٤٦</sup> ن.م.، ٣٣٦/١.

<sup>٢٤٧</sup> ن.م.، ٣٣٨/١.

عبدالرحمن الوزارة للمتقى الله في عام ٣٢٩هـ، فقال: ((واستدعي المتقى بالله ابا الحسن علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن فدبّر الامر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة)).<sup>٤٨</sup>

وينفرد المؤلف المجهول بروايته عن وزارة عبد الرحمن للراضي بالله بجعلها في عام ٣٢٣هـ فذكر: ((فأمتنع علي بن عيسى وتركه وأشار بأخيه عبد الرحمن فقلده الراضي بالله وزرائه))<sup>٤٩</sup>، ويضيف إلى ذلك: ((وعجز عبد الرحمن بن عيسى عن الوزارة فقبض عليه الراضي وقلد وزارته الكرخي)).<sup>٥٠</sup> ويذكر المؤلف المجهول خبر استئذان المتقى لله عبد الرحمن في عام ٣٢٩هـ فيقول: ((واستدعي المتقى لله ابا الحسن علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن [دبّر] الملك عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة)).<sup>٥١</sup> كتب الهمذاني، محمد بن عبد الملك في حوادث سنة ٣٠٢هـ خبراً عن عبد الرحمن جاء فيه: ((وفي هذه السنة ضمَ اليه عليُّ بن عيسى أخيه عبد الرحمن، وقلده كتابته))<sup>٥٢</sup>، كذلك كتب الهمذاني عن علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن: ((وأخذ البيعة للراضي علي بن عيسى وأخوه وسائل

<sup>٤٨</sup> ن.م.، ١٨/٢.

<sup>٤٩</sup> العيون والحدائق، ج ٤ ق ٢، ص ٣٧.

<sup>٥٠</sup> ن.م.، ج ٤ ق ٢، ص ٩٢.

<sup>٥١</sup> ن.م.، ج ٤ ق ٢، ص ١٠٥، وأشار في الهاشم ان كلمة الملا وردت في تجارب الامم (١٨/٢) الامر.

<sup>٥٢</sup> تكملة تاريخ الطبرى، ص ٢٠٥.

الراضي علي بن عيسى ان يتقلد الوزارة فأستعفاه وقال أني لا أفي بالامر وأشار بابن مقلة<sup>٢٥٣</sup> وكان ذلك في عام ٣٢١هـ. ويذكر كذلك عن الاخوين علي وعبدالرحمن في احداث سنة ٣٢٩هـ ((ودبر الامر علي بن عيسى وأخوه من غير تسميه بوزارة))<sup>٢٥٤</sup>.

ويكتب ابن الاثير بعد أن يكتفى اقوال من سبقه فيذكر: ((وتقدم المقتدر في منتصف ربيع الاول بالقبض على الوزير علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن))<sup>٢٥٥</sup>، وكان ذلك في عام ٣١٦هـ بعد إقالة علي بن عيسى من الوزارة. ويذكر ابن الاثير استدعاء الراضي لعلي وأخيه عبد الرحمن في عام ٣٢٢هـ للاستشارة وعرض على علي الوزارة ((فأمتنع لكرهه وعجزه وضعفه وأشار بابن مقلة))<sup>٢٥٦</sup>.

أما في حادث سنة ٣٢٤هـ فيذكر ابن الاثير: ((وطلب الحجرية والساجية من الراضي ان يستوزر وزيراً، فرد الاختيار اليهم، فاشاروا بوزارة علي بن عيسى، فأحضره الراضي للوزارة، فأمتنع وأشار بأخيه عبد الرحمن فأستوزره وسلم اليه ابن مقلة فصادره وصرف بدرًا الخرشيني عن الشرطة، ثم عجز عبد الرحمن تمشية الامور وضاق عليه فأستعفى [من] الوزارة))<sup>٢٥٧</sup> ويضيف الى ذلك

<sup>٢٥٣</sup> ن.م.، ص ٢٨٤.

<sup>٢٥٤</sup> ن.م.، ص ٣٢٩.

<sup>٢٥٥</sup> الكامل في التاريخ، ١٨٤/٨.

<sup>٢٥٦</sup> ن.م.، ٢٨٢/٨.

<sup>٢٥٧</sup> ن.م.، ٣١٤/٨.

قوله: ((لما ظهر عجز عبد الرحمن للراضي، ووقف الامر، قبض عليه وعلى أخيه علي بن عيسى، فصادره على مائة الف دينار، وصادر أخاه عبد الرحمن بسبعين الف دينار))<sup>٢٥٨</sup>. ويشير ابن الأثير إلى استدعاء الخليفة المتقى لله الأخوين علي وعبد الرحمن والطلب إلى الأخير بتدير أمر الوزارة، فكتب عن ذلك: (( واستدعى المتقى علي بن عيسى وأخاه عبد الرحمن بن عيسى، فأمر عبد الرحمن من غير تسمية بوزارة))<sup>٢٥٩</sup>، وذلك في حوادث سنة ٣٢٩هـ.

ونختتم النصوص بماذا كرمه ابن الطقطقى عن وزارة عبد الرحمن أذ قال عنه: ((لما قبض الراضي على ابن مقلة احضر علي بن عيسى بن الجراح واراده على الوزارة فأبى وامتنع واظهر العجز، فاستشاره فيمن يوليه، فأشار بأخيه عبد الرحمن بن عيسى، فأحضره وقلده الوزارة وركب والموكب بين يديه، ثم لم تطل أيامه، واحتلت الامور عليه من الوزارة فقبض عليه، ولم يكن له سيرة تؤثر)).<sup>٢٦٠</sup>

#### ابوالحسين اسحاق بن يحيى بن سريج النصراني الكاتب:

كتب عنه ابن النديم: ((بن سريج، في زمننا ويحيى الى وقتنا هذا وأسمه اسحق بن يحيى بن سريج النصراني ويكنى ابا الحسين حسن المعرفة بأمور الدواوين ومناظرة العمال وصناعة الخراج وله قدم ومعرفة

<sup>٢٥٨</sup> ن.م.، ٣١٥/٨.

<sup>٢٥٩</sup> ن.م.، ٣٧٤/٨.

<sup>٢٦٠</sup> الفخرى، ص ٢٨١.

بالنحو ومواده لسنة ثلثمائة في شعبان وله من الكتب كتاب الخراج الكبير جزئين كتاب الخراج الصغير وجعله منازل، كتاب علم المؤامرات بالحفرة، كتاب تحويل سني المواليد نحو مائة ورقة، كتاب جمل التاريخ جمعها<sup>٢٦١</sup>). ونقل ياقوت الحموي عن ابن النديم مع بعض التغيير، نبه عليه المحقق، حيث كتب ياقوت عن أبي سريح [ويسميه ابن شريح] فقال: ((اسحاق بن يحيى بن شريح الكاتب، أبو الحسين النصراني ذكره محمد بن اسحاق النديم وقال كان جيد المعرفة بأمر الدوافين والخارج ومناظرة العمال وله معرفة تامة بالنجوم))<sup>٢٦٢</sup>، وموالده في شعبان سنة ٣٠٠ قال وهو يحيا. قال المؤلف وكان قوله هذا في سنة ٣٧٧هـ. قال وله من الكتب كتاب الخراج الكبير في الف ورقة جزأه جزئين وجعله ستة منازل. كتاب الذي في أيدي الناس، مائتا ورقة. كتاب الخراج صغير نحو مائة ورقة<sup>٢٦٣</sup>. كتاب عمل المؤامرات<sup>٢٦٤</sup> بالحفرة. كتاب تحويل سني المواليد نحو مائة ورقة. كتاب عن جمل التاريخ<sup>٢٦٥</sup>.

<sup>٢٦١</sup> الفهرست، فلوگل، ص ١٣٦.

<sup>٢٦٢</sup> إرشاد الاريب، ٢٢٨/٢، وذكر المحقق في الهاشم رقم (٢) بأن في الفهرست، ص ١٣٩، قدم ومعرفة بالنحو.

<sup>٢٦٣</sup> ن.م.، ٢٢٨/٢، وذكر المحقق في الهاشم رقم (٣) في نسخة الفهرست المطبوعة جاء ذكر كتابين في الخراج الكبير والصغير. الصغير هو الذي جعل منازل

<sup>٢٦٤</sup> ن.م.، ٢٢٩/٢، وذكر المحقق في الهاشم رقم (١) الفهرست علم.

<sup>٢٦٥</sup> ن.م.، ٩-٢٣٨/٢، وتسلسل الترجمة (١٠١).

ناصر بن موسى الرازبي الحنفي: لم أثر -للاسف- في المصادر المتيسرة لي على ترجمة له.

ابوالقاسم عبد الله بن العرمم: كل ما اعرفه عنه لا يتجاوز بضع كلمات كتبها عنه ابن النديم حيث قال: ((ابن العرمم، ابو القاسم عبد الله ومات بالبطائح عند عمران، وله من الكتب كتاب الخراج وسماه...))<sup>٢٦٦</sup>، وورد في الفهرست ايضاً (ص ١٤٧-٨): ((قرأت بخط عبد الله بن علي بن محمد بن الجراح المعروف بأبن العرمم)).

محمد بن احمد بن علي بن خيار الكاتب: وهو كسابقه فأن معلوماتنا عنه لا تتعذر ما ذكره ابن النديم من النزد اليسير عنه إذ قال عنه: ((محمد بن احمد بن علي بن خيار الكاتب وله من الكتب كتاب الخراج))<sup>٢٦٧</sup>.

ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن بسطام: تدرج غير واحد من آل بسطام في وظائف الكتابة والإدارة واعمال الخراج في الامصار: مصر، الشام، فارس وغيرها، في نهاية القرن الثالث ومطلع الرابع الهجريين، وقد عزا ابو علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ) الفضل في تعيين آل بسطام في الوظائف الى الوزير ابن الفرات تعصباً لهم وعرفاناً لجميل ابى العباس احمد بن محمد بن بسطام<sup>٢٦٨</sup>، والد

<sup>٢٦٦</sup> الفهرست، فلوكل، ص ١٢٩.

<sup>٢٦٧</sup> ن.م، ص ١٣٦.

<sup>٢٦٨</sup> جامع التوارييخ، ص ٥٢.

صاحب الترجمة أبي قاسم علي، لقد كسب آل البسطام، بطرق غير مشروعة -طبعاً- ولاسيما من ادارة شؤون الخارج، ثراءً واسعاً، فلا غرو ان كانت تجري بين حين وآخر محاسبتهم وعزلهم ومصادرتهم، ثم يعادوا لوظائفهم ليعاودوا جمع المال من جديد، كدأب غالبية عمال الخلافة في ذلك الحين، حيث كانت الوظائف، بما فيها الوزارء، الا ماندر، تباع وتشترى وتتضمن، فلا يُعِين فيها سوى الذين يتعهدون بدفع مبالغ [ونادراً خدمات] اكثر. ومن الطبيعي يكون تسديد مبلغ الضمان من المال الذي يجبونه من الجماهير. لهذا لم يكن أبو القاسم علي بن احمد استثناءً فريدياً بل تجسداً حياً لطموحات واساليب موظفي الدولة العباسية الملتوية للاثراء الواسع والسريع، وكان آل بسطام، وخير من يمثلهم أبو العباس احمد وابنه أبو القاسم علي النموذج الاعتيادي لموظفي الخلافة المنقسمين، وسوف نرى ما تعرضه النصوص عنهم. كتب أبو عمر محمد بن يوسف الكندي (ت ٥٣٥هـ): قال: ((وقال لي بعض شيوخ الرملة: قدم علينا أبو عبيد متوجهاً إلى قضاء مصر فصادف ابن الخليج فكان جماعة من أهل العلم ينقطعون إليه فكلموه في أن يسلم على احمد بن محمد بن بسطام عامل الشام، وكان عظيم الرياسة يقوم عن يمينه وعن شماله نحو مائة حاجب فقال أبو عبيد: مالي عنده حاجة...))<sup>٢٦٩</sup>، ثم ذكر الكندي في مجال آخر: ((ذكر شئ من خبر ابن بسطام هذا. قال علي

<sup>٢٦٩</sup> كتاب الولاية وكتاب القضاة، بعنابة رفن گست، بيروت، ١٩٠٨م، ص ٥٢٤.

بن الفتح المطوق في كتاب الوزراء له: اعتقل القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، أبا العباس احمد بن محمد بن بسطام في داره أيام لا شيء كانت في نفسه عليه وأراد أن يُوقع به فلم يزل بن بسطام يداريه ويطلب به أن اطلقه وقد آمد وما يتصل به من الاعمال وأخرجه إليها وفي نفسه ما فيها ثم ندم فوجه إليه في آخر زيارته بعامل يقال له عليّ بن حسين.. الخ)).<sup>٢٧٠</sup> . وذكر عريب بن سعد في حوادث سنة ٣٠٥هـ خبراً عن أبي القاسم علي بن احمد فقال: ((وكتب ابن الفرات الى علي بن احمد بن بسطام المتقلد لاعمال الشام في المسير الى مصر، والقبض على الحسين بن احمد المعروف بابن زنبور))<sup>٢٧١</sup> ، كذلك يذكر عريب عنه في حوادث سنة ٣٠٦هـ، بأنّ علي بن عيسى قد استشير وهو محبوس في من يخلف ابن الفرات في الوزارة، بعد ان طالب الناس بعزله، لاعتبارهم اياد مسؤولاً عن انهزام مؤسس الخادم امام ابن ابي الساج، وكان اسم علي بن احمد بن بسطام من بين الاسماء المرشحة المعروضة على علي بن عيسى ليبدي رأيه فيها. فكتب علي بن عيسى تعليقاً على كل اسم وما كتبه عن علي بن احمد بن بسطام: (كاتب سفاك للدماء)<sup>٢٧٢</sup> . وكتب ابو علي التنوخي (ت ٣٨٤هـ) عن آل بسطام فقال: ((وحذني ابو الحسين قال: سمعت ابي يقول لما ولی ابو الحسن بن

<sup>٢٧٠</sup> ن.م.، ص ٥٢٥.

<sup>٢٧١</sup> صلة تاريخ الطبرى، ص ٦٢، وقد وردت كلمة المسير مرسومة على شكل المصير

وهذا خطأ طباعي.

<sup>٢٧٢</sup> ن.م.، ص ٦٨.

الفرات الوزارة الاولى لم يبدأ بتقليد احد قبل ابى العباس احمد بن محمد بن بسطام وكان مقیماً في مصر على عطلة فکاته باجل مکاتبة وقلده اعمال مصر وزاده في الدعاء. وقال: هذا رجل قد جرت له علي ریاسة والریاسة دین لا یقضی)).

قال ابو الحسین وسمعت أنا في الوزارة الثالثة ابا الحسن ابن الفرات يقول وقد دفع اليه صاحب الخبر خبراً فقرأه وخرقه ثم قال بـ((الناس بتعطيلي مشايخ الكتاب وتفریغی الاعمال على ال بسطام وال نوبخت دون غيرهم. قال ابو الحسین: وإنما كان یتعصب لال بسطام ریاسة ابى العباس عليه وللمذهب یتعصب لال نوبخت للمذهب))<sup>٢٧٣</sup>.

ويذكر مسکویه في حوادث سنة ٣٠٣هـ: ((... وكتب علي بن عيسى الى مؤنس يعرّفه الخبر ويأمر بالمسير الى ديار مُعز اذا انصرف من مصر وان يجذب معه احمد بن كيبلغ وعلي بن احمد بن بسطام والعباس بن عمرو ليصلح الديار...))<sup>٢٧٤</sup>، ويذكر مسکویه في حوادث سنة ٣٠٦هـ: ((ثمَّ انَّ حاماً وعلي بن عيسى احضرا ابا علي الحسین بن احمد المادرائي مناظرة ابن الفرات في دار السلطان فکاشف الحسین بن احمد المادرائي ابن الفرات بأنه حمل اليه في وزارته الاولى اربعمائة الف دینار من مال المرافق بأجناد الشام وان ابا العباس بن

<sup>٢٧٣</sup> جامع التواریخ، ص ٥١-٢.

<sup>٢٧٤</sup> تجارب الامم، ١/٣٦.

بسطام [احمد بن محمد، ح. ق. العزيز] وابا القاسم {علي، صاحب الترجمة ح. ق. العزيز} ابني بعده حملا اليه ثمانمائة الف دينار من مال الاستثناء والمرافق بكور مصر حساباً في كل سنة مائتي الف دينار).<sup>٢٧٥</sup>

ويشير المؤلف المجهول في حوادث سنة ٣٠٠هـ الى انه قد ((صرف ابو القاسم علي بن احمد بسطام عن الخراج)).<sup>٢٧٦</sup> ثم يذكر، في حوادث العام نفسه: ((وفيها قيد احمد بن علي بن بسطام والبس جبة صوف وتشددوا عليه في المكالبة)).<sup>٢٧٧</sup>

وذكر المؤلف المجهول في حوادث سنة ٣٠٧هـ، فقال: ((وفيها وقعت الوحشة بين حامد وعلي بن عيسى وسببها ان علي بن عيسى عمل عملاً لابن بسطام في بقايا عليه ووقف المقتدر عليها فانفذ في طلبه بعد وقوف حامد على ذلك.. فدخل ابن بسطام من عمله، فبدأ بحامد فسلم عليه، ثم سار الى دار علي بن عيسى، فأكب علي يده ورجليه، فقبلهما فمنعه من ذلك وتلقاه بالجميل وأمره بالانصراف الى داره، وانفذ ابن بسطام هدياً لها قدر الى المقتدر والى والدته وحمل اليهما مالاً واحكم مايريده وتمكن من سلطانه فزال مايتخوفه)).<sup>٢٧٨</sup>

<sup>٢٧٥</sup> ن.م.، ٦١/١.

<sup>٢٧٦</sup> العيون والحدائق، ج ٤، ق ١، ص ٢٤٤.

<sup>٢٧٧</sup> ن.م.، ج ٤، ق ١، ص ٢٤٥، والاسم حصل فيه تأخير وتقديم إذ يجب أن يكون علي بن احمد، لأن احمد هو ابن محمد بن بسطام وأبنه علي الذي ترجم له.

<sup>٢٧٨</sup> العيون والحدائق، ج ٤، ق ١، ص ٢٨٦-٧.

وكتب الهمذاني، محمد بن عبد الملك في حوادث سنة ٣٠٦هـ [ملاحظة: نحن لم نتقيد بالتسلسل التاريخي للإحداث، وأنما راعينا تسلل المؤرخين الزمني] عن أبي القاسم علي بن احمد فقال: ((وقدم علي بن احمد بن بسطام من مصر فولاه اعمال فارس<sup>٢٧٩</sup> عاملًا، ومعه اثقال لم ير مثلها، ورأيت في حملة اثقاله اربعين نجيباً مُوقرة اسرة مشبّكة، ذكروا انه يستعملها في الطرقات للمجلس. والتمس يوماً سجادة للصلوة بعينها، وكان يألفها، ففتشت رزم الفرش، فكان فيها نحو اربعمائة سجادة)).<sup>٢٨٠</sup> . ويدركه ياقوت الحموي، في معرض حديثه عن الاخفش هذا مصر في سنة ٢٨٧هـ وخرج منها سنة ٣٠٠ الى حلب مع علي بن احمد بن بسطام صاحب الخراج فلم يعد الى مصر...<sup>٢٨١</sup> . وذكره ابن الاثير في معرض حديثه عن مؤنس المظفر في حوادث سنة ٣٠٥هـ فكتب: ((وكتب [يقصد مؤنس ح. ق. العزيز] الى أبي القاسم علي بن احمد بن بسطام أن يعزو من الهرسرين في اهلها فعل)).<sup>٢٨٢</sup> .

لم نعثر في المصادر، التي أطلعنا عليها لحد الان، على ما يشير الى ان ابا القاسم علي بن احمد قد الف في الخراج. ويبدو ان اهتماماته الخاصة وظروفه الوظيفية المتقلبة لم تترك له بمال للتأليف حتى ضمن اختصاص عمله [الخراج]. واعتقد ان ابن شمش قد توهّم لما اعتبر ابا

<sup>٢٧٩</sup> تكمة تاريخ الطبرى، ص ٢١٤.

<sup>٢٨٠</sup> ن.م.، ص ٢١٤.

<sup>٢٨١</sup> أرشاد الاربيب، ٥/٢٤٢.

<sup>٢٨٢</sup> الكامل في التأريخ، ٨/٦٠٦.

القاسم علي بن احمد من مؤلفي الخارج وقد دفعه الى الوهم كما نظن، تفسيره لمصطلح صاحب الخارج، الوارد في نص ياقوت الحموي، بمؤلف الخارج، ظناً منه بأنَّ صاحب هنا تعني مالك مثلاً ترد صاحب الدار وصاحب الكتاب.. الخ، بينما مصطلح صاحب الخارج" يطلق على عامل [الموظف او المسؤول عن] الخارج، في ذلك الحين، كما هو معروف.

#### ابو النصر محمد بن مسعود بن محمد السُّلْطاني العياشى:

كتب عنه ابن النديم فقال: ((العياشى)، ابو النفر محمد بن مسعود العياشى من اهل سمرقند وقيل انه من بنى تميم من فقهاء الشيعة الاساسية اوحد دهره وزمانه في غرارة العلم ولكتبه بنواحي خراسان شأن من الشأن كتب جنيد بن محمد بن نعيم ويكفى ابا احمد البي الحسن علي بن محمد العلوى كتاباً في آخره نسخه ماصنفه العياشى وقد ذكرته على ما رتبه صاحبه هذا<sup>٢٨٣</sup>، ثم يعدد ابن النديم قائمة طويلة بمؤلفات العياشى ومن ضمنها ذكر: (كتاب الجزية والخارج)<sup>٢٨٤</sup>.

---

<sup>٢٨٣</sup> الفهرست، فلوكل، ص ١٩٤.

<sup>٢٨٤</sup> ن.م، ص ١٩٤.

وذكر ابن النديم ايضاً: ((ومما صنفه من رواية العامة: كتاب سيرة ابي بكر كتاب سيرة عمر كتاب سيرة عثمان كتاب سيرة معاوية كتاب معيار الاخيار كتاب الموضع وذكر حيدر ان كتبه مائتان وثمانين كتب وانه ضلّ عنه من جميعها سبعة وعشرون كتاباً)).<sup>٢٨٥</sup>

وكتب بروكلمان: ((ابو النصر محمد بن مسعود بن محمد بن عياش السُّلْمي السمرقندى -وفي روضات الجنان للخوانساري: العراقي الكوفي-، كان شيخاً للكشي اي حوالي ٩٣٠ هـ/٥٣٠ م [انظر:- ٦٣٣ Rieu)، وكان إماماً لطائفة الامامية في خراسان))<sup>٢٨٦</sup>، وعن مؤلفاته قال بروكلمان: ((لم يصل اليانا من كتاباته سوى في التفسير الذي نقله ابراهيم بن علي القمي، ويكتون في الغالب من روايات محمد الباقر وابي عبدالله جعفر الصادق)).<sup>٢٨٧</sup> وكتب عنه الزركلي: ((العياشي (توفي نحو ٩٣٢ هـ/٥٣٢ م) محمد بن مسعود العياشى السُّلْمي، ابو النفر: فقيه، من كبار الامامية، من اهل سمرقند، اشتهرت كتبه في نواحي خراسان اشتهرأ عظيماً، وهي تزيد على مئتي كتاب، أورد ابن النديم اسماء اكثراها من كتبه (تفسير

<sup>٢٨٥</sup> ن.م.، ص ١٩٦.

<sup>٢٨٦</sup> تاريخ الادب العربي، ٤/١٤، وذكر مصادره: (الفهرست لابن النديم)، ٩٤، وفهرست الطوسي، ٣/٦٩٠، وروضات الجنان للخوانساري ٣/١٧.

<sup>٢٨٧</sup> ن.م.، ٤/١٤، وذكر: (المتحف الهندي اول ١٠٧٦). وهو ايضاً في تبرين، انظر: مجلة لغة العرب، ٧/١٦٠ ص ٢٥).

العيashi، مخطوط) نصفه الاول)).<sup>٢٨٨</sup> . وكتب عنه فؤاد سزكين: ((ابو النصر محمد بن مسعود بن محمد العياشي السُّلْمي من سمرقند، كان عالماً ممتازاً منتجاً، حيث الف عددًا كبيراً من كتب السير عن ابى بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم، واعتنق اخيراً مذهب الشيعة، وتوفي سنة ٩٣٢هـ/١٤٣٢م))<sup>٢٨٩</sup> ، وذكر سزكين من آثاره (التفسير).<sup>٢٩٠</sup> .

<sup>٢٨٨</sup> الاعلام، ٣١٦/٧، وذكر مصادره: (الفهرست لابن التديم ١٩٤/١ والنجاشي ٢٤٧ وسفينة البحار ٣٠١/٢ ومنهج المقال ٣١٩ والذرية ٩٥/٤).

<sup>٢٨٩</sup> تاريخ التراث العربي (المجلد الاول)، ٢١٠-٢٠٩/١، وقد ورد التاريخ الميلادي بهذا الشكل (٩٣٢٧م) وهو خطأ طباعي وثبتناه في النص (٩٣٢م)، كما ان (ابو النصر) كتب (ابو النصر) اي بالصاد وليس بالضاد، وهذا خطأ طباعي ايضاً . وذكر مصادره: (الفهرست لابن التديم، ١٩٤، الرجال للنجاشي (ایران)، ٢٧٠، الفهرست للطوسي (كلكتا): ١٣٩-١٣٦، الذريعة ٤/٢٩٥، الاعلام، للزرکلي ٣١٦/٧، مجم المؤلفين لکحالة ٢٠/١٢).

<sup>٢٩٠</sup> ن.م.، ٢١٠/١ وقد ذكر بان مخطوط كتاب التفسير موجود في: المكتبة الهندية ٤١٥٣ (٢٣٣ ورقة، سنة ١٠٨٥هـ، انظر فهرست المخطوطات رقم ١٠٧٦)، وجامعة طهران، مشکاة ٦٢/١ رقم ٨ (٢٥٥ ورقة، الحادی عشر، مشهد (١) زنجان، النجف، انظر: الذريعة ٤/٢٩٥).

۱۸۸ /



۱۱۹ /



## القسم الثاني

### بعض الملاحظات عن تحقيق كتاب الخراج لقادة بن جعفر

نقدم في هذا القسم ملاحظات سريعة عن تحقيق د. الزبيدي لكتاب الخراج لقادة بن جعفر. وسوف تنصب ملاحظاتنا الهادفة على المقدمة التي وضعها السيد المحقق [ص ص ٥-١٦] وعلى ثبت المصادر [ص ص ٤٩١-٤٨٧] بشكل مركّز وعلى بعض جوانب النص المحقق بأيجاز.

#### ١. المقدمة:

#### ١. توطئة:

تعتبر المقدمة التي يدجها يراعي محقق النص، بحق، مرأة صافية تعكس، بصدق وأمانة، مدى جهود المبذول في تحقيق النص، ومقدار خلفيته الفكرية المكثنة الموظفة لهذا الغرض، كما وتكتشف عن طبيعة أسلوب تناول الموضوع من ناحيتي الجد والاستخفاف. لهذا تجد بعض المقدمات، التي يضعها المحققون، توافق أن لم تتفق في أهميتها، النصوص المحققة. ولن تأتي هذه اعتباً أو ترسلاً، وأنما عن تصميم مسبق ذلك لأن أصحابها يعمدون جهد طاقتهم عند كتابة

مقدماتٍ وافيةٍ مركزةً، إلى التعمق في التحليل والاستنتاج والى تقديم دراسةٍ مسهبَةٍ مستفيضةٍ عن كافة جوانب الموضوع، تتجلى في العديد منها بصمات الرهافة الفكرية والعبرية البليغة، في عرض سير أصحاب تلك المخطوطات المحققة وأثارهم والتآثيرات المتبادلة في عهودهم بظروفها الموضوعية، كل ذلك توخيًا منهم معالجة مسائل علمية متنوعة دقيقة لاستخلاص استنتاجات جديدة متنكرة تدعم أو تصحح أو تناقض آراء سابقة أو تكشف عن جوانب لاتزال غير معلومة عن حياة مؤلف المخطوط أو عن آثاره العلمية، المحققة والمخطوطة، بالإضافة إلى تناول هذه المقدمات، أيضًا، لمعضلات علمية آنية، سواء كان لها مساس بالموضوع المحقق أو بصاحبها، عن قريب أو من بعيد، أو أحياناً، ليس لها بذلك صلة البتة، فيفلح البعض، من هؤلاء المبدعين وليس جلهم، بالطبع، في تقديم نتاجات تتسم بالاصالة والابتكار المبدع كما وتكشف في الوقت ذاته عن ضخامة الجهد المبذول وعن الرصيد العلمي الراهن بوفاته وكفائه وعمقه والمثمر في تكوين خلفيّة علمية رصينة لصاحبها. فلاغرُوا أنْ نرى المعنيين بشؤون الأدب والتاريخ والتراث يترصدون، بلهفة بالغة، ظهور أمثال هذه الاصدارات ليطّلعوا مبكرين على الاشر المحقق وما اقترب به من دراسات جديدة ومبتكرة.

ولكن لاحظى -مع الاسف- كل المخطوطات بعنابة فائقة ودراسة مركزة. فألي جانب تلك الأناتجات العلمية الرائعة، صدرت وتصدر إلى الآن تحقيقات ليست هزيلة مبتورة فحسب، وإنما مخطوطة أيضًا بل

وغالباً ماتكون خلواً من مقدمات وفهارس ودراسات، رغم أنّ قسماً لا يستهان به من هذه تحقیقات، قد تم أعدادها على تحقیقات سابقة جيدة، وأنّ انكر ذلك الاعتماد، حيث يلجأ القائمون بذلك، في الاكثر، الى عدم الاعتراف، طبعاً، بذلك الاعتماد، ويتعمدون، في محاولة منهم لاخفاء هذه الحقيقة، أغفال ذكر جهود من سبقوهم في انجاز تحقیق المخطوطات بشكل جيد ومبدع. لاشك ان الذي يشجع هؤلاء المتطفلين على العلم والمتجاوزين على نهجه السليم ويدفعهم الى اتباع مثل هذا السبيل الخطأ هو تحول التکسب بالعلم لديهم الى غایة في حد ذاته، مع العلم بأنّ التکسب بالعلم هو وسيلة مشروعة ولا غبار عليه، ولكن متى ما أصبح غایة فأنه يغدو نعمة على العلم، إذ يحضر، كسب المال كغاية، على التخلص من ضوابط مستلزمات المنهج العلمي السليم، كما ويشجع طلابه على الاستعجال لهثاً وراء مال زائل فيقعون فرائس الاطماع بيسراً وسهولة ويدفع بهم بالتالي الى الاستهانة بالقيم والمفاهيم، فيتطاولون على انتاج غيرهم ويستخفون بالقراء سواء بسواء.

يتوجب علينا والحالة هذه، وأنطلاقاً من الشعور العالى بالمسؤولية الجسيمة تجاه الاجيال المقبلة، أن نتحرى بعمق علل هذه الحالة لمعرفة أسبابها الجوهرية لنتمكن من وضع مقترنات اساسية لتلافيها، لأنّها ليست حالات فردية استثنائية يمكن التغاضي عنها وإنما هي ظاهرة ترتبط بتخلف المجتمع فكريأً: لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وحضارية، كان في مقدمتها السيطرة الاجنبية وأستمرار بقايا علاقات متختلفة. إن المسؤول المباشر عن هذا التردي، من دون شك، هو غياب

المؤسسات العلمية المعنية بصفة رسمية و مباشرة بأحياء التراث في أغلب البلدان العربية، أو ضعف سيطرتها، إن وجدت، على التنسيق والبرمجة لكل ما يصدر من تحقيقات. فلو كان لهذه المؤسسات وجود متزامن مع ظهور الطباعة وابتداء التحقيق بالمؤلفات التراثية في البلاد العربية، وكان للمشرفين على ماظهر من هذه المؤسسات اطلاع واسع على ما يتحققه المستشرقون من مخطوطات تراثية، وكان لهذه المؤسسات السيطرة والاشراف على كل ما يصدر من مطبوعات تراثية محققة في البلاد العربية ووفق برامج مخططة منسقة وحسب شروط ومستلزمات ومواصفات محددة وضوابط علمية سليمة، لما تمكن ولا تجرأ أحد على التجاوز والانتهاك ولا يحصل تكرار مُسف ولا أصبحت الاصدارات متقدة جيدة. كما وأنّ لغياب النقد الموضوعي الموجه الهدف، أو لضعفه وعدم كفائه، إن وجد، أثراً بارزاً في ظهور هذا النمط الرديء من التحقيق. فلو تعرضت هذه النماذج، السيئة والمسيئة للترااث وللعلم معاً، إلى نقدي بناء مبكر متواصل لما تنسى لها الظهور ولا أمكنها الصمود طويلاً ولا أحبطت كل محاولات التطفل البائسة في مهدها وانقضى العلم من الانحراف عن طريقه السوي ومن الهبوط إلى مستويات متدنية. تُشكّل الاساليب الخاطئة، ولاشك، حالةً مرضيةً مقلقةً وتتسبيب في خلق مضاعفات وأنتكاسات علميةٍ وتغدو مُزمنة مستعصية، كالامراض الفعلية، ويختلف من استشرائها كوباء، إذا ما أهمل العلاج المبكر البثار والتحصن الواقي.

تقع علينا جميعاً مسؤولية جسيمة أمام الأجيال القادمة، إذا ما تهانينا بأمر هذه العلة وتقاعسنا عن المبادرة بالعلاج الشافي والوقائية المحسنة منها.

يرجع سبب ضعف الهيمنة المركزية المبرمجة لدى مؤسسات أحياء التراث أو غيابها، وكذلك سبب ضعف النقد الموجه وتخلّفه إلى عامل ضعف الوعي العلمي وسط الجماهير حيث كانت الامية ولا تزال، لأسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية وحضارية، في أماكن متعددة من الوطن العربي تشكّل نسبة عالية من السكان. كما وأنّ نسبة لا يستهان بها من المتعلمين والمتلقين لا تعني بالنواحي الفكرية ولا سيما التراثية منها. لهذا فإنّ المعنيين بالتراث لا يشكلون إلاّ نسبة محدودة وضيقّة جداً، مما سهل ويسهل على المتطفلين على العلم ارتکاب التجاوزات بيسير وسهولة، بينما يندر ان يجازف أحد بسمعته العلمية في البلدان التي يتشرّف فيها الوعي العلمي.

ستنقشع، ولاشك، قمة ضباب النهج الخاطئ عندنا أمام التطواري الكمي والنوعي للوعي العلمي عند الجماهير، الذي سيوفر شروطاً أفضل لمركزية الهيمنة المبرمجة لمؤسسة أحياء التراث وفق ضوابط ومستلزمات علمية سليمة. كما وسيهنى تطور الوعي العلمي وأتساع نطاق انتشاره الجماهيري المناخ الملائم للنقد البناء الهدف للنهوض بمهماهاته ولاحتلال مكانه المناسب في التوجيه والإرشاد فيمارس حينئذ دوره بنشاط وفاعلية أكبر، عندئذ يحجم ذنوو النفوس

المريضة عن اللجوء الى اساليبهم الخاطئة فتنحسر جراء ذلك المستويات الهاابطة ويزول الانتاج الرديء.

لайнفرد النمطان، الجيد والرديء، في اقتسام عالم التحقيق بينهما، وأئماً يوجد الى جانبهما نمط ثالث، كبير نسبياً، بسبب قلة الخبرة وعدم كفاءة التأهيل ولضعف الميمنتنة المبرمجنة والنقد البناء الهدف. ويحتل هذا النمط الثالث مكاناً واسطاً في أسلوبه بين النمطين المار ذكرهما.

إنَّ لنا طموحاً مشروعاً بأن تتحقق البرمجة المركزية لاحياء التراث والنقد الموضوعي الهدف المتتطور بلوغ ارقى مستويات الانجاز الابداعي الاساسية لانتشار الثقافة وتوسيع الوعي العلمي بين اوساط واسعة من الجماهير وتأسيس مؤسسات مسؤولة عن أحياء التراث، وتمكين الموجود منها، من اداء مهامها بشكل افضل، وتشجيع النقد الموجه وتطويره، في البلاد العربية كافة. وبذلك تتتوفر الضمانة الاكيدة لتوقف النهج الخاطئ.

#### بـ. مقدمة السيد محقق كتاب الخراج:

وضع د. الزبيدي مقدمة لكتاب "الخراج وصنعة الكتابة" لقدامة بن جعفر [١١,٥ صفة من اصل الكتاب البالغ ٦٢٣ صفحة، في الصفحات من ١٦-٥] وقسم المقدمة الى قسمين تناول في القسم الاول الكلام عن اصل قدامة [ص ٩-٥] بينما تكلّم في القسم الثاني [ص ١٠-١٦] عن كتاب الخراج، كمؤلف وكمخطوط، فتحدّث عن الكتاب [ص ١٠-١٢] وعن

المخطوطة [ص ١٢-١٦]. وهذا التقسيم لاغبار عليه سوى أنه تكلم أيضاً عن مؤلفات قدامة في القسم الأول [ص ٨-٩] وكان المفروض أن يُرجى بحثها إلى القسم الثاني المكرّس للكلام عن كتاب الخراج [أي في الصفحات ١٠-١٢]، لأنّ القسم الأول مكرّس لسير حياة قدامة وأبيه وجده، بينما القسم الثاني يجب أن يكرّس لنشاط قدامة الفكري فحسب.

لقد استعرضتْ المقدمة، في قسمها الأول، بأقصى الاقتضاب، نتفاً من أقوال بعض المؤرخين [الجاحظ، ابن النديم، أبو حيان التوحيدي، الخطيب البغدادي، ابن الجوزي، ياقوت الحموي، الصفدي، ابن كثير، ابن تغري بردي، العيني، الملك الأفضل والمطربزي] الذين تطرقوا عرضاً في سياق أبحاثهم إلى ذكر قدامة وابيه جعفر وجده قدامة بن زياد. وسوف نلاحظ أنّ هذه الاشتات المجموعة بشكل غير مبرمج لا تنتerring إلى سير حياة هؤلاء الثلاثة، الجد والابن والحفيد، بشكل رئيس أو تفصيلي وإنما تتحدث عن جوانب هامشية ليست ذات شأن وضئيلة جداً عن حياة قدامة وبشكل أقصر عن أبيه ولا شيء عن الجد قدامة بن زياد سوى ماورد عنه لدى الجاحظ من أقوال<sup>٢٩١</sup>، بيد أنّ هنالك أخباراً أهم واشمل وتفاصيل أوسع تجاوزتها المقدمة وهي موجودة في مضان المصادر التي أستعان السيد المحقق نفسه بها أو في غيرها سواء بسواء، ولكن

---

<sup>٢٩١</sup> كتاب الخراج، المعطيات السابقة نفسها، ص ٦.

لم يشأ المحقق ايرادها رغم انها توضح جوانب مهمة في حياة هذه الاسرة!، فعلى سبيل المثال لا الحصر. الاخبار الواردة عن اشتغال قدامة بن زياد [الجد] بالوظائف الكتابية واعمال الدولة وفي ادارة الضياع الخاصة، والتي لها اهمية بالغة في تمهيد السبيل لقدامة [الحفيد] في احتراف الوظائف الكتابية والادارية، وأصبح العمل بهذه الوظائف من تقاليد الاسرة، لم يرد لهذه الاخبار من ذكر في المقدمة، لهذا يمكننا القول أن هذه الجذادات التي أوردها السيد المحقق من المصادر بغية الاستعانة بها لرسم صورة واضحة عن حياة ونشاط قدامة بن جعفر وعن عائلته لا يمكنها ان تتحقق له طموحاته، إن رغب ذلك حقاً، في سبر أغوار هذه الشخصية الفذة المبدعة، كما لاتسمع له، على حد تعبيره، بالتعرف الجيد على قدامة وأهله، فلجا الى الشكوى من ندرة الاخبار عن قدامة وعن عائلته حيث نراه يقول: ((لقد كانت حياة قدامة شديدة الخفاء، لأن المعلومات التي قدمها لنا المؤرخون شحيحة جداً وضئيلة لا تتناسب مع غزارة علمه وسعة مداركه، فهي لا تكفي لتكوين صورة حقيقة، واضحة كل الوضوح، وغير كافية لتكشف عن جميع الجوانب المضيئة لحياة هذا العالم الفذ)).<sup>\*</sup> ولكن الواقع يدحض هذا القول فاليعقوبي والطبرى ومسكويه وأبن النديم وأبن الجوزي وياقوت الحموي وأبن الاثير قد ذكروا فعاليات ونشاطات ادارية وفنية ومعتقدات واهتمامات هذه

\*

العائلة الفكرية، وقد أوردنا قسماً منها سابقاً، بالشكل الذي مكن كارل بروكلمان وأغناطيوس كراتشков斯基 وفرانز روزنتال وباكري Bakher, S.B. ويوفس اليان سركيس وخيرالدين الزركلي وعبدالكريم الامين وزاهدة ابراهيم من التحدث عن قدامة واستخلاص استنتاجات كثيرة عنه.

لا يمكن، بالطبع، الاتفاق مع ما توصل إليه السيد المحقق من أن ندرة المعلومات وشحتها عن قدامة وما يتعلّق به تفاصيل حائل دون تكوين صورة كاملة وتامة الملامح عنه. ذلك لأنّ هذا تعميم شامل يتجاوز حقائق كثيرة. ولكن الا نفع نحن بدورنا عند رفضنا اطلاق التعميم، في تعارض مع اقوال لنا سابقة عندما ذكرنا بأنّ قضية نبذ قدامة بن زياد لعقيدته النصرانية وأعتنائه الاسلام وحول قضية عقيدة جعفر بن قدامة بن زياد كانت باهتتين غير واضحتين لأن المعلومات عنهما في المصادر كانت شحيحة أو معدومة تماماً؟ كلا إننا لانفع في تعارض عند رفضنا تعميم القول على مجمل حياة قدامة وعائلته بأسثناء هاتين الحالتين وذلك لأننا نجد من جانب آخر بأنّ معلومات المصادر المتوفرة لحد الآن ومؤلفات قدامة نفسه توفران امكانية حسنة للتحدّث عن قدامة وعما يتعلّق به بصورة شاملة، كما هو معکوس في المقدمات الموضوعة لمؤلفات قدامة المحققة وكذلك في البحوث والمقالات المكتوبة عنه. ذكر على سبيل المثال ان د. صلاح الدين المنجد ذكر بان بونابكر كتب مقدمة لكتاب (نقد الشعر) لقدامة بـ(٨٠)

صفحة <sup>٢٩٢</sup> وكذلك ماذكره نجيب العقيقي من أن أ. س. باكر قد كتب مقالة عن قدامة بن جعفر في مجلة العالم الاسلامي (ليدن ١٩٥٦<sup>٢٩٣</sup>)، لقد أوردنا سابقاً ذلك مع بعض ماكتبه المستشرقون والباحثون العرب عن قدامة وعن مؤلفاته. لهذا فنحن لانقع في تعارض مع الحقائق اذا ما خالفا رأي السيد المحقق في عجز المصادر عن رسم صورة واضحة عن قدامة.

ان النقد الموضوعي لا يستهدف في نقاشه سوى بلوغ الحقيقة وتبنيتها واقرارها والتعاون مع الباحثين لتحقيق افضل، وبذلك يسدي الناقد الموضوعي، المتحرر من المنطلقات الذاتية، واذا امتلك خلفية رصينة وتمرّس بالمران، جميلاً لا يستغنى العلم عنه لتقديمه خطوة الى الامام. ولما كان النقد البناء موضوعياً في نهجه فإن المعارضة لاستهويه لذاتها مثلما تستهوي البعض، ومن ينطلقون في معارضتهم من منطلقات ذاتية: حبّ الظهور والشهرة أو المال، حيث يكشف اسلوبهم الذاتي في المعارضة عن ضيق افق علمي وسياسي معاً ويبدو ذلك واضحاً في تجاهلهم او جهلهم للواقع، سواء بسواء، وفي جنفهم عن الحقيقة او تعمدهم لتزييفها واحتراق سواها والتحجيمها عندما تتعارض مع وجهات نظرهم، كدأب العديد من الاقلام البرجوازية المحافظة المكرسة لخدمة الرأسمالية والاحتكارات

<sup>٢٩٢</sup> معجم المطبوعات المخطوطية، المعطيات السابقة نفسها، ص ١٠٠، تسلسل ٢٤٢.

<sup>٢٩٣</sup> المستشرقون، المعطيات السابقة نفسها، ٢/٦٧٦؛ هامشنا في القسم الاول رقم (١٠٥).

العالمية. لهذا فان النقد الموضوعي يختلف بالطبع مع منطلقات النقد الذاتية، لأن غايتها بلوغ الحقيقة وتبنيتها بشكل افضل. وفي سياق هذا المنطلق تجري معارضتنا النقدية والتي لابد منها هنا، سوى أن تثبت، وعلى ضوء الحقائق المتيسرة والمستفادة من بطون أمهات المصادر والمرفدة بآراء ومناقشات العديد من المستشرقين والباحثين العرب، على أن المعلومات المتوفرة عن قدامة ليست نادرة ولاشححة، وأن كانت، نسبياً، غير واسعة ولاتفصيلية بالقدر الكافي، ولكنها ليست قاصرة عن رسم صورة عن قدامة. فكم هو واه ياترى التكذب على [افتراض] شحة المصادر لاتخاذها ذريعة تبريرية عن الاحراق في رسم الصورة؟! لأن هذا التكذب الضعيف لا يتصمد أمام الحقائق التي تشير إلى أن المصادر التي استعانت بها، بعد جهد ملحوظ، تحتوي أيضاً على معلومات أخرى عن قدامة وذويه لم يتطرق إليها، السيد المحقق، كما في الفهرست لابن النديم، وفي ارشاد الاربيب لياقوت الحموي، ناهيك عن مصادر أخرى لم يستعملها إطلاقاً كاليعقوبي والطبراني ومسكويه وابن الأثير. لاشك، إن هذه المعلومات التي تجاهلها أو جهل مواقعها، وإن لم تكن واسعة بالقدر الكافي، ولكنها، من المحقق، مفيدة إلى حد ما، في تقليل الشغافل وتغطي، مع المعلومات الأخرى المتجمعة لديه ومع ابحاث المراجع الحديثة التي لم يرجع إليها، تغطي، ولابد، مساحة أوسع ضمن اطار الصورة المرسومة من قبله. لقد كان حريراً ان يجاري الآخرين من محققين مؤلفات قدامة وبقية من كتب عنه.

تعتبر كتابة المقدمة لاي مخطوطه تم تحقيقها، حتى ولو تكرر التحقيق، امراً ضرورياً وتقلیداً علمياً يلتزم به المحققون الجديون كافة، لما لها -كما لاحظنا سابقاً- من اهميات، ابرزها وكشف جوانب جديدة عن المخطوط وعن حياة صاحبه. ومن هذا المنطلق تقييم المقدمات وتصدر بحثها الاحكام بالنجاح او الاخفاق. فالي اي مدى توفق د. الزبيدي وضع المقدمة لكتاب الخارج؟. لقد اكتفى باستعراض تعريف عن قدامة واصله ومؤلفه وقام بـتعداد مؤلفاته فقط. كل ذلك الاستعراض قام به من دون مناقشة. لقد كان ممكناً ان ينجز ما تطمح النفوس اليه من سمو المقدمة على كلّ ماتوصل اليه المستشرقون: دي غوية، في مقدمته باللغة الفرنسية لكتابي المسالك والممالك، لابن خرداذنة، ونبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، لقدامة<sup>٢٩٤</sup>، وبارتولد<sup>٢٩٥</sup> وبروكمان، وكراتشكوفسكي، وروزنثال، وغيرهم وعلى ماقتبه الباحثون العرب. ولكن خلافاً لما هو ممكن فإنه لم يفلح في بلوغ المرتجى، لأنّه لم يهئ، بشكل افضل، كافة مستلزمات الانجاز المبدع اذا لم تحظ كل النصوص المهمة الخاصة بقدامة وبمؤلفاته بالاهتمام المطلوب.

<sup>٢٩٤</sup> المعطيات السابقة نفسها، ١٧ صفحة.

<sup>٢٩٥</sup> المستشرق السوفيتي، فاسيلي فلاديميروفيچ بارتولد، مؤلفات بارتولد الكاملة، (بالروسية)، ثانية مجلدات، موسكو، ١٩٦٣-١٩٧٣. قام د. صلاح الدين عثمان هاشم من السودان، بترجمة المجلد الاول الى العربية بعنوان: تركستان، من الفتح العربي الى الغزو المغولي، الكويت، ١٩٨١م.

فقد اهمل دراسة معلومات هامة وموجودة في المصادر نفسها التي رجع إليها - كما أشرنا إلى ذلك سابقاً - مثل: [الفهرست لابن النديم، ص ١٦٨، حول إنتاج جعفر الأدبي، وارشاد الاريب لياقوت الحموي، ٤١٥-٤١٢/٢، حول جعفر وأنتاجه ومعارفه وأشعاره] كما لم يطلع على معلومات أخرى في مصادر لم يرجع إليها البته مثل: [تاريخ اليعقوبي، ٤٨٦/٢، تاريخ الرسل، للطبرى، ١٦٩/٩، مسكونيه، تجارب الامم، ٥٤٥-٥٤٢/٦، الكامل، لابن الآثرين، ٤٦/٧]، بالإضافة إلى عدم اطلاعه على بحوث ومقالات ومقدمات العديد من المستشرقين والباحثين العرب والمسلمين، حيث لانعدامة اشارة إليها، لهذا جاءت المقدمة متخلفة في مستواها عن كل ما سبقها، لخلوها من تفاصيل جديدة وتحليل دقيقة عميقة، إضافة إلى أن تناول أصل قدامة جاء مقتضاياً وهزلياً جداً ومرتبكاً بالوقت نفسه وكذلك الحال بالنسبة للحديث عن المخطوط وبقية مؤلفات قدامة، حيث اكتفى بتناولها - كما أسلفنا - فقط.

لقد تناول السيد المحقق الحديث عن قدامة وعن أبيه جعفر وعن جده قدامة في بداية المقدمة مشيراً إلى اعتماده في اقواله على [الحيوان وفخر السودان، للجاحظ، والفهرست لابن النديم، والامتناع، لابي حيان التوحيدي، والخطيب البغدادي [لم يذكر اسم مؤلفه: تاريخ بغداد]، والمنتظم، لابن الجوزي، وأرشاد الاريب، لياقوت الحموي، والوافي بالوفيات، للصفدي، وابن كثير [لم يذكر اسم كتابه= البداية والنهاية]، والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، وعقدالجمان،

لبدالدين العيني، والعطايا السنية، للملك الأفضل، والإيضاح، للمطرزي]، وهذا التناول قد ورد في الصفحات: ٥، ٦، ٧، من المقدمة. لقد بذلت جهودًـ ولاشكـ عند اقتباس هذه المعلومات إلا أن المقتبس ليس كاملاً ولا تماماً: فهناك معلومات -كما نوهنا سابقاًـ أخرى هامة تخص قدامة كما تخص والده وجده من النواحي الادارية والفكرية والعقائدية [لاندري لماذا؟] لم يتطرق إليها فاهملها أو تجنب ذكرها. كما وتناقض أهمية بعض المعلومات المنتقاة من المصادر المتأخرة [الصفدي، ابن كثير، ابن تغري بردي، العيني، الملك الأفضل، والمطرزي] اذ ليس فيها سوى محاكاة السلف بتكرار مسفله ويلاحظ بالنسبة لأسلوب اقتباساته أنه يذكر المؤلف أحياناً ولا يذكر اسم كتابه كما حصل في الاقتباس عن الخطيب البغدادي، حيث ذكر الخطيب البغدادي في متن الصفحة الخامسة، ولم يُعين في هامش الصفحة ولا في أي مكان آخر اسم كتاب الخطيب البغدادي، [تاریخ بغداد]، وحتماً لا الجزء ولا الصفحة ولا مكان وزمان طبع الكتاب، وكذلك بالنسبة لابن كثير فإنه لم يذكر نص قوله ولا اسم كتابه هنا ولكن اكتفى بأدراج اسم كتابه [البداية والنهاية] في ثبت المصادر بأخر الكتاب فقط. لقد ذكره هنا بكنيته ابو الفداء [كتبها ابو الفداء، بدون همزة]<sup>\*</sup> بينما الصح أن يذكره كما هو مشهور بأبن كثير، لأن ابا الفداء مؤرخ غيره. لقد بدأ الحديث عن قدامة واصله من

---

[<sup>\*</sup> بدون همزة اصبح. حسام]

بداية الصفحة الخامسة المكرّسة لقدامة ولأبيه، وفي هذه الصفحة يتداخل الحديث عن الوالد وولده بالشكل الذي يولد عسر الفهم والارتباك لدى القارئ، كما يبدو واضحاً افتقار الحديث إلى الدقة العلمية وكذلك يظهر فيه بجلاء نفاذ الصبر وضعف المناقشة، ولاسيما حول الآراء المتناقضة عن مستوى جعفر الفكري وعن انتاجه الأدبي. فإذا دققنا النظر فيما كتبه السيد المحقق عن قدامة وعن أبيه الذي هو كمالي: ((قدامة بن جعفر: أصله: وهو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب البغدادي وأبوه أبو القاسم جعفر بن قدامة بن زياد، وقد اختلف المؤرخون في نسباهته ومعرفته في الأدب)). فقد وصفه ابن النديم، في كتابه الفهرست: وصفاً يدل على خموله وخلوه من العلم والمعرفة، فقال: ((وكان أبوه جعفر من لا تذكر فيه، ولا علم عنده))<sup>٢٩٦</sup> ولكن الخطيب البغدادي يخالف رأي ابن النديم ويثنى عليه ثناءً كبيراً وعلى معرفته وسعة اطلاعه في فنون الأدب والعلم، فيقول عنه: انه احد مشايخ الكتاب وعلمائهم وينعته بوفرة الأدب، وحسن المعرفة ((ويذكر ان له مؤلفات في صناعة الكتابة، وانه تحدث عن أكابر العلماء الذين تلقى عنهم، والأدباء الذين جالسهم، كأبي العيناء الضرير، وحماد بن اسحاق الموصلي، ومحمد بن يزيد المبرد، ومحمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي وغيرهم.

---

<sup>٢٩٦</sup> كتاب الخراج، المعطيات السابقة نفسها، ص٥، وأشار في الهاشم (٣) الى ابن النديم، الفهرست، ص١٨٨.

ومن رواته ابو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الاغانى، وقد توفي ابو القاسم يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ٥٣٢٩<sup>٢٩٧</sup>.  
 نجد، إذا ما أمعنا النظر، في هذا النص الطويل، الذي نقلناه عن السيد المحقق، وقد تحدث في اکثره عن جعفر وتدخل الكلام بينه وبين ولده قدامة، بأن السيد المحقق لم ينافش اختلاف وجهتي النظر، بحق جعفر وأثما اكتفى بعرض وجهتي نظر ابن النديم والخطيب البغدادي من دون ابداء رأي قاطع فيهما. علماً بأنّ لابن النديم رأياً آخر في جعفر وقد ذكره في مجال غير هذا في كتابه "الفهرست"، مبيناً فيه ما يفيد بأنّ لجعفر هذا انتاجاً أدبياً ليس بالقليل وذلك عندما عدّ مصنفات الشعراء والكتاب فعدّ جعفراً معهم وقال بأن له [جعفر] مائة ورقة<sup>٢٩٨</sup>. فإذا كان ابن النديم نفسه قد بين بأن لجعفر انتاجاً أدبياً فالاولى بالسيد المحقق ان ينبه هو بالذات قبل سواه الى هذا التعارض الظاهري في اقوال ابن النديم بحق جعفر. وكان حرياً به ان يجري تحريياً أوسع في المصادر والمراجع ليتحقق من ذلك ومن ثم يجري تحليلاً لرأي ابن النديم عن جعفر في قوله: ((من لا تفكر فيه ولا علم عنده)), وعندئذ، على ضوء ما يتجمع لديه من معلومات، سيتكتشف له، كما نرى، بأن المراد من قول ابن النديم هذا ليس الخمول ولا الخلو من المعرفة -كما استنتاج السيد المحقق- وأنما

<sup>٢٩٧</sup> ن.م.، ص.٥.

<sup>٢٩٨</sup> المعطيات السابقة نفسها، ص.١٦٨.

المقصود من ذلك القول هو أن جعفرًا لا يمتلك اصالة ولا ابداعاً فكريًا وعلمياً متميزة مثل الذي لاحظه ابن النديم لدى قدامة بن جعفر. يُعزز هذا الاستنتاج أنتاجُ جعفرِ الادبي الذي نَعْتَ من جراءه بالكاتب وأشاد به الخطيب البغدادي. وياقوت الحموي وأورده عنهمما بعض الباحثين العرب. جاء في كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي في ترجمة جعفر بن قدامة الكاتب المرقمة ٣٦٧٠ في الصفحة ٢٠٥ في المجلد السابع ما يأتي: ((جعفر بن قدامة بن زياد، أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم، وافر الادب، حسن المعرفة، وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها، حدث عن أبي العيناء الضرير، وحمد بن اسحاق الموصلي، ومحمد بن مالك الخزاعي، ونحوهم. روى عنه ابو الفرج الاصفهاني))<sup>٢٩٩</sup>، وكتب ياقوت الحموي في أرشاد الاربيب، وهو ينقل عن الخطيب البغدادي وعن غيره، عن جعفر الكلام الاتي: ((جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب ابو القاسم ذكره الخطيب البغدادي فقال هو أحد مشايخ الكتاب، وعلمائهم وكان وافر الادب حسن المعرفة وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها، حدث عن أبي العيناء الضرير وحمدادي اسحاق الموصلي والمبред ومحمد بن عبدالله بن مالك الخزاعي ونحوهم روى عنه ابو الفرج الاصفهاني))<sup>٣٠٠</sup>، كما أورد له ياقوت الحموي أبياتاً متعددة الاغراض، كان جعفر قد نظمها في

<sup>٢٩٩</sup> طبعة بيروت، بالاؤفسيت، الناشر دار الكتاب العربي، بدون تاريخ.

<sup>٣٠٠</sup> المعطيات السابقة نفسها، ٢-٤١٢/٣.

مناسبات مختلفة<sup>٣٠١</sup>. إذن لو لم يكن جعفر أديباً وذو إنتاج ملحوظ لما أشاد بذلك الخطيب البغدادي وثني عليه مؤيداً ياقوت الحموي، عن استشهاده بأقوال الخطيب البغدادي، الامر الذي جعل خيرالدين الزركلي يستخلص، في اعتماده عليهم وعلى الذهبي، رأياً حسناً في جعفر حيث كتب عنه أنه كان: ((أديباً من كبار الكتاب، من اهل بغداد، له شعر رقيق ومصنفات في صنعة الكتابة وغيرها))<sup>٣٠٢</sup>. فهل يصح بعد هذا ان نكتفي برأي ابن النديم الاحادي بحق جعفر وبمستواه العلمي والادبي ونهمل رأيه [الآخر] ورأي الاخرين بمكانة جعفر العلمية والادبية؟ وهل يصح الاجمام عن مناقشة ما صرّح به ابن النديم، ولاسيما ونحن نملك هذا القدر من المعلومات عن نشاط جعفر وأنتجه العلمي والادبي؟ هل تقبل رأي ابن النديم على علاقته ام نرفضه كلياً؟ ام نجد له تفسيراً آخر؟ إننا لانجد -مع الاسف- لهذه الاسئلة أجوبة شافية في المقدمة لا بتعاردها بشكل واضح عن الجدل والمناقشة، رغم ماللجدل والمناقشة من أهمية في استخلاص أدق الاستنتاجات واقربها الى الحقيقة والواقع ناهيك عن دورهما [الجدل والمناقشة] في إثارة مسائل جديدة وأحياناً مُعقدة ولكن لها اهميتها في تسليط اضواء جديدة على المشكلة المثارة.

<sup>٣٠١</sup> ن.م.، ٤١٣/٢، ٤١٤، ٤١٥.

<sup>٣٠٢</sup> الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ١٢١/٢.

لاتفتقر المقدمة الى الجدل والمناقشة في معظم اجزائها فحسب، وإنما ينقصها، في نواح عده، تطبيق منهج البحث العلمي بشكل سليم أيضاً، فعلى سبيل المثال لا الحصر هناك عنوف واضح عن منهج البحث العلمي لدى استخدام رأي الخطيب البغدادي بحق جعفر، وقد نبهنا الى ذلك سابقاً، ويتبين الابتعاد عن منهج البحث العلمي هنا في الامور الآتية:

١. لم يذكر اسم مؤلف الخطيب البغدادي، الذي هو تاريخ بغداد، ولم يذكر تبعاً لذلك الصفحة التي نقل عنها والجزء ومكان وزمان طبع كتاب تاريخ بغداد، لم يذكر كل ذلك لافي متن الصفحة الخامسة من كتاب الخارج [المقدمة] ولا حتى في ثبت المصادر في آخر الكتاب [والشئ نفسه قد حصل مع كتاب تاريخ الادب العربي لكارل بروكلمان حيث قد أشار الى بروكلمان في الصفحة (١٢) دون اي ذكر لكتابة (تاريخ الادب العربي) ولا الجزء ولا الصفحة ولا النسخة الاصلية او الترجمة العربية، مكان وزمان الطبع، لأنجد ذلك لا في متن الصفحة ولا في هامشها ولا في ثبت المصادر بأخر الكتاب. وكذلك الحال مع ابن كثير، الذي اطلق عليه خطأ، ابو الفدا، فقد ذكره مجرداً في الصفحة السابعة ولم يذكر معه اسم كتابه: البداية والنهاية في هذه الصفحة وإنما اكتفى بدرج كتاب البداية والنهاية في آخر الكتاب في ثبت المصادر فقط]، مما يُدلّل على أنه نقل أقوال الخطيب من مصدر وسط وليس من تاريخ بغداد مباشرة، ونحن قد رجّحنا [سابقاً] عن ارشاد الاربيب لياقوت الحموي. ولكن الاقتباس هنا قد تم من غير ذكر

أو اشارة لارشاد الاريب كمصدر وسيط. لقد كتب ياقوت ترجمة لاباس بها عن جعفر تحت تسلسل (١٥٦) في المجلد الثاني [ارشاد الاريب، الصفحات ٤١٢-٤١٥، بأعتناء مرغليوث]<sup>٣٠٣</sup> أدرج فيها نصوصاً ومعلومات استقاها من مصادر مختلفة، وقد أشار ياقوت بوضوح الى مصادر معلوماته ومن بينها: ما نقله عن الخطيب البغدادي. كما أورد ياقوت -كما ذكرنا آنفاً- أبياتاً من الشعر قالها جعفر في اغراض مختلفة، طوى السيد المحقق كشهادة عن ذكرها- لانه لم يشا ذكر ياقوت في هذا المجال.

٢. لم يثبت النص في المقدمة بشكل دقيق حيث كتب وحصر بين حابستين وأضيف عليه كلام من المحقق وبعده أردف بكلام مباشر من الخطيب البغدادي ولكنه لم يحصر بحابستين وإنما ترك وكأنه كلام للخطيب البغدادي غير مباشر مما يجعل الامر ملتبساً على القارئ ويتعذر عليه وبالتالي تحديد عائدية هذه الاقوال المتراوحة [كما سنرى في خبر وفاة جعفر]، فلا يعرف القارئ هل هي جميعاً منقوله عن الخطيب البغدادي؟ أم عن سواه؟ ولكن السيد المحقق يابى أن يذكره؟.

٣. لم يرد ذكر المبرد في تاريخ بغداد في قائمة العلماء الذين جالسهم أو أخذ عنهم جعفر مطلقاً، ولكن ياقوت الحموي قد ذكره [اللقب فقط] وقد اضاف السيد المحقق الاسم الثلاثي للمبرد خلافاً

---

<sup>٣٠٣</sup> المعطيات السابقة نفسها، ط ٢، ١٩٢٤ م.

لم هو وارد في ارشاد اقوال الخطيب نُقلت، عن ياقوت وليس من تاريخ بغداد.

٤. لم يذكر الخطيب البغدادي في ترجمة حال جعفر في تاريخ بغداد خبر وفاة جعفر وأئمماً ورد خبر وفاة جعفر في أرشاد الاريب، ولكن ياقوت الحموي قد أسنده خبر الوفاة إلى ابن بشران الاهوازي، حيث ذكر: ((وقال ابو محمد عبيد الله بن أبي القاسم عبدالمجيد بن بشران الاهوازي في تاريخه مات ابو القاسم جعفر بن قدامة بن زياد يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الاخرية سنة ٣١٩))<sup>٣٠٤</sup>. كان ياقوت الحموي، وهو يستقي معلوماته عن جعفر من مصادر مختلفة، من الخطيب البغدادي وأبن بشران الاهوازي، وغيرهما، يشير إلى ذلك النقل بشكلٍ واضحٍ ودقيق، ولكن السيد المحقق، وهو في عجلة من أمره قد خلط معلومات ياقوت الحموي ذات المصادر المتعددة، وقد نسبها جميعاً إلى الخطيب البغدادي. وكان من جراء تسرّعه أيضاً أنّ اعتبر تاريخ الوفاة في عام ٣٢٩هـ، بينما كان ياقوت الحموي قد ذكر بأنه نقل من تاريخ ابن بشران الاهوازي سنة وفاة جعفر وحدّثها بعام ٣١٩هـ وهذا العام قد أخذ به العلامة المرحوم خيرالدين الزركلي<sup>٣٠٥</sup>، رغم أنه قد نوّه - كما بينا سابقاً - بأنّ الذهبيّ اعتبر وفاة جعفر في عام

<sup>٣٠٤</sup> ن.م.، ٤١٣/٢.

<sup>٣٠٥</sup> الاعلام، ١٢١/٢.

٨٣٠هـ وان الخطيب لم يذكر سنة وفاة جعفر. فمن أين ياترى جاء السيد المحقق بعام ٩٣٢هـ؟

٥. ورد الكلام عن خبر وفاة جعفر في مقدمة كتاب الخراج على هذه الصورة: ((وقد توفي ابو القاسم يوم الثلاثاء لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ٩٣٢هـ))<sup>٣٠٦</sup>. وهذا الكلام قد جاء متمماً للحديث المنسوب اقتباسه عن الخطيب البغدادي مما يوحى بأنّ خبر الوفاة منقول عن الخطيب البغدادي بينما الخطيب البغدادي لم يذكر - كما قلنا سابقاً - سنة وفاة جعفر وإنما هذا الخبر منقول عن أرشاد الاربيب لياقوت الحموي مع فارق أنّ ياقوتاً قد بين مصدر هذا الخبر وهو ابن بشران الاهوازي، وأنّ سنة الوفاة هي ٣١٩ وليس ٣٢٩. وهذا ما يدلّ على أنّ النقل قد ثُمّ عن أرشاد الاربيب ولكن بشكل مشوه وغير سليم. وحسب ظنّنا أنّ الامر قد اخترط على السيد المحقق فتوهم بأنّ خبر وفاة جعفر الوارد في ارشاد الاربيب، ربما قد نقله ياقوت عن الخطيب البغدادي، لأنّه [السيد المحقق] لم يطلع حتماً على تاريخ بغداد، كما أنه لم يلحظ تصريح ياقوت بال المصدر الذي استقى منه خبر الوفاة [تاريخ ابن بشران الاهوازي]. ربما قصد السيد المحقق د. الربيدي، بتصرفة بخبر الوفاة، البلاغة فعمد الى الاختزال شاطئاً اسم المؤلف، الطويل نسبياً وأسم كتابه، ولكنّ هذا احتمال ضعيف، وحتى لو سلمنا بحسن النية في القصد، فإنه غير سليم وذلك لخلقه الارتباك

<sup>٣٠٦</sup> كتاب الخراج، المعطيات السابقة نفسها، ص.٥.

بأرتباط النص الخاص بالوفاة بما سبقه من نصوص فيتعذر معه تثبيت عائدية الخبر لأنّه مردوف على اقوال الخطيب البغدادي الآخرى لأنّ السيد المحقق قد تحاشى عن ذكر أرشاد الاربيب كمصدرٍ لمعلوماته عن جعفر. ولكننا نرى -كما نوّهنا مراراً- على الرغم من الاختلاف في ذكر سنة الوفاة بين عامي ٣١٩ [أرشاد الاربيب] و ٣٢٩ [مقدمة كتاب الخراج]- بأنّ كلام ياقوت عن جعفر بن قدامة، من أوله إلى آخره، وإن تحاشى عن ذكره، هو الهيكل الاساسي الذي بني عليه السيد المحقق رأيه في جعفر بن قدامة. وأماماً اقوال الخطيب البغدادي فقد تمّ نقلها عن أرشاد الاربيب والدليل الناصح هو خبر وفاة جعفر، الذي يكشف هذا النقل -كما بيّنا آنفاً-. وكان المفضل النقل مباشرةً من تاريخ بغداد أو من أرشاد الاربيب مع الاشارة إلى الوساطة في استخدام أرشاد الاربيب لنقل كلام الخطيب البغدادي، ثم يردفه بقول الاهوازي عن وفاة جعفر لتلقي الارتباك والخطأ وأنهak منهجه البحث العلمي، ولأنّ عام ٣١٩هـ، الذي أورده ياقوت من تاريخ ابن بشران الاهوازي، هو المعتمد من قبل العلماء، وقد ذكرنا بأنّ الزركلي قد اعتمدته يُعتبر النقل عبر وسيط أمراً مقبولاً فقط في حالة ذكر ذلك الوسيط، وإذا كان المصدر مفقوداً أو بلغة أخرى لا يتقنها الباحث، وهذا من اضعف الاساليب، أما أن يُنقل عبر وسيطٍ ويُعقل ذكره، فهذه نكسة خطيرة في سبيل توطيد الأسس السليمة لمنهج البحث العلمي، الذي نسعى جاهدين جميعاً لاقراره، لأنّ من أولى مستلزمات الانجاز العلمي الاصيل الصدق والأمانة.

لا يخفى ما للعقيدة المسيحية من دورٍ في تمهيد السبيل للذين يجيدون السريانية من معتنقيها في تسهيل الوصول إلى ينابيع الفكر اليوناني بنسبة أعلى من الذين يعتمدون في دراساتهم على الترجمات العربية عن السريانية والاغريقية سواء بسواء. لقد أهمل السيد المحقق جانباً مهماً في حياة جعفر بن قدامة وهي مسألة عقيدته التي كان عليها إلى سنة وفاته، ذلك لأنَّ لهذه القضية أهمية في تسلیط الضوء على نشاط جعفر الفكري وعلى ثقافته وثقافة ابنه قدامة. نحن نعلم أنَّ قدامة بن زياد -والد جعفر- كان مسيحيًا، وقد ورد خبرُ أحدايٌ عن اسلامه في تاريخ الرسل للطبری [١٦٩/٩] ولكننا قد رفضنا سابقاً هذا الخبر لتواتر الاخبار المروية عن إسلام حفيده قدامة بن جعفر، بعد الحاج الخليفة المكتفي بالله -كما مرّ بنا سابقاً-. تبرز -ولاشك- في خضم هذه الملابسات قضية معقدة نوعاً ما وهي التي تخص عقيدة جعفر بن قدامة: هل كان مسلماً أم مسيحياً؟ وهل ظلَّ على عقيدته النصرانية حتى وفاته عام ٥٣١هـ؟ أم أسلم قبل وفاته، منذ اعتناق ولده قدامه الإسلام؟ لم تتطرق المقدمة إلى هذه القضية مطلقاً. وإذا كانت شحة معلومات المصادر عن هذه المسألة بالذات تمنع كاتب هذه المقدمة بعض العذر في التردد بالحكم الجازم على هذه القضية إلا أنَّها لا تعطيه الحق بأتخاذه [الشحة] مبرراً لامال القضية والسكوت المطبق عنها نهائياً. فهو لم يشر إليها مطلقاً، على الرغم من أدراكه ما للعقيدة المسيحية من تأثير في تمهيد السبيل لتعلم السريانية، التي عبرها

جرى الكثير من الترجمات العربية للمؤلفات الاغريقية<sup>٣٠٧</sup>، السند الاساسي في تكوين خلفية قدامة الفكرية، ولاسيما في الفلسفة والمنطق والبلاغة والنقد. وحتى إذا كان من الصعب الجزم بماهية العقيدة التي كان عليها جعفر عند وفاته فإن الجدل والمناقشة في هذه المسألة، وحتى مجرد الاشارة اليها، لا تخلو من فائدة، لأن المناقشة افضل بكثير من التغاضي او السكوت عنها: لأن الصمت والاحجام عن ذكر المشاكل، حتى ولو كانت مستعصية معقدة، لا ينسجمان والنهج العلمي الرافض لأسلوب التهرب من المشكلات المعقّدة. يتوجب علينا -والحالة هذه- خلق مناخ فكري أرحب يسمح للتوجيه والنقد الاهادف في توسيع دائرة الاسهامات الفكرية ليلعب دوره بشكل فاعل في توطيد التقاليد العلمية السليمة، المتحررة من ضيق الافق العلمي والسياسي، المبتلى به الفكر البرجوازي المحافظ، وفي نبذ النهج الخاطئ بوقتٍ مبكر، لأن التغاضي والسكوت عنه يسمحان بحدوث تراكم ثقيل يصعب تحمله والتخلص منه. لهذا فإن معالجة ماهية عقيدة جعفر تطرح نفسها أمام الباحثين، لأن مقدمة كتاب الخراج قد خلت من معالجتها او التطرق

<sup>٣٠٧</sup> انظر بهذا الخصوص مقالنا: دور المراكز الثقافية في تفاعل العرب وال المسلمين الحضاري، وهو البحث الذي القيناه في مهرجان افراط -حنين، والمنشور في كتاب: مهرجان افراط-حنين، بغداد، ١٩٧٤، ص ٢٨٣-٤٦٢، وكذلك مقال د. ابراهيم السامرائي، الذي القاه بنفس المهرجان، بعنوان: بين العربية والسريانية، مهرجان افراط -حنين، نفس المعطيات، ص ٣٣١-٣٤٢.

اليها. لقد ابدينا -فيما تقدم- رأينا، وقلنا فيه: بأنّ جعفراً كان مسيحيًا بدليل تواتر الاخبار المروية في المصادر المختلفة [اليعقوبي، ٤٨٦/٢، الطبرى، ١٦٩/٩، مسکویه، ٥٤٤/٦] عن عقيدة والده قدامة بن زياد المسيحية، على الرغم من خبر الطبرى الاحدى عن إسلامه وقد رفضنا هذا الخبر، وكذلك لتواتر الاخبار المروية في المصادر القديمة والمراجع الحديثة المحدثة عن نصرانية ابنه [قدامة بن جعفر] وإسلامه -بعد الحاج- ابن حكم الخليفة المكتفى بالله [٢٩٥-٢٨٩هـ]. لقد كان جعفر مسيحيًا وبقي كذلك حتى تاريخ إسلام ولده قدامة، وهذا تحصيل حاصل. وأما عن مسألة عقيدته في الحقبة المحسوبة بين اسلام ولده قدامة وبين وفاته هو [في ٣١٩هـ] فتبقى مُحِيرَةً ويصعب علينا الجزم بما هي: هل بقي جعفر محفظاً بنصرانيته حتى عام وفاته؟، أم وقع تحت تأثير المؤشرات نفسها، التي حدت بأبنه قدامة إلى نبذ دينه المسيحي واعتناق الاسلام، فأسلم هو كما أسلم أبنه؟. لا تسعننا المصادر -الواصلة اليانا لحد الان- بالاجابة على هذه المسألة المعقّدة. هناك احتمال ضعيف باسلامه أنسجاماً مع الظرف الجديد، الذي اوجده إسلام ولده، وأنْ تم بتعدد وبعد الحاج الخليفة. وما لم يُعثِر على نصوص جديدة توضح هذه المسألة فإنَّ البُتَّ بما هي عقيدة جعفر في الحقبة ما بين اسلام ولده -قدامة- وبين وفاته هو تظلَّ مُحِيرَةً ومُعقدة.

لقد اهملت مقدمة الكتاب مسألة مهمة أخرى ايضاً. وهذه المسألة لها اهميتها في حياة هذه الاسرة، الا وهي قضية الوظائف

الكتابية والادارية، سواء في الدواوين او على الاملاك الخاصة والتي تقلدتها افراد هذه العائلة ومارسوها، أباً عن جد، وأصبحت من تقالييد اسرتهم، كما منحthem ظرفاً مادياً ومعنوياً حسناً. لقد أشار اليعقوبي، [التاريخ ٤٨٦/٢]، الطبرى، [تأريخ الرسل ١٦٩/٩]، مسكوبى، [تجارب الامم ٥٤٤/٦]، ابن الاثير [الكامن ٤٦/٧] الى تولي قدامة بن زياد [الجد] الوظائف الكتابية وتوليه ادارة املاك ايتاخ [المعروف بالطبّاخ] الخاصة وكان ايتاخ ذا نفوذ كبير وثراء واسع واملاك عظيمة، ولاسيما في اواخر ايامه في خلافة المتوكل، حتى خشي الخليفة المتوكل من اتساع نفوذه وخفاف منه على نفسه فصمم على التخلص منه والاستحواذ على املاكه. لقد نال ايتاخ الحظوة والمركز الخطير لانه كان موضع ثقة واعتماد الخلفاء [المعتصم والواثق والمتوكل] فكانوا يوكلون اليه امر التخلص من الخصوم وتصفيتهم جسدياً ومالياً فيودعون لديه ليقضى عليهم. ذكر الطبرى:

((ذكر ان ايتاخ كان غلاماً خزرياً لسلام الابرش طباخاً، فأشتراه منه المعتصم في سنة تسع وتسعين ومائتين، وكان لايتاخ رجلاً [الرجلة بالضم، مثل الرجلة] وبأس، فرفعه المعتصم ومن بعده الواثق، حتى ضم اليه من اعمال السلطان اعملاً كثيرة، ووالاه المعتصم معونة سامراء مع اسحاق بن ابراهيم، وكان من قبله رجل، ومن قبل اسحاق رجل، وكان من اراد المعتصم او الواثق قتله فعند ايتاخ يقتل، وببيده يحبس، منهم محمد بن عبد الملك الزيات، واولاد المؤمن من سندس، وصالح بن عجيف وغيرهم، فلما ولـي المـتوـكـل

كان ايتاخ في مرتبته اليه الجيش والمغاربة والاتراك والموالي والبريد والحجابة ودار الخلافة)<sup>٣٠٨</sup>. وهذا الكلام تجده ملخصاً عند ابن الاثير [الكامل ٤٣/٧]<sup>٣٠٩</sup>، وكذلك كتب مسكونيه عن إيتاخ: ((وولي الاعمال الكبار وكان من اراد المعتصم او الواثق قتله حبس عند إيتاخ فلما ولی المتوكى كان الى إيتاخ الحبس والمغاربة والاتراك والبريد والحجابة ودار الخلافة))<sup>٣١٠</sup>. لقد كان قدامة بن زياد يتولى ادارة املاك ايتاخ ايام نفوذه وعزه وسلطانه، مما اتاح له [قدامة]، ولاشك، الحصول على مكاسب مادية ومعنوية اغنته ورفعت شأنه، لأن وظيفة الكاتب، التي تلقدها في زمانه، تمثل اليوم وظيفة مدير عام الحسابات والادارة معاً. ولكن قدامة لم يبن هذه المنزلة الرفيعة من غير متابع وبدون ثمن، لانه قد حصل عليها جراء تفانيه في خدمة اسياده المتنفذين المفتضبين المستغلين للجماهير، وبخاصة إيتاخ، بطرق ملتوية، كالرشوة وسوء استغلال المستضعفين المستغلين تحقيقاً لرغبات الاسياد. فلا يستبعد ظهور سخطِ وامتعاض وحقد وكراهيّة الجماهير المستغلة المُضطهدة المظلومة ضدّ إيتاخ وضدّ

<sup>٣٠٨</sup> تاريخ الرسل، المعطيات السابقة نفسها، ٩-١٦٦/٧.

<sup>٣٠٩</sup> المعطيات السابقة نفسها، لقد ورد ايتاخ في الصفحة (٤٣) من الجزء السابع ذاته وفيه اخطاء طباعية حيث كتب عن ايتاخ: ((كان ايتاخ غلاماً حوريّاً)، والصحيح خزرياً نسبة للخز، وكذلك كتب عنه: "فحبس منهم اولاً المأمون بن سندس". والصحيح فحبس منهم أولاد المأمون من سندس، مما اقتضى التنوية.

<sup>٣١٠</sup> تجارب الام، المعطيات السابقة نفسها، ٦/٥٤٢.

معاونيه ومنفذّي أوامره ورغباته ولا يستثنى منهم قدامة بن زياد الذي يتحمل مسؤولية الاستغلال وسوء طرق جباية الاموال. وحتى اذا كانت المصادر لم تشر الى ذلك فأننا نرى بأنّه من غير المحتمل عدم ظهور امتعاض وسخط الجماهير المظلومة المستغلة وهي تواجه مختلف صور الجور والاستغلال المطبقة من قبل ايتاخ، الذي كان يتولى اعمال المشرق من العاصمة سُرَّ من رأى (سامراء) حتى خراسان والسنند وكور دجلة، ثمّ ضمّ الواثق اليه اعمال المغرب بعد وفاة اشناس عام ٥٢٣هـ [اليعقوبي، ٤٨٣/٢، الطبرى، ١٣١/٩، ابن الاثير، ١٨/٧] ومن قبل منفذّي تعليماته وأوامره، ويأتي في مقدمتهم كاتبه على امواله وضياعه الخاصة قدامة بن زياد. ولكنّ محاسبة إيتاخ مالياً وجسدياً [انظر التفاصيل: اليعقوبي، التاريخ، ٤٨٥/٢-٦، الطبرى، تاريخ الرسل، ١٦٨/٩-١٧٠، مسكويه، تجرب الام، ٥٤٣-٥٤٥، ابن الاثير، الكامل، ٧-٤٦/٧]، ومحاسبة أعوانه [قدامة بن زياد، وسلامان بن وهب]، وأفراد عائلته [ولديه منصور ومظفر] معه لم تكن أستجابة لسخط الجماهير، بل كانت المحاسبة هذه أجزاءً تقليدياً تعمد سلطة الخلافة الى سلوكه، دوماً، لارهاب موظفيها وإخافة العامة من الناس، كما تسعى من وراء ذلك استخلاص أدق المعلومات عن مؤامرات ودسائس البلاط، إضافة الى معرفة مصير الأموال المتحجرة لدى عمال الدولة ومسؤوليتها بطرق

مشروعه أو غير مشروعه سواءً بسواءً .. وأما محاسبة المسيئين لأجل أمتصاص النعمة، بأختيار كبسٍ فداءٍ من بين المغضوب عليهم تحت ضغط الارهاسات الجماهيرية، فهي نادرة الحصول. ولهذا فان محاسبة إيتاخ واعوانه وافراد عائلته لم تكن ضمن هذا السياق، بل كانت -كما قلنا- نتيجة حسد ومؤامرات ومكائد ودسائس الحاقدين من وراء الأستار [الكواليس] في البلاط ضد إيتاخ، والتي لاقت قبولاً وتجاويباً من الخليفة المتوكل، الخائف من تعاظم نفوذ إيتاخ، يقول اليعقوبي: ((وأتصل بالمتوكل انه كان على أيقاع الحيلة به، فلما لم يمكنه ذلك طلب الحج))<sup>٣١١</sup> والكلام يعود هنا على إيتاخ. أما ما يرويه الطبرى، تاريخ الرسل<sup>٣١٢</sup> ومسكويه، تجارب الامم<sup>٣١٣</sup>، وابن الاثير، الكامل<sup>٣١٤</sup>، في حوادث سنة ٢٣٥ هـ عن سبب الخلاف بين المتوكل وايتاخ يعود الى حالة من السكر والعربدة أدت الى تهجم المتوكل على ايتاخ ومحاولة هذا الاخير قتل الخليفة المتوكل في تلك الليلة ذاتها،

\* ولأجل مصادر أموالهم وأملاكهم، إذ كانت المصادر سائدة في العصر العباسي الثاني (٢١٨-٢٣٤) لحاجة الخلفاء الى الأموال، نتيجة ضعف الخلفاء وتسلط الاتراك على شؤون الخلافة، وتقنص نفوذ الخلفاء على الامصار والبلدان، لاسيما منذ عهد المتوكل. [د. حسام]

<sup>٣١١</sup> تاريخ اليعقوبي، المعطيات السابقة نفسها، ٢/٤٨٥.

<sup>٣١٢</sup> المعطيات السابقة نفسها، ٩/١٦٧.

<sup>٣١٣</sup> المعطيات السابقة نفسها، ٦/٥٤٢.

<sup>٣١٤</sup> المعطيات السابقة نفسها، ٧/٤٣.

فليس دقيقاً لأنّه يرجع الخلاف وما تبعه من أجراء إلى حادثة طارئة بينما جذور الخلاف أعمق، ولكن يمكن اعتبار الحادثة بشكل أدق نعمة حرج انفجرت من تراكم الحقد والخوف معاً، فكانت كما يقال، القشة التي قسمت ظهر البعير، وبها ظهرت السرائر على المكشوف فكان لابد من الحسم، وقد تم بتصفية ايتاخ. وفي سياق الاجراءات التي اُتخذت ضدّ إيتاخ تمّ حبس قدامة بن زياد وزميله سليمان بن وهب وضريهما وجاءت ذلك متزامناً مع عملية تصفية ايتاخ وحبس ولديه منصور ومظفر لاتمام الاجراءات التصفوية، التي هي المحصلة الطبيعية لتعارض مصالح الاستقرائية<sup>\*</sup> العلنية والخفية في بلاط الخليفة المتوكل. كما وان بعض الاجراءات المتخذة بحق قدامة وسليمان جاءت من اجل اقرارهما وادلالهما بما لديهما من معلومات خطيرة وخفية عن ايتاخ وعن تصرفاته وتجاوزاته وكذلك عن دقائق احواله وامواله واملاكه الخاصة وعن تصرفاته بأموال الخلافة العامة.

أن ادارة قدامة بن زياد لاملاك ايتاخ الخاصة مهدّت السبيل، ولاشك، للتوارث عائلته الوظائف الادارية والمالية. لقد أشارت المصادر الى تولي جعفر بن قدامة الكتابة، بيد أنّ اشارتها الى اشتغال قدامة بن جعفر بالدواوين، في وظائف كتابية متعددة وفي البريد

---

\* علمياً لايجوز استخدام المصطلحات الحديثة على حوادث جرت في العصر العباسي، بدلاً من ذلك تستخدم عبارة: الطبقة الفنية والمسلطة. [د. حسام]

وغيرها، جاءت بشكل واسع. لقد كانت للوظائف الكتابية والادارية التي تقلّدها قدامة بن زياد وابنه جعفر تأثير واضح، ولاريب، في تهيئة وتمهيد السبيل امام قدامة بن جعفر، وبقدراته الذاتية ايضاً، ليتقلّد المناصب ويتطلع بالشؤون الادارية والوظائف الكتابية المنعكسة في مؤلفه (الخرجاج وصنعة الكتابة) بشكل جيد. فكان من الضروري التطرق الى هذه النقطة المهمة لبيان تأثيرها في الانتاج الفكري لدى قدامة الحفيد، لأنّها تشکل، بالإضافة الى خبراته المكتسبة، خلية رصينة، انعكست بشكل واضح، اضافة الى استخدامه الوثائق الرسمية المتوفّرة لديه بحكم الوظيفة، والى معلوماته الجغرافية والتاريخية، في مؤلفه النفيسي، الخراج وصنعة الكتابة. يقول المستشرق السوفيتي كراتشковسكي في تقريره كتاب قدامة (نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق دی غویة): ((وليس لدى قدامة مصنف جغرافي بالمعنى الدقيق بل لديه مدخل من اجل اعمال الدولة هو كتاب الخراج وصنعة الكتابة))<sup>٣١٥</sup>. وذكر عنه كذلك: ((ومقدمة القسم المطبوع تعطي فكرة جلية عن وجهة نظر المؤلف والغاية التي استهدفتها والخطة التي سار عليها، وهي تسمح بتقدير دور البريد في الدولة العباسية، وهو الغرض الرئيس من كتابي ابن خرداذبة وقدامة))<sup>٣١٦</sup>.

<sup>٣١٥</sup> تاريخ الادب الجغرافي العربي، المعطيات السابقة نفسها، ١٦٥/١.

<sup>٣١٦</sup> ن.م، ١٦٦/١.

أما المستشرق بروكلمان فقد كتب عن كتاب قدامة بأنه: ((يعرض لنظام البريد ثم يصف الأرض وصفاً عاماً يعني فيه ببلاد الإسلام وما يجب منها من مال. وبعد وصف الأمم الأجنبية المجاورة وببلادها ينتقل إلى إدارة الأموال العامة ونظام الجباية وقانون الإدارة. وفيه تاريخ مختصر للفتوح نقله من كتاب البلاذري)).<sup>٣١٧</sup> ويزّ المستشرق روزنتال أهمية مؤلف قدامة من بين نظرياته من المصنفات في اهتمامه بالاحصاء الاقتصادي وربطه بالأدارة والخارج والوظائف الحكومية فيقول: ((في مثل هذا النوع من الكتب في القرن العاشر نجد نموذجاً بارعاً من التفكير التاريخي والاجتماعي النافذ في النظريات الاقتصادية الإسلامية إلا وهو كتاب الخراج لقدامة بن جعفر الذي يختلف عن كتب الخراج الأولى للقاضي أبي يوسف ويحيى بن آدم أو كتاب الأموال لابن سالم من حيث أن في قدامة فصلاً طوياً (خاصاً) عن تاريخ الفتوح الإسلامية، ومن الطبيعي أن الفتوح تقدم الأساس القانوني لنظام الضرائب الإسلامي، كما أن أدلة الفتوح كانت تستنتج من الباحثين في قضايا الضرائب عند اللزوم. غير أن بحث الفتوح ضمن كتاب الخراج يقوم على أسس أخرى فقد كان قدامة يريد بمزجه دراسة الضرائب بالتاريخ، ان يوسّع ميادين البحث التاريخي - كما حدث من مزج الجغرافية بالتاريخ آنذاك)).<sup>٣١٨</sup>

<sup>٣١٧</sup> تاريخ الأدب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٤/٢٤٣.

<sup>٣١٨</sup> علم التاريخ، المعطيات السابقة نفسها، ص ١٦٤.

إن كتاب قدامة عن الخراج قد نال تثميناً عالياً لربطه المسائل الاقتصادية بالنواحي التاريخية وعلى ضوء المعلومات الجغرافية والوثائق الرسمية المستقاة من دوائر عمال الدولة وموظفي البريد في الامصار الاسلامية. يقول كراتشوفسكي بهذا الصدد: ((والجزء الذي في متناول اليد الآن يذكر كثيراً بكتاب ابن خردانة فقد انصب اهتمامه الأساس على وصف طرق البريد والولايات مع ايراد معلومات هامة عن تقسيم الاراضي وجباية الخراج. كما يوجد به استطراد في تاريخ الفتوحات الاسلامية يستند على البلاذرية. وتورد في صلب العرض معلومات عن محيط الجغرافية الرياضية وأوصاف الجبال والانهار والاقاليم السبعة. كما يولي اهتماماً كبيراً لجيران العالم الاسلامي)).<sup>٣١٩</sup>

ونظراً للأهمية التي يكتسبها كتاب (المسالك والممالك) لابن خردانة في أعطاء معلومات جيدة عن البلدان الخاضعة للخلافة ولاسيما في اواسط آسيا، والتي ثمنها المستشرق السوفيتي العلامة فاسيلي فلاديميروفيج بارتولد<sup>٣٢٠</sup>، ولما كان ابن خردانة، المتوفى

<sup>٣١٩</sup> تاريخ الادب الجغرافي العربي، المعطيات السابقة نفسها، ١٦٥/١.

<sup>٣٢٠</sup> مؤلفات بارتولد الكاملة، المعطيات السابقة نفسها، المجلد الاول، (النص الروسي)، موسكو، ١٩٦٣، الترجمة العربية، الكويت، ١٩٨١، ٢١ نصاً واستشهاداً باقوال ابن خردانة، المجلد الثاني، القسم الاول، موسكو، ١٩٦٣م، (٩) استشهادات، المجلد الثالث (مع الاسف ليس معي في العراق)، المجلد الرابع، موسكو، ١٩٦٦، (١٥) نصاً واستشهاداً،

في حدود ٣٠٠هـ<sup>٢١</sup> قد سبق قدامة في تأليف كتابه فأنَّ أهمية كتاب الخراج لقدامة تأتي في أتمام المعلومات في المواضيع التي تناولها ابن خرداذبة. لقد أعتمد بارتولد تسميات قدامة لمناطق وموقع ومدن وأشخاص في آسيا الوسطى في مجالات عديدة من ابحاثه القيمة [المجلد الاول - ١٠ - نصوص -، المجلد الثاني، القسم الاول (نصاً واحداً)، القسم الثاني - ٧ - نصوص -، المجلد الثالث (ليس معه)، المجلد الرابع ١٠، المجلد الخامس ٣، المجلد السادس ١، المجلد

المجلد الخامس، موسكو، ١٩٦٨، (١٢)، المجلد السادس، موسكو، ١٩٦٦، (١٠)،  
المجلد السابع، موسكو، ١٩٧١، (١٠) والمجلد الثامن، موسكو، ١٩٧٣م، (٢٤) نصاً  
واستشهاداً. ونقل كراتشكوفسكي (٣٣) نصاً واستشهاداً في مؤلفه تاريخ الادب الجغرافي  
العربي، بجزئيه عن "ابن خرداذبة".

<sup>٢١</sup> ذكر الزركلي، الاعلام، ٤/٣٤٣، بأن مولد ووفاة ابن خرداذبة على الصورة التالية:  
الظنون (١٦٦٥م) وهدية العارفين (٦٤٥/١) قد ورد فيما خبر الوفاة في عام ٣٠٠هـ.  
إننا نرجح عام ٣٠٠هـ، وهو ما أخذ به دي غويه، حيث على مقدمه كتاب: "المسالك  
والمالك" لابن خرداذبة، الذي قام بتحقيقه: ولكراتشكوفسكي، ملاحظة على عام  
وفاة ابن خرداذبة، حيث كتب يقول: ((كذلك لسنا على يقين من عام وفاة ابن  
خرداذبة))، وإذا كان صحيحاً ما أورده حاجي خليفة، معتمداً في ذلك على مصدر  
غير معروف لنا، من أنه توفي حوالي عام ٣٠٠هـ=٩١٢م، فإنَّ ابن خرداذبة يكون قد  
عاش عمراً طويلاً لانه ولد على ما يظهر حوالي عام ٢٠٥هـ=٨٢٠م. وقد اشار  
كراتشكوفسكي في الهاشم رقم (١١) في الصفحة (١٧٢) من من الجزء الاول، من تاريخ  
الادب الجغرافي العربي الى حاج خليفة، الجزء الثاني، ص ١٠١، الرقم ٢٠٨٦، تاريخ  
الادب الجغرافي العربي، المعطيات السابقة نفسها، ١٥٦/١.

السابع ٢، والمجلد الثامن<sup>٣٢٢</sup>[٣]، وهو يطلق على قدامة، مثلما أطلق على ابن خرداذبة، بالجغرافي العربي، وكتب كراتشکوفسکی بصدق أهمية كتاب الخراج، في اتمام المعلومات في المواضيع التي تناولها ابن خرداذبة، مايأتي: ((وعلی العموم فمن الافضل اعتبار القسم المطبوع من كتاب قدامة بمثابة تتمة هامة لابن خرداذبة إذ كثيراً مايساعد في تحقيق نقاط عديدة فيه لانه يعتمد في اغلب الاحوال على الوثائق الرسمية لذلك العهد)).<sup>٣٢٣</sup>.

للننظر ماذا وفرت مقدمة السيد المحقق من معلومات أمام القارئ عن قدامة بن زياد، كأبرز شخصية متقدمة في السلم العامودي للعائلة، لت تكون لديه فكرة اولية عن الممehات التي هيأت لقدامة بن جعفر بعض مركبات هيكل تكوينه الفكري والوظيفي، الذي تخوض عنهما مؤلفه الخراج وصنعة الكتابة؟.

### بنکھی زین

[www.zheen.org](http://www.zheen.org)

<sup>٣٢٢</sup> مؤلفات برتولد الكاملة، المعطيات السابقة نفسها، المجلد الاول (الروسي)، ص ١٣٢، هامش ص ١٦٨، هامش ص ١٨٦، ص ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٩-٢٢٧، هامش ص ٢٣٠، ص ٢٢٢، ٢٧٨ (الترجمة العربية)ن ص ١٦٧، ٢١٦، هامش ص ٢٢٦، ص ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٥، ٢٨٦، هامش ص ٢٨٧، ص ٢٩١، ٣٤٦، المجلد الثاني، القسم الاول، ص ٣٨، المجلد الثاني، القسم الثاني، ص ٢٨٠، هامش ص ٢٨١، ص ٢٨٣، ٢٨٤، هامش ص ٢٨٥، ص ٢٨٩، ٨٨، المجلد الرابع، ص ٢٣، ٢٨، ٣٤، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٥٠-٥٨، هامش ص ١٤٩، المجلد السادس، ص ٢٤٣، المجلد السابع، ص ٥٧، ٦١، والمجلد الثامن، هامش ص ٥١، هامش ص ١١٢، وص ٥٢٦.

<sup>٣٢٣</sup> تاريخ الادب الجغرافي العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٦-١٦٥/١.

لأشئ سوى خبرين مبتسرين هزيلين هامشين نُقلا عن الجاحظ [كتاب الحيوان، ٩٥/٥، فخر السودان]<sup>٣٢٤</sup> ليمان حياة قدامة بن زياد ومركزه الاجتماعي والوظيفي لا من قريب ولا من بعيد، وأنما ينسب هذان الخبران اليه الحكمة والكيمياء وقول الشعر!. فتذكر المقدمة عن قدامة الجد، ثمانية اسطر فقط في الصفحة السادسة وعلى الوجه الآتي: "أما جده [الضمير يعود على قدامة الحفيد] ح. ق. العزيز"، فإن المعلومات التي بين أيدينا قليلة جداً لاتكفي لاعطاء صورة واضحة عن حياة هذا الرجل، وكل الذي يعرفه المؤرخون عنه ما أورد الجاحظ عنه فقال: ((وقال قدامة حكيم المشرق في وصفه الذهن شعاع مركوم، ونسيم معقود، ونور بصاص، وهو النار الخامدة، والكبيرت الا حمر))<sup>٣٢٥</sup>. وكذلك أورد الجاحظ نصاً آخر في كتابه، فخر السودان من مجموعة رسائله عند الحديث على قبة قصر غمدان، قال: وفيها يقول قدامة حكيم المشرق وكان صاحب كيمياء: فأوقد فيها ناره ولو أنها أقامت كعمر الدهر لم تنصرم<sup>٣٢٦</sup> هذا كلّ ما وفّرته المقدمة من معلومات عن قدامة بن زياد! ولم تنس المقدمة أن تشير إلى أنّ المعلومات لدى كاتبها قليلة جداً

<sup>٣٢٤</sup> الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ٦، لم يذكر اسم الرسالة كاملاً والذي هو: في فخر السودان على البيضان، ولم يحدد في أيّة مجموعة من رسائله المطبوعة بأوقات وأماكن مختلفة.

<sup>٣٢٥</sup> الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ٦.

<sup>٣٢٦</sup> ن.م، ص ٦.

لاتكفي لاعطاء صورة واضحة عن قدامة الجد، وان كل مايعرفه المؤرخون عنه هو ما اورده الجاحظ عنه! لندق بأمعان في هذه الجملة: ((وكل الذي يعرفه المؤرخون عنه ما اورده الجاحظ عنه)). فهل الجاحظ هو الوحيد الذي انفرد بين بقية المؤرخين بمعلوماته عن قدامة؟ وهل حقاً أن هذه المعلومات هي الوحيدة عنه؟ إذن مامصادر المعلومات التي ذكرها اليعقوبي والطبرى ومسكوبىه وابن الاثير عن قدامة بن زياد النصرانى الكاتب، الذى كان كاتباً على اموال ايتاوخ بالقول بان كل مايعرفه المؤرخون عنه لا يتعدى ما اورده الجاحظ عنه فقط؟ هل هذه فذلكرة التستر تخفي بها عجزنا عن الوصول الى المعلومات؟ اليis في هذا القول الدليل على الرغبة في عدم تجشم الصعاب بالبلوغ للمصادر الاصلية؟

اما بقصد الاستهانة بمكانة الجاحظ العلمية، فابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب [١٦٣هـ/٧٨٠م-٢٥٥هـ/٨٦٩م]<sup>٣٢٧</sup>، عالم موسوعي تعتمد بعض ارائه وتقييماته، بيد ان اهتماماته متنوعة

<sup>٣٢٧</sup> اعتبر يوسف اليان سركيس ولادة الجاحظ في عام ١٦٠هـ، وذكر في الهامش رقم (١)، الجزء الاول، ص٦٦، عنه مايلى: " جاء في ياقوت ان مولده في اول سنة ١٥٠ او في آخرها ثم قال ومات سنة ٢٥٥ (٢٥٥) في خلافة المعتمد وقد جاوز التسعين فالغلط ظاهر) معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ٦٦١/١. بينما اعتبر الزركلي، الاعلام، ٤٢٩/٥، ميلاده في ١٦٣هـ/٧٨٠م ووفاته في ٢٥٥هـ/٨٦٩م، وهو الارجح.

ملاحظة: لقد كتب السيد المحقق اسم الجاحظ عمر بدلاً من عمرو باسقاطه الواو من اسم عمرو. وذلك في ثبت المصادر تسلسل (٥٥)، الخراج، ص٤٩١.

جداً ولا تقتصر على موضوع محدد بذاته، فهو وإن عُدَّ من علماء اللغة والادب والبلاغة، إلا أنه لم ينغلق على اختصاصه الضيق، وإنما امتدت معالجاته لتشغل حيزاً واسعاً من المعرفة، فأسهم في موضوعات مختلفة متنوعة كثيرة: تكفي نظرة فاحصة في آل (١٢٧) مؤلفاً ورسالة للجاحظ او منسوبة له والتي ذكرها ياقوت<sup>٣٢٨</sup>.

للتأكيد من سعة الميادين والحقول التي أرتادها هذا العالم الموسوعي. نجد بهذا الصدد تعليقاً مركزاً لكرانتشوكوفسكي، عند كلامه عن اسهامات الجاحظ في الجغرافية<sup>٣٢٩</sup>، على سعة الميادين التي تطرق إليها الجاحظ يقول فيه: ((... أما كبار العلماء فأئمهم بالطبع لم يحصروا نشاطهم في حدود ضيقية كاللغويين فعالم كالجاحظ (ت ٤٦٩/١٢٥٥م) تنعكس في مادته الجغرافية شخصيته الادبية الفريدة بما تمتاز به من سعة الافق وتنوع الموضوعات التي يطرقبها وملحوظاته الغنية الدقيقة)).<sup>٣٣٠</sup> وقد ابدى بروكلمان الملاحظة ذاتها عند دراسته الممتعة لمؤلفات الجاحظ وذكر محققيها، حيث كتب عن معارف الجاحظ وتنوعها: ((وقد تفنن الجاحظ في شتى فنون العلم، وتناول ايضاً المباحث الطبيعية والأخبار)).<sup>٣٣١</sup>

<sup>٣٢٨</sup> ارشاد الاربيب، المعطيات السابقة نفسها، ٦/٧٥-٧٨.

<sup>٣٢٩</sup> تاريخ الادب الجغرافي العربي، ١/١٢٨. انظر مناقشته لما عرضه المسعودي من مأخذ على الجاحظ في قوله بان منابع النيل والستند واحدة، ١/١٢٩-١٣٠.

<sup>٣٣٠</sup> ن.م.، ١٢٨/١.

<sup>٣٣١</sup> تاريخ الادب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٣/٧٠١.

انَّ تنوُّعَ وسعة اسهامات الجاحظ في التاليف [ذكر ابن النديم قسماً منها<sup>٣٣٢</sup>، وقدّم ياقوت فهرستاً بـ١٢٧٦ مولفاً<sup>٣٣٣</sup>، لكنَّ بروكلمان لم يذكر منها سوى (٧٧) كتاباً ورسالة<sup>٣٣٤</sup>] ولانتهاجه، في الغالب، اسلوباً تميّز بالظرافة وكثرة الاستطراد، ولان معالجاته للمسائل الجغرافية والتاريخية تأتي من منطلق اهتمامه بالنواحي الاجتماعية والسلوكية لدى الناس، وحتى لدى الحيوان أحياناً، ومتاثرة بخلفيته المنغمرة بشغف عميق للادب والبلاغة ولرغبتة في توظيف التهم الساخر وسيلة للمعارضة معاجل الناس يتسوقون لقراءة مؤلفاته الطافحة بالظرف والنكت، وقد تصور بروكلمان ان هذا الاسلوب كان مقصوداً من لدن الجاحظ ليكسب القراء أو حباً للمتعة والمسامرة<sup>٣٣٥</sup>، جعلت عنایته بما جريات الحوادث والاخبار التاريخية التفصيلية قليلة، وأحياناً معدومة، فاذا ما انتقى بعض الاخبار وأوردها في مظان مصنفاتة فأكملما يأتي بها موظفة لتحقيق الاغراض الاساسية التي استهدفتها مقرونة بالمتعة، حيث الظرافة - كما يلاحظ - تستحوذ على مساحةٍ واسعةٍ من تأليفه. وهذا ما يلاحظه المعنيون بالجاحظ وبمؤلفاته. تجد التفاصيل الواافية عنهم وعن كافة

<sup>٣٣٢</sup> الفهرست، كتاب نظم القرآن، ص ٣٨، كتاب البيان للزنج خطابة وبلاغة، ص ١٩، وكتاب في فضيلة الكلام، ص ٣٠٠.

<sup>٣٣٣</sup> ارشاد الاريب، المعطيات السابقة، ٦/٧٥-٧٨.

<sup>٣٣٤</sup> تاريخ الادب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٣/١١٠-١٢٨.

<sup>٣٣٥</sup> ن.م.، ٣/١٠٧.

مصنفات الجاحظ المحققة والمطبوعة والمخطوطية وحتى المنسوبة  
 اليه لدى يوسف اليان سركيس<sup>٣٣٦</sup>، وبروكلمان<sup>٣٣٧</sup> وكراتشكوفسكي<sup>٣٣٨</sup>  
 والزركلي<sup>٣٣٩</sup> وغيرهم، وتضاف اليهم مؤلفات وتحقيقـات وابحاث غير  
 واردة لديهم كالتي تعود الى: حسن السنديobi، ادب الجاحظ، ١٩٣١،  
 والمستشرق الفرنسي شارل بيلا، وهو اكثـر من درس وحقق مؤلفات  
 الجاحظ منذ عام ١٩٥٢م، كما يذكر نجيب العـيقـي، [المـستـشـرقـونـ،  
 ١٣٢٦-٧]، انظر على سبيل المثال مؤلفـه الواسع: الجاحظ في البصرة  
 وبـغـدـادـ وـسـامـراءـ [أـلـفـ شـارـ بـيلـ، كـتابـاـ عنـ الجـاحـظـ مـوسـومـاـ بـ:ـ الجـاحـظـ  
 فيـ الـبـصـرـةـ،ـ وـكـذـلـكـ بـحـثـاـ عنـ الجـاحـظـ فيـ بـغـدـادـ وـسـامـراءـ،ـ نـشـرـهـ فيـ مجلـةـ  
 الـدـرـاسـاتـ الـإـسـلـامـيـةـ [يـسـمـيـهاـ العـيقـيـ:ـ الـدـرـاسـاتـ الـشـرـقـيـةـ،ـ ٢٧ـ،ـ ١٩ـ٥ـ٢ـ،ـ ٢ـ٧ـ]  
 المستـشـرقـونـ ١٣٢٦ـ/ـ١ـ]ـ التـيـ تـصـدـرـ فيـ رـوـمـاـ.ـ قـامـ دـ.ـ اـبـراهـيمـ الـكـيـلـانـيـ  
 بـتـرـجـمـةـ الـكـتـابـ إـلـىـ الـعـرـبـيـةـ وـكـذـلـكـ تـرـجـمـ الـبـحـثـ وـالـحـقـهـ بـالـكـتـابـ وـسـمـيـ  
 الـجـمـيعـ:ـ الـجـاحـظـ فـيـ الـبـصـرـةـ وـسـامـراءـ،ـ وـطـبـعـ الـكـتـابـ مـعـ الـمـلـحـقـ فـيـ  
 دـمـشـقـ،ـ ١٩ـ٦ـ١ـ]ـ،ـ وـطـهـ الـحـاجـريـ،ـ الـجـاحـظـ،ـ حـيـاتـهـ وـآـثـارـهـ،ـ ١٩ـ٦ـ٣ـمـ،ـ  
 الـمـسـتـشـرقـ السـوـفـيـيـ خـرـلـمـبـيـ بـارـانـوـفـ،ـ تـرـجـمـ كـتـابـ الـبـخـلـاءـ إـلـىـ  
 الـرـوـسـيـةـ،ـ ١٩ـ٦ـ٥ـ،ـ وـدـ.ـ وـدـيـعـةـ طـهـ النـجـمـ،ـ الـجـاحـظـ وـالـحـضـارـةـ الـعـبـاسـيـةـ،ـ  
 ١٩ـ٦ـ٥ـ،ـ وـالـجـاحـظـ (ـالـمـوـسـوعـةـ الصـغـيرـةـ)،ـ ١٩ـ٨ـ٢ـ،ـ وـدـ.ـ صـالـحـ اـحـمـدـ

<sup>٣٣٦</sup> معجم المطبوعات، نفس المعطيات السابقة، ٦٦٦-٦٦٩/١.

<sup>٣٣٧</sup> المصدر السابق، ٢/١١٠-١٢٨.

<sup>٣٣٨</sup> تاريخ الادب الجغرافي العربي، المعطيات السابقة نفسها، ١٢٨-١٣٠/١.

<sup>٣٣٩</sup> الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٥/٢٣٩.

العلي، البلدان، ١٩٦٦، د. طريف الخالدي، الفصل السادس من مؤلفه: دراسات في تاريخ الفكر العربي والاسلامي، بيروت، ١٩٧٧، د. حاتم الضامن، مالم ينشر من تراث الجاحظ، ١٩٧٩م، والدكتورة عتاد غزوان اسماعيل وجلال الخطاط وعلى عباس علوان، مختارات من آثار الجاحظ، ١٩٨٠، و. د. الياس فرح، الصراع الفكري عند الجاحظ (الموسوعة الصغيرة)، ١٩٨١م، د. نوري جعفر، الجوانب السايكولوجية في ادب الجاحظ، ١٩٨١م، عبدالسلام محمد هارون، كتاب البرصان والعرجان والحوالن، ١٩٨٢م [سبق للاستاذ محمد موسى الخولي تحقيق كتاب البرصان والعرجان والعميان والحوالن، القاهرة-بيروت، ١٩٧٢م]، ولكن عبدالسلام محمد هارون لم يشأ الاشارة الى تحقيق محمد موسى الخولي وأنما أورد إشارة غير صريحة عنه اذ قال: ((... وإنما أعکف الان على اكمال تحقيق كتاب البرصان والعرجان للجاحظ من نسخته الوحيدة في العالم كله، التي صدرت عنها طبعة مشوهة تشويهاً مبنياً على نقص الخبرة بقراءة المخطوطات، وعدم التمرن الكامل بأسلوب الجاحظ)), مقدمة كتاب البرصان، ص:ب من المقدمة. علمًا بأن الاستاذ عبدالسلام محمد هارون من المتخصصين بأصول البحث العلمي فكان حرياً ان يشير بشكل واضح الى تحقيق الاستاذ محمد مرسي. والاستاذ عبدالسلام محمد هارون من المساهمين القدامى في تحقيق بعض نتاجات الجاحظ، وللاستاذ محمد توفيق حسين، مفهوم الانسانية والعنصرية عند الجاحظ (الموسوعة الصغيرة)، ١٩٨٥م، واحمد بن محمد بن

امبير بك، بغداد، ١٩٨٦م: صورة بخيل الجاحظ الفنية من خلال خصائص الاسلوب في كتاب البخلاء.

#### مِرْكَزَاتُ اسْلَوْبِ الْجَاحِظِ وَانْعَكَاسَاتُهَا :

ظهر أسلوب الجاحظ فريداً متميّزاً وسهلاً ممتنعاً، ولاشك، كمحصلة لتفاعل عوامل ذاتية وموضوعية تضافرت، في خضم تناقضات مجتمعه وأرهاصاته، تحت تأثير شروط اقتصادية وأجتماعية وسياسية وفكرية معينة، لخلق مقومات شخصية الجاحظ العلمية والأدبية المبدعة الفذّة، ولصقل مواهبه وأرهاف فكره في عصرٍ بلغ التأثير المتبادل بين شعوب العالم في تثقافها الحضاري أوجّه، وشجّع انفتاح المعتزلة، والجاحظ كان واحداً منهم، العقلاني المتنور على تناول الموروث والمعاصر من العلوم العقلية والنقلية على اختلافها بمرونة غير معهودة. فنمت وانصهرت وتمازجت في ذلك الوسط ثقافة الجاحظ الواسعة ومعاناته الشديدة وتجربته الميدانية وفكره المتفتح، كمعتزمٍ، ونظرته الفاحصة الثاقبة الموسوعية ببعضها البعض. وكان العصر الذي بضم آثاره بوضوح في تكوين الجاحظ الفكري وصقل مواهبه وتنميته قد شهد مخاضات حضارية وفكرية تجلت في التطورات العلمية الرائعة والتسعات العظيمة في كافة ميادين الدراسات اللغوية والأدبية والعائدية والتأريخية وغيرها كنتيجة للمرونة التي خلّفها الانفتاح الفكري المتنور الذي مارسه المعتزلة. فلا غرو أن تتحقق بعض

طموحات الجاحظ العلمية وتحتل بعض معالجاته مكانها بين الدراسات الرائدة. تكفي الاشارة بهذا الصدد الى ان تصنيعه للحيوانات في كتابه "الحيوان" حمل علماء الاحياء على اعتباره ((من بين الاوائل الذين وضعوا خطوات علمية ملموسة لتحويل علم التصنيف الصناعي نحو مفهوم التصنيف الطبيعي))<sup>٣٤٠</sup>.

إن اسلوب الجاحظ لم يأت إعتباً وأنما بفضل تكريسه لقدراته ومواهبه في مواكبة جلدة وباستجابة متفتحة مرنة للمحفزات والمؤثرات، مهدّت له سبيل التخطي تعقيدات وعقبات التعنصر والجمود العقائدي. فلا عجب أن يحوز الجاحظ قصب السبق ويصبح المجلّي بين فرسان العلم والادب ومختلف صنوف المعرفة ويغدو أسلوبه فريداً متميزاً حتى يعرف به.

إن عدم التعمّق في سير اغوار الشروط الموضوعية والذاتية لملموسيات واقع الجاحظ المعاش، عبر امتداد عمره المديد [نيف وتسعين عاماً] متتناولاً فيه من شريحة اجتماعية الى نقاضها ومحاكاً بفئات وطبقات اجتماعية متباعدة في حرفها ومخولاتها ومستويات معيشتها وطرز حياتها وتفكيرها وموقعها الاجتماعي، إذ أمتد الوسط الذي عاش فيه من حافات العدم والاملاق الى منتهى البذخ والاسراف، فمن وسط بائعي الخبز والسمك بأسواق البصرة المدقعين الى أرقى

<sup>٣٤٠</sup> كتاب علم الاحياء، (للمدارس المتوسطة)، لمجموعة المؤلفين، بغداد، ١٩٨٢م، ص. ٢٩.

محافل رجالات البلاط في الحاضرة العباسية المسيرفين، مما أثر، من دون شك، في تغيير وتنوع طرز وانماط نظرته ومنهجه وأسلوبه في الحياة والتفكير ومن موقفه من الطبقات الاجتماعية والمتميزة، لأنَّ واقع الناس المادي هو الذي يحدد تفكيرهم وموقفهم وليس التفكير هو الذي يعيّن الواقع المادي للناس. لقد انعكس كل ذلك وبشكل واضح في اسلوب الجاحظ وأرائه. ولئن ومضت جذوة متبقية من جذور انحداره الطبقي فما هي سوى مضات عابرة لمصباح باهت، -اعانته احياناً- على تلمس طريق الصواب وسط ديجور اكداش منضدة من تصريحات أيديولوجية مكرسة لخدمة الطبقات السائدة الملتصق بها في مراحل حياته الاخيرة. فلاغرابة أن تكتنف اراءه افكاراً متناقضة [كالتي عن بعض الخلفاء الراشدين، وعن الامويين والخوارج والشيعة- رغم كونه معتزلياً محايده] تكشف في حقيقة امرها عن محتنٍ كمفكر حرِّ دأب على التوسع في الاطلاع بنهم المتفتح المتّور وبمروره الموسوعي العقلاني ليصطدم بواقعٍ وجّد نفسه فيه مرغماً على لوي اعناق الحقائق مملاً للاسياد [العباسيين]، مما أوقعه، ولاشك، في صراعٍ فكري وتمزقٍ وتصادمٍ داخليٍّ للتعارض الحقائق التي يعرفها حق المعرفة مع رغبات اصحاب السيادة والرأي والقرار في المجتمع العباسي<sup>٣٤١</sup>. إنَّ عدم التعمق في سبر أغوار الشروط

---

<sup>٣٤١</sup> عن هذه المعاناة وما اعتبرها من تراجعات في مجتمع كان يمر بالتناقضات، انظر: ما اورده شارل بيلا، في مؤلفه الجاحظ في البصرة وبغداد وسامراء، ترجمة

الموضوعية والذاتية، خلال الحقب الزمنية التي عاشها الجاحظ، ذو الشخصية المعقدة المركبة، وتقلبه فيها من موقع لآخر، سيفضُّل، لاريب، من فرص امكانية الادراك الجيد والفهم العميق لسر تمير الجاحظ بأسلوبه الخاص المتسم بالابداع والصياغة العبرية والرهافة الفكرية ولسر احتواء ارائه أفكار متناقضة. حتى لو بذل اي باحث اقصى جهوده، فإنه لن يفلح في بلوغ مستوى النضج في التشخيص والاستنتاج العلمي الصائب انْ هو ابتعد، سهواً او تعمداً، عن دراسة الظروف الموضوعية والذاتية، للهيكل الارتکازی لا يبحث، والتي هي من العوامل الاساسية في خلق وتكوين مقومات آية شخصية مدروسة. فلا نعجم إذن إنْ وجدنا عالماً مثل كارل بروكليمان لم يوفق تمام التوفيق في تعليل بعض خصوصيات أسلوب الجاحظ الطريف الساخر جراء اهماله دراسة الترابط الجدلی بين تكوين الجاحظ ومؤهلاته ومنهجه وعطائه من جهة وبين مؤشرات مجتمعه عند تحليله لأسلوب الجاحظ من جهة اخرى. رغم تناوله الاسلوب اثناء كلامه عن مؤلفات الجاحظ المتنوعة عبر مراحل حياة الجاحظ المختلفة. إذ جنف، ولسنا نعلم ان كان ذلك متعمداً او من دون قصد، عن سير اغوار الشروط والظروف الموضوعية والذاتية بشكل دقيق معمق فجاء تعليله مفتقرأً للدقة العلمية فقد كتب

بروكلمان: ((... وزيادة على هذه الكتب الكبرى، [يقصد البيان والتبيين والحيوان والبخلاء- ح. ق. العزيز] صنف الجاحظ أيضاً عدداً كبيراً من الكتب والرسائل [ثم ذكر له ٧٤ كتاباً ورسالة])<sup>٣٤٢</sup>. ثم يبدي بروكلمان رأيه بأن قصد الجاحظ من مزاولة الكتابة والتصنيف هو التسلية والمسامرة أكثر من الافادة والتعليم وأن الجاحظ قد صرّح بذلك بنفسه، هذا هو رأي بروكلمان فقد كتب: ((وكان مقصد الجاحظ من مزاولة الكتابة والتصنيف هو التسلية والمسامرة أكثر من الافادة والتعليم. وقد صرّح هو نفسه كثيراً عن ذلك))<sup>٣٤٣</sup>. كما انه في اول عهده بالتصنيف كان يتطلب رواجاً لكتبه فينسبها الى بعض العلماء المشهورين، على ما حكاه ايضاً في بعض رسائله<sup>٣٤٤</sup> ولما اشتهر امر الجاحظ وانتشر ذكره كان يعرض كتبه في احسن صورة لئلا يستثقل الناس قراءتها، والناس آنما يطلبون اللذة والمتعة اكثر من التعليم والاستفادة<sup>٣٤٥</sup>.

لقد لاحظ كراتشکوفسکی ملاحظة بروكلمان نفسها تقريراً عن اسلوب الجاحظ، فهو يشير: الى ((افتقاره الى الترتيب الى جانب ميله المعروف الى الامتناع على حساب الفائدة))<sup>٣٤٦</sup>. لكننا نجد انَّ من

<sup>٣٤٢</sup> تاريخ الادب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ١٢٨/١.

<sup>٣٤٣</sup> ن.م.، ١٠٧/٣.

<sup>٣٤٤</sup> ن.م.، ١٠٧/٣.

<sup>٣٤٥</sup> ن.م.، ١٠٧/٣.

<sup>٣٤٦</sup> تاريخ الادب الجغرافي العربي، المعطيات السابقة نفسها، ١٢٨/١.

العسير الاتفاق مع الاراء التي تعتبر التسلية والمسامرة دافعاً حمل الجاحظ على كتابة مصنفاته بهذا النمط، فحتى وأن ظهرت الدعاية سمةً وبان الاستطراد ملازماً في أسلوبه البليغ الممتع في ظرافته وتهكمه، فهو لم يكن موسراً عندما انكب بنهم شديد على الدراسة والتحصيل [شبه الميداني، حيث اعتمد على ملاحظاته الخاصة في الاسواق]، ولم ينهج ذلك ليتسلى بالتأليف، كما يفعل بعض سرافة القوم ومترفיהם، وإنما كان يستهدف من تحصيل العلم والتأليف، تحسين واقعه المادي والاجتماعي المتربدين، بأمل نيل الحظوة والثراء، وقد نالهما بعد طول معاناة، ولحاجته للتزود بمعارف زمانه من أجل المحاورة والنقاش، كدأب أغلب المعتزلة العقلانيين، وهو منهم، فأنتقل بفضل نبوغه ورهافة فكره وذوقه الادبي الرفيع وسعة اطلاعه وبلغته وظرافته، من طبقة المعدمين [كان من موالي البصرة - حيث مولده ووفاته فيها - يبيع السمك والخبز في حداثته، وقد ورث عن جده - فزاره، الذي كان زنجياً وجملاً ومولى عمرو بن قلع الكناني - سواد اللون والولاء لعمرو بن قلع الكناني] والتقصق بالاستقراطية المتنفذة في البلاط العباسي: أصبح نديماً للوزير محمد بن عبد الملك الزيان في خلافة الواقع ولفتره قصيرة جداً من خلافة المتوكل. كما رُشح لتأديب اولاد الخليفة المتوكل، الا أن الخليفة صرفة ل بشاعة منظره، كما يروي هو عن نفسه، بعد أن منحه

عشرة الاف درهم<sup>٣٤٧</sup>. وصار ثريًا من المحن التي نالها عن بعض مؤلفاته. روى ياقوت الحموي عن ميمون بن هارون أله قال: ((قلت للجاحظ لك بالبصرة ضيعة؟ فتبسم وقال: إنما أنا وجارية تخدمها وخادم وحمار أهدى كتاب الحيوان الى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة الاف دينار وأهدى كتاب البيان والتبيين الى ابن أبي داؤد فأعطاني خمسة الاف دينار وأهدى كتاب الزرع والنخل الى ابراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة الاف دينار فأنصرفت الى البصرة ومعي ضيعة لاتحتاج الى تجديد ولا تسليم))<sup>٣٤٨</sup>.

إنَّ أسلوبَ الجاحظِ، البديعُ في بلاغتهِ والشاملُ لموسوعيَّتهِ والظريفُ بتهكمهِ، هو محصلةٌ طبيعيةٌ لثقافتهِ الواسعةٍ وتجاربهِ الغنيةُ خلال مسيرةِ حياتهِ الطويلةِ، التي تجاوزت التسعينَ ونيفَ عاماً، مرَّ فيها بظروفٍ متباعدةٍ وقاسى فيها من محنٍ وحرمانٍ وأرهاداتٍ وتهديدٍ بالموتِ وتمتع فيها بشراءٍ ووجاهةٍ وتكريرٍ، وانتقل خلالها من شريحة اجتماعيةٍ الى اخرى، وأسلوبهُ كذلك هو محصلةٌ اتساعٌ افقهُ لافتتاحِ المعتزلةِ العقلانيينِ المتنورينِ. فأسلوبهُ إذن نتيجةٌ عواملٌ موضوعيةٌ وذاتيةٌ ناجمةٌ عن تناقضاتِ المجتمعِ التي عانى من صراعاتها المؤطرةِ ايديولوجياً بالطائفيةِ والهرطيقيةِ مُعبِّراً عنها بالخصوصياتِ والمنازعاتِ المسلحةِ، الفئويةِ والإقليميةِ

<sup>٣٤٧</sup> نقلًا عن المسعودي، مروج الذهب، المعطيات السابقة نفسها، ٩٩-١٠٠/٤.

<sup>٣٤٨</sup> ارشاد الاريب، المعطيات السابقة نفسها، ٦-٧٥/٦.

والعنصرية، واحياناً الفكرية- كالشعوبية<sup>٣٤٩</sup>، مثلاً لاخفاء الصراع الطبقي الاساس، الذي كان يظهر سافراً في بعض انتفاضات الفلاحين، هنا او هناك، الذي كان عسر الادراك لابناء ذلك العصر. ويعزى اسلوبه الساخر التهكمي السافر والمخفي، الى امتعاضه، من سواد لونه وبشاشة منظره وتدني منزلته كمولى، من تعالي وازدراء الارستقراطية. انظر رسالته (فخر السودان على البيضان)، مثلاً، فأتخذ الفكاهة وسيلة لمعارضته الساخرة كهدف اساس، وأماماً تشوييق القراء لمطالعة مؤلفاته، بعضها طبعاً، فهو من تحصيل الحاصل وكنتيجة لانتهاجه اسلوباً امترجت فيه البلاغة بالسخرية والتهكم: انظر: سخريته اللاذعة في ذم البخل والبخالء في كتابه "البخالء" المكرّس للرد على سهل بن هارون، الذي امتدح البخل.

لقد وَظَّفَ الجاحظ اسلوبه التهكمي اللاذع، المفعم بالنكات الطريفة والمنتقاة ببراعة، وسيلة لمعارضته الساخرة وليس طليباً للفكاهة والمسرة، وإن أوردها على نفسه بالذات: ذكر ياقوت الحموي روایةً للمرزباني، قال فيها: ((وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك [يقصد الزيارات: الوزير المنوه عنه اعلاه ح. ق. العزيز] وكان منحرفاً عن احمد بن أبي دؤاد للعداوة بين احمد ومحمد ولما قُبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت أنْ اكون

<sup>٣٤٩</sup> انظر: معالجتنا لمسألة الطابع التقديمي والرجعي في التيار الشعوبية، في مقالنا: دراسة في الشعوبية، مجلة الثقافة الجديدة، مايس ١٩٧٦، ٨١-٦٥/٨٨.

ثاني أثنيين إذهما في التنور، يريد ما صُنِعَ بمحمد وأدخله تنور حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليُعذب الناس فيه فُعُذب هو فيه حتى مات يعني محمد الزيات<sup>٣٥٠</sup>) وذكر الجاحظ حادثة [قرأتها في احدى مؤلفاته منذ أيام بعيد، على الأغلب في البيان والتبيّن]، حصلت له مع امرأة سالتها أن يصنع جميلاً لها وذلك برأفته أياها إلى دكان صائغ فحسب، يقول الجاحظ: فأمتنعت لطلبهما، ولما وصلنا قالت للصائغ: مثل هذا، وأشارت اليه، وأنصرفت. ثم يقول: فأندهشت وحررت في أمرها ومرادها، ولما استفسرت من الصائغ عن جلية الامر، قال: طلبت مني تلك المرأة أن أصوغ لها خاتماً عليه صورة الشيطان، فلما اعتذر لها بأني لم أر الشيطان في حياتي، قالت: ما عليك أنا آتيك بمن يشبهه، فأتت بك.

حاشا ان ننتقص من مكانة الجاحظ العلمية عند تشخيصنا بأن اهتماماته تتسم بصورة عامة بالشمولية الموسوعية. لأن هذه الشمولية وهذه الموسوعية ناجمتان عن تصميمه الواعي على الجنف عن الانغماس في تفاصيل الاحداث التاريخية، التي كان يبتعد عن ذكرها قدر المستطاع، لأنّه كموسوعي، شأنه شأن ابن النديم، والشعالبي [ابو منصور عبدالملك بن محمد، ٩٦١/٥٣٥م - ٩٤٢هـ/١٠٣٨م]، في بعض مؤلفاته، وأبن خلدون [عبدالرحمن بن محمد، ١٤٠٦/٩٨٠هـ - ١٣٣٢هـ/١٣٣٢م]، في مقدمته فقط، مع فروق

مميّزه بينهم، كان لا يفرق نفسه في ماجريات الحوادث وتفاصيلها. علماً بأن الجاحظ وابن النديم، لم يخططا للعمل الموسوعي، بينما الشعالي بخلافهما، قد خطط لانتاج موسوعي مبرمج، في لطائف المعارف مثلاً، أما ابن خلدون، في المقدمة فقط، فقد تميّز عنهم جميعاً في مبادراته لربط أنماط الحياة الاجتماعية المتباينة باختلاف المهن والحرف وبالظروف البيئية [بين الريف والمدينة، او حسب تعبيره بين البداوة والحضرة]. وتشكل مبادرة ابن خلدون في هذا الربط استثناء رياضياً ليس على الموسوعيين الثلاثة، المشار اليهم اعلاه، فحسب وإنما على كافة المؤرخين العرب والمسلمين بما فيهم قدامة بن جعفر الذي ربط في كتابه الخراج، المسائل الاقتصادية بالنواحي التاريخية وعلى ضوء المعلومات الجغرافية.

إن الموسوعية التي انتهجها الجاحظ، وإن لم تكن مبرمجة، تجعله، في أحيان كثيرة، يحجم عن ذكر الأحداث التاريخية او الاهتمام بتفاصيلها حتى وأن كانت مهمة، والاًكيف تفسر عنوفه عن ذكر خبر حبس وتعذيب قدامة بن زياد، وهو المعروف لدى القاصي والداني، ولا ربط الحبس والتعذيب بتصفيته إيتاخ في عام ٢٣٥هـ؟ واكتفاء ذكر التّرّز اليسير لجوانب هامشية من حياة قدامة بن زياد، وهي المنقوله عنه في مقدمة السيد المحقق؟ لاشك أنَّ الامر لا يدعو الى الاستغراب او التعجب إذا ما اهمل الجاحظ الاخبار المهمة وذلك تبعاً للنهج الذي اتبّعه في انتقاء الاخبار التي تخدم اغراضه ومقاصده من الكتابة فحسب. فلا يمكننا، على ضوء ماتقدم، ان تعزو تجاهله

الجاحظ عن ذكر حبس وتعذيب قدامة الى جهله بالاحداث الجارية، ولاسيما وهو على صلة واطلاع، بما جريات الحوادث في الحاضرة العباسية والمعاصرة له ذلك بحكم صداقته ومنادمته للوزير محمد بن عبدالملك الزيارات حتى آخر لحظة من حياة هذا الوزير، الذي جرت تصفيته من قبل ايتاخ تنفيذا لاوامر الخليفة المتوكل في عام ٥٢٣هـ، اي قبل تصفيته ايتاخ وتعذيب قدامة بعامين فهل يعقل ان الجاحظ يجهل هذه الاحداث، ولم يتطرق اليها حتى سنة وفاته [٥٥٥هـ] ما لم يكن له منهج اخر للتعامل مع الاحداث؟

دفعتنا مناقشة اقوال السيد المحقق عن شحة معلومات المصادر عن قدامة بن زياد وحصرها بتلك التي أوردها الجاحظ عنه فقط، دفعتنا الى استطراد، طويل نسبياً، عن جوانب من شؤون الجاحظ ومؤلفاته واسلوبه، كنا في غنى عن ذكرها لو لم نضطر الى تصحیح هذه الاقوال، لأنّ الجاحظ لا يمكن ان يكون منبعاً وحيداً للمصادر عن قدامة، ولأنّ ما أورده عنه لا يُعدّ من الامور الاساسية بالنسبة لمصادر العائلة الاداري والفكري.

وردت في الصفحة السادسة، التي تناول فيها حياة قدامة بن زياد، نقطة تتعلق بمنهج البحث العلمي نرى ضرورة معالجتها لضمان الدقة في استخدام المصادر، وخاصة عند تحقيق كتب التراث. فقد ولاسيما تكرر في هذه الصفحة وفي غيرها عدم ذكر صفحة الكتاب وزمان ومكان طبع المصادر المستعملة، فهنا -الصفحة السادسة- ذكر السيد المحقق ان الخبر الاول الذي انتقاها عن قدامة بن زياد من

الجاحظ ائماً هو من كتاب الحيوان وذكر في الهاشم رقم (١): [كتاب الحيوان، ج٥، ص٩٥، تحقيق عبدالسلام هارون] واكتفى في ثبت المصادر، بآخر الكتاب [ص٤٩١ في التسلسل ٥٥] بذكر الطبعة الثانية فقط من دون ذكر السنة ومكان الطبع وأما الخبر الثاني، الذي ذكر أنه نقله عن الجاحظ أيضاً، فقد ذكر عنه في متن الصفحة السادسة أنه منقول عن كتاب الجاحظ، فخر السودان من مجموعة رسائله، هكذا فقط دون ذكر اسم الرسالة كاملاً الذي هو (فخر السودان على البيضان)، كما لم يذكر [لأفي متن الصفحة السادسة ولا في هامشها ولا حتى في ثبت المصادر -الرقم ٥٥] سنة ٤٩١ م. وقد ذكر هذه الرسالة في ثبت المصادر مطلقاً. علماً بأن رسائل الجاحظ قد حُقِّقت وطبعت طبعات عديدة، متفرقة وبصورة كاملة. وهذه الرسائل هي:

١. في الحاسد والمحسود.

٢. في مناقب الترك وعامة جند الخلافة.

٣. في فخر السودان على البيضان.

٤. في التربيع والتدوير.

٥. في تفضيل النطق على الصمت.

٦. في مدح التجار وذم عمل السلطان.

٧. في العشق والنساء.

٨. في الوكلاء.

٩. في استنجاز الوعد.

١٠. في بيان مذاهب الشيعة.

وقد طبعت على نفقة محمد الساسي، مصر، ١٣٢٤هـ. بينما طبع المستشرق فان فلوتن ثلاث رسائل في مجموعة واحدة بليندن عام ١٩٠٣م، وهي: الاولى: كتبها الجاحظ للفتح بن خاقان، في مناقب الترك وعامة جند الخلافة، الثانية كتاب فخر السودان على البيضان والثالثة كتاب التبييع والتدوير<sup>٣٥١</sup>. وطبع مناقب الاتراك [في طبقات: فضائل الاتراك] على انفراد بأربع وأربعين صفحة بالمطبعة العمومية سنة ١٨٩٨م. ونشر المستشرق البلجيكي يوش فنكل J. Finkel، ثلاث رسائل للجاحظ نشرت في كتاب، القاهرة، ١٩٢٦م، وهي:

١. الرد على النصارى.
٢. في ذم اخلاق الكتاب.
٣. في القيان.<sup>٣٥٢</sup>

وحقق المستشرق الفرنسي شارل بيلا رسالة التبييع والتدوير بمقدمة فرنسية مع ذكر المصادر وبعض الترجم وترجم مفرداته العويصة الى الفرنسية<sup>٣٥٣</sup>، وكذلك نشر شارل بيلا رسالة في الحكمين

<sup>٣٥١</sup> يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ١/٦٦٨.

<sup>٣٥٢</sup> يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ١/٦٦٨.

<sup>٣٥٣</sup> نجيب العقيقي، المستشرقون، المعطيات السابقة نفسها، ٣/١٠٠٠، انظر ايضاً: فهمي عبدالرزاق سعد، العامة في بغداد، في القرنين الثالث والرابع الهجريين، بيروت، ١٩٨٣م، وأشار الى ان هذه الرسائل طُبعت في القاهرة، ١٣٨٢هـ، بالمطبعة السلفية، ص ٣٦٢.

وتصويب أمير المؤمنين علي في فعله، في مجلة المشرق<sup>٣٥٤</sup>. وطبعت رسائل الجاحظ (١١ رسالة) بتحقيق عبدالسلام محمد هارون، القاهرة، ١٩٦٦م. فألى آية طبعة وأيّ عام والى أيّ محقق نسب الرسالة المبتورة الاسم التي استعان بها السيد المحقق حيث ذكر - كما أشرنا سابقاً - بالحرف الواحد: ((وكذلك أورد الجاحظ نصاً آخر في كتابه، فخر السودان من مجموعة رسائله))<sup>٣٥٥</sup>.

نختتم مناقشة مسائل أسلوب ومعاناة وبعض مؤلفات الجاحظ، المسهبة أكثر مما ينبغي، بأبداع ملاحظتين تقتضي الضرورة ايرادهما هنا، وهما:

أولاً: لا ينتظر أن يقدم أي إسهام في مناقشة مسائل مختلف عليها عقائدياً [ايديولوجياً] حول أسلوب تناول طبيعة العلاقة الجدلية بين تكوين الشخصية ومؤشرات المجتمع، من ناحية رفض هذه العلاقة او الاعتراف بها، آية اضافة علمية جادة الا إذا امتلك المساهم في تلك المناقشة خلفيّة فكريّة ثرة نقية [رصينة]، وارتکز في معالجته، بمنهجية علمية، على دراسة الاسس الارتكازية لهيكل التركيب الاجتماعي، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وإنعكاساتها الاجتماعية والسياسية والفكريّة والعقائدية.. الخ وما في ذلك المجتمع المدروس، في تلك الحقبة الزمنية، من تفاعلات متبادلة

<sup>٣٥٤</sup> نجيب العقيقي، المستشركون، ١/٣٢٦-٧.

<sup>٣٥٥</sup> نجيب العقيقي، المستشركون، ١/٣٢٦-٧.

التأثير، وفق ظروفها الشرطية، الحاصلة بموجب قوانين الجدل الطبيعية المسيرة لعملية تطور المجتمعات. فيتحرر المساهم بموجب تلك الدراسة من ضيق الأفق العلمي والسياسي ومن التعتّص و من جمود وضمية التحرّب العقائدي، لينطلق برويا صافية وبصيرة ثاقبة وتفتح من لاستكشاف الحقائق ومن ثم القيام بتحليل عميق توصل الى استنتاجات علمية صائبة موفقة، فترسي الحقائق في مواقعها الحقيقة. نأمل ان تكون مساهمتنا المتواضعة هذه قد وفقت للسير في هذا السياق.

بيد أن الفكر البرجوازي المحافظ لا يقر بهذه المسلمة، اذ يجنب متعمداً وبحس طبقي، في اغلب معالجاته ومناقشاته، عن هذا الاسلوب الامثل في دراسة سير الافراد ضمن سياق تطور المجتمعات، فيأبه حاقداً ويهمله تكبّراً ويتهم اصحابه بالية التطبيق باطلأ<sup>٣٥٦</sup>، مدعياً بأنّهم يتخدّون حالات معينة كعينات [مساطر، قوله.. كذا..].] جاهزة ليفرضوها قسراً على كل زمان ومكان، اي اتهمهم بتطبيق العام من قوانين التطور فحسب. يُتم ذلك -حسب افتاء الفكر البرجوازي المحافظ والرافض للاعتراف بقوانين التطور اصلاً- بحرق المراحل او بتجاهل خصوصيات موضوعية، وهذا بهتان يراد به استدراج البسطاء بذلة براقة زائفه. وعوضاً عن النهج العلمي السليم وبال مقابل يقيم اصحاب الفكر البرجوازي المحافظ دراساتهم

---

<sup>٣٥٦</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ٦.

وتحليلاتهم واستنتاجاتهم، البعيدة كلّ البعد في اكثراها، عن ملموسيات واقع المجتمعات المدروسة، والمتجاهلة لكلّ ما في تلك المجتمعات من عوامل مؤثرة متفاعلة، على تفسيرات بيئية وجنسية [عرقية] ونفسية، وحتى غيبية موروثة عن قرون وسطية لتبرّز دور الفرد وتميّزه ككائن مستقل ومنفصل عن مسيرة مجتمعه التطورية، وتفرض الصفة الممتازة والإرادوية ضمن إطار التحدى والاستجابة [كما دعى إلى هذه التفسيرات الخاطئة المضلّلة المؤرخ الانكليزي آرنولد توينبي]<sup>٣٥٧</sup>، وغاية أصحاب هذا الفكر أنْ تحلّ تحليلاتهم وآرائهم محل القوانين الموضوعية التي تحكم الاتجاه العام لحركة

<sup>٣٥٧</sup> تقوم حجتهم الباطلة على أنَّ قوانين سيرورة التطور البشري الطبيعية وما افرزته من تشكيّلات اقتصاداجتماعية خمس خاطئة ومحدودة وضيقية التطبيق لأنها قد بنيت على دراسة لبعض مناطق أوربية متأثرة بالثورة الصناعية في القرنين (١٨-١٩) فحسب، لذا لا يمكن اتخاذها معياراً عاماً ولا يصح تطبيقها في كل زمان وعلى المكان مغایرة في ظروفها وبيئتها وفي تطورها التاريخي. وفي هذا تجاهل واضح للحقيقة وعزوف متعمد عن الواقع لأنَّ هذه القوانين الطبيعية والتشكيّلات الخمس هي محصلة دراسة علمية شاملة لفلسفة ارتكزت نظريتها على تطورات علمية: كاكتشاف الخلية الحية وتحول الطاقة ونظرية التحول الداروينية، كما ارتكزت على دراسة الفلسفة الالمانية والاقتصاد الانكليزي والاشتراكية الفرنسية، وعلى الدراسات الاجتماعية للشعوب، نخص بالذكر منها دراسة مورغان، الهنود الحمر. فهذه القوانين هي محصلة دراسة علمية ميدانية عن احوال الشعوب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكريّة والعاقلية في سياق تطورها التاريخي في ظروفها البيئية المتّنوعة في ارجاء مختلفة من العالم.

المجتمع<sup>٣٥٨</sup>. لذا تراهم بدأب متواصل يكيلون التهم الباطلة جزافاً لكلّ تطبيق علمي لتلك القوانين الموضوعية على آية مرحلة مدرستة، قديمة أو حديثة، سواء بسواء، وهذا أمر طبيعى ومتوقع. ولكن المستغرب حقاً هو انزلاق بعض هذه التهم -احياناً- الى مؤلفات علمية جادة. ومهما تكن ذريعة ايرادها فإنّ ظهورها في مؤلفات علمية متزنة أمر غير مستساغ أطلاقاً، اذ المفروض فيها أن لا تساير الفكر البرجوازي المحافظ في اتهامه الفكر النقدي بتهم باطلة، حتى ولو قام اختلاف في الاجتهاد وتباينت وجهات النظر. انظر على سبيل المثال لا الحصر النشاز فيما أورده بحقي د. طيب تزييني، عند اتهامه أياي، في معرض انتقاده للباحث اليماني سلطان احمد عمر، بشأن اقواله عن المجتمع العبودي في اليمن القديمة، حيث لم يكتفى بوصف أقوالي، التي اعتبرت فيها العلاقات الاجتماعية السائدة في اليمن القديمة عبودية، بأنّها اقوال مفارقة [متناقضة]، لأنّه -أي د. طيب تزييني- يرى بأنّ ذلك المجتمع كانت تشمله موضعية ماركس عن العبودية المعممة، التي تحتلّ احدى اهم الخصائص لاسلوب الانتاج الاسيوى - أي المشاعي القروي. لم يكتفِ د. طيب تزييني - بوصفه أقوالي تلك بالมفارقة فحسب، وأثما

---

<sup>٣٥٨</sup> حول اطروحات ارنولد تويني الغريبة وعن الانتقادات الموجهة ضدها، انظر: ما اوردناه بهذا الصدد في بحثنا: مؤشرات التفاعل الحضاري، المنشور في مجلة الثقافة، بغداد، نيسان، ١٩٨١م، ٤/٥٤-٥٦.

اعتبر تلك المفارقة قد حصلت لي من جراء وقوعي [والنشاز يبدأ من هنا] تحت وطئة ما سماه -حسب تعبيره-: ((التأثير الذي مازال مهيمناً للمخطط الخماسي، الذي جعل منه ستالين، في حينه، كلمة الفصل في موقف الماركسية من التطور التاريخي))<sup>٣٥٩</sup>. لامجال هنا لمناقشة الاجتهادات المتعلقة بنوعية التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية في اليمن القديمة ولكنني اقول بكل تواضع أنَّ ماتوصلت اليه بقصد المجتمع العبودي في اليمن القديمة قد تبلور لدى بالاعتماد بشكل اساس على دراستي ومتابعتي المستمرة للهيكل الارتكازية التي يقوم عليها تقسيم مسيرة التطور البشرية الى خمس تشكيلات اقتصاداجتماعية، هذا التقسيم المحتفظ، لحد الآن، بأصالته وفاعليته وصحته، بفضل صياغته المبدعة من قبل ماركس وانكلز، وبفضل الدراسات النشطة والمناقشات المستمرة له من قبل علماء مختصين، سواء في الاتحاد السوفييتي او في سائر البلدان الاشتراكية او من خارج المنظومة الاشتراكية، *من تناولوا ومازالوا يتناولون* دراسة التشكيلات الخمس بتفهم عميق وامعان دقيق للقوانين الطبيعية التي تحكم سيرورة التطور البشري، العامة والخاصة، مقرونة باهتمامهم للخصوصيات الموضوعية، والتي اكَّدَ ماركس وانكلز على ضرورة ملاحظتها وأخذها بعين الاعتبار، فهي التي ادت، في بعض الاماكن ولحقب معينة، الى ظهور مايعرف بنمط الانتاج الاسيوى. لقد عالجت

---

<sup>٣٥٩</sup> بحثنا: مؤشرات التفاعل الحضاري، الثقافة، المعطيات السابقة نفسها، ٤/٥٤.

هذه القضايا في بحثي: عوامل التفاعل الحضاري<sup>٣٦٠</sup>، حيث أتيت فيه على الكثير من آراء ذوي الاختصاص في هذا الموضوع بصدق المجتمع العبودي وتحقق وجوده في احياء متعددة من البلاد العربية القديمة، وبضمها اليمن القديمة، كما أظهرت في المقال الاساس التمايز بين بعض الاراء المتباعدة لهؤلاء العلماء.

ثانياً: نعتقد بأننا تناولنا لموضوع الجاحظ، أسلوباً ومعاناةً وطرفاً من مؤلفاته قد جاوز حده، وإن كنّا لم نوفه تمام حقه، ولكن يتوجب علينا الاكتفاء بهذا القدر من الحديث عنه، لأنه مهما تكن الاهمية التي قد تكتسبها مساهمتنا المتواضعة عن الجاحظ، لتناولها مسائل تبأنت بشأنها وجهات النظر القديمة والحديثة، سواء بسواء، ولا يبعد اكتشافها عن التفسير العلمي الواقعي، مما يستوجب تصويبها وارسائها في مواقفها بشكل صائب وسليم، فإنَّ الاسهاب في الحديث، هنا، عن أسلوبه وعن معاناته الفكرية اضافة إلى التطرق إلى بعض ما نُشر وحقق وطبع من مؤلفاته، في سياق مناقشة السيد المحقق د. الزبيدي على اقتصاره في الاستشهاد للتعریف بقدامة بن زيد على بعض اقوال الجاحظ فحسب، واهماله بقية اقوال الكتاب والمؤرخين عنه، رغم اهميتها، سيفقد مساهمتنا المسبحة

<sup>٣٦٠</sup> د. طيب تزييني، الفكر العربي، في بوادره وأفاقه [وهو الجزء الثاني من مؤلفه الواسع: مشروع رؤية جديدة للفكر العربي]، دمشق، ١٩٨٢م، ص ١٢٨، الهاشم ١٠٧ و ١٠٨.

هذه آية مزية مكتسبة، ولربما يعود [الاسهاب، هنا ايضاً] بمردودات عكسية نخشاها، فقد تفقد الاوضوء المسلطة، رغم امتلاكها لبعض مقومات الاصالة، بريقها الساطع، وسط لجة التداعي وفيض الاستطراد، فتغدو من جراء ذلك، بأعينٍ أوسع القراء الكرام، وباستثناء ذوي الاختصاص طبعاً، باهتةً مملاً، ذلك لأنَّ الكلام خيره ماقلَّ ودلَّ، فإنْ أوجز اطنب وإنْ طال اسهل وما البلاغة الا في الإيجاز وإنْ كان معجزاً. فعلى هذا الاساس نعتقد ان من الاصوب الاكتفاء بهذا القدر من النقاش فهو الافضل في هذا المجال، على أنْ نسعى لأنْ يكون لنا اسهام اوسع في بحث يكرس للجاحظ في المستقبل. ونرى من النافع، في الوقت ذاته، ان نشير على القراء الكرام، ومن استهواهم المناقشة، ولاسيما لمن يروم منهم الافاضة في ذلك، نشير عليهم بالاطلاع على المؤلفات التي اشرنا اليها خلال المناقشة وكذلك بالرجوع الى مجلة الرسالة القاهرة، العدد ١٩٣ و ١٩٥ لسنة ١٩٣٧م، التي احتوت على مقالات وبحوث القيت بمناسبة اسبوع الجاحظ المقام في كلية الاداب بجامعة القاهرة، مارس ١٩٣٧م، وكذلك الافادة بشكل خاص من العدد الخاص بالجاحظ من مجلة المورد البغدادية، المجلد السابع، العدد الرابع، لسنة ١٩٧٨م، ففيه الاستشهادات والنصوص المختارة والبحث مع فهارس المخطوطات والببليوغرافيات.

### معلومات المؤرخين عن قدامة بن جعفر:

نعود، والعود احمد، الى الصفحة السادسة من مقدمة كتاب الخراج، بعد توقف ليس بقصير في رحاب الجاحظ، لنستمر في مناقشتنا مع السيد محقق الكتاب. حيث يطالعنا نص له في تلك الصفحة على الوجه الآتي: "لقد كانت حياة قدامة شديدة الخفاء لأن المعلومات التي قدمها لنا المؤرخون شحيحة جداً وضئيلة لاتتناسب مع غزارة علمه وسعة مداركه فهي لا تكفي لتكوين صورة حقيقة، واضحة كلّ الوضوح وغير كافية ~~للكشف عن جميع الجوانب المضيئة لحياة هذا العالم الفذ~~". ليس هنالك من اعتراض على الناحية الشكلية للنص، وقد ناقشناه سابقاً، سوى أن هناك قدامتين كما نعلم ولأنّ النص جاء يتلو بيت شعرٍ - نقل عن الجاحظ - على أنه لقدامة بن زياد، الجد، مباشرة ومن دون فاصلة او اية مقدمة مما يوحى، لاول وهلة، بأن الوصف الوارد بهذا النص يعود على قائل البيت نفسه، أي قدامة بن زياد - كما قلنا - ولكن، وبعد لاي، سنعرف بأنّ المقصود بهذا الوصف هنا ليس قدامة بن زياد، وإن جاء النص بعد شعره مباشرة، وأنّما المقصود به هو حفيده [قدامة بن جعفر]. فلم هذا الالبهام؟ اما كان بالامكان تلافيه؟ وما يضرّ السيد المحقق لو انه اضاف الى قدامة اسم أبيه جعفر فحسب؟ الا يزيل كلمة واحدة ذلك الالبهام؟ الا تغدو العبارة باضافة جعفر اكثراً وضوحاً وبساطة؟ افلا يسهل ذلك على اوساط واسعة من القراء فهمها وادراكها بيسراً وبسرعة اكثراً؟ ان الاتجاه العام يتطلب تيسير كتب التراث لأن الغاية

من اعادة نشرها هي اطلاع اوسع الجماهير على الكنوز التراثية. واما ماورد في النص بخصوص شحة المعلومات وضئالتها فان في هذا القول تعميم وشموليّة كنا قد ابدينا تحفظنا عليه فيما سبق لنا من نقاش حوله.

يتناول السيد المحقق، بعد ذلك، فيما تبقى من الصفحة السادسة وفي الصفحتين السابعة والثامنة، نتفاً مبتسراً من اقوال بعض المؤرخين، وليس جل ماكتبوا، ليبرهن على ضئالة المعلومات وشحتها عن قدامة، وقد استقاها -حسب ترتيبه- من ابن النديم وابن الجوزي والمطرزى وابي الفداء والملك الافضل والعييني وياقوت الحموي. ولنا ملاحظات عده على هذه الاقتباسات:  
أولاً: حاول السيد المحقق ان يتدرج في نقل الاقتباسات حسب ترتيب المؤرخين الزمني ولكن لم يتيسر له التوفيق، كما يتضح ادناه:

١. قدم ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج <sup>www.muslim.org</sup> عبد الرحمن بن (ابي الحسن) علي بن محمد بن علي الجوزي، المتوفى عام <sup>٣٦١</sup> ١٢٠١ هـ / ٥٩٧ م على الملك الافضل، ابو القاسم احمد بدر الجمالي،

---

<sup>٣٦١</sup> المنشور في مجلة الثقافة، بغداد، ايلول ١٩٨٢ م، العددان، ٨-٩/٤٣-٥٥، وتشرين الاول- تشرين الثاني ١٩٨٢، العددان ١٠-١١/٣٨-٤٦.

الافضل شاهنشاه، المتوفي عام ٥١٥هـ/١١٢١م<sup>٣٦٢</sup>، علماً بأنه لم يذكر عن الملك الافضل أية معلومات لاهنا ولا في ثبت المصادر بأخر الكتاب [تسلسل ٥٩، ص ٤٩١] وانما اكتفى بالملك الافضل فقط.

٢. وضع المطربزي، برهان الدين ابو الفتح ناصر بن عبد السيد ابي المكارم بن علي الخوارزمي المتوفي ٦١٠هـ/١٢١٣م<sup>٣٦٣</sup>، وكذلك ابن كثير، عماد الدين ابوالفداء اسماعيل بن عمر بن كثير المتوفي ٧٧٤هـ/١٣٧٣م<sup>٣٦٤</sup>، وضعهما قبل الملك الافضل المتوفي ٥١٥هـ/١١٢١م، المذكورة اعلاه.

٣. وضع ابن كثير، المتوفي ٧٧٤هـ/١٣٧٣م، المذكور اعلاه وبدرالدين العيني ابو محمد محمود بن احمد بن موسى بن احمد المتوفي ٨٥٥هـ/١٤٥١م وضعهما قبل ياقوت الحموي (او الرومي) شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي المتوفي ٦٢٦هـ/١٢٢٩م.

<sup>٣٦٢</sup> ابن خلكان، وفيات الاعيان، المعطيات السابقة نفسها، ٢-٣٢١/٢، يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ٦٧/١، ٦٨، ٦٩، الزركلي، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٤/٨٩-٩٠.

<sup>٣٦٣</sup> الزركلي، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ١/٩٩.

<sup>٣٦٤</sup> ابن خلكان، وفيات الاعيان، المعطيات السابقة نفسها، ٥/٦-٧، يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ٢/٦٠-١، الزركلي، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٨/٢١١.

ثانياً: لم يضبط اسماء وسني وفاة بعض من ذكر من المؤرخين هنا، بل يوجد اختلاف حتى بين من ذكرهم هنا وبين ماثبته في ثبت المصادر بأخر الكتاب، ويتبين ذلك:

أ. ذكر ابن الجوزي مجرداً وثبته في ثبت المصادر [تسليسل ٥٢، ص ٤٩١] على الوجه التالي: (الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن (ت ١١٧١/٥٥٦٧م) فهنا ذكره بالجوزي ولم يذكر اسم والده واعتبر سنة وفاته ١١٧١/٥٥٦٧م، بينما سنة وفاته، كما ثبتناه عن مصادر عديدة، هي ١٢٠١/٥٥٩٧م ويعرف بابن الجوزي وليس الجوزي كما ورد في ثبت المصادر.

ب. ذكر وفاة المطري في ثبت المصادر [تسليسل ٥٧، ص ٤١٩] بأنه في عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، بينما وفاة المطري هي في عام ١٢١٣هـ/٦١٠م، فهو قد جعل من عام وفاته الميلادي ١٢١٣ عاماً هجرياً لوفاته وجاء بعام ١٧٩٨م المطابق لعام ١٢١٣هـ بينما الصحيح هو وفاته في عام ١٢١٣هـ/٦١٠م، كما تتفق اغلبية المصادر القديمة والمراجع الحديثة: فيذكر ياقوت الحموي [توفي بعد المطري بستة عشر عاماً]، الذي ابدي في كتابه (ارشاد الاريب)، تحفظه على ما أورده المطري في كتابه (الايضاح في شرح مقامات الحريري) بقصد إشتغال قدامة بن جعفر لدىبني بويه<sup>٣٦٥</sup>، وكذلك

---

<sup>٣٦٥</sup> يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ١-٢٢٥/٦، الزركلي، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ١-٣١٧/٣١٨.

انتقاده، -كما ذكر الزركلي<sup>٣٦٦</sup>، في كتابه معجم البلدان<sup>٣٦٧</sup>، المطربزي على بعض الأسماء والأماكن الواردة في كتابه (الإيضاح)، من دون أن يسميه<sup>٣٦٨</sup>، قد ذكر في ترجمة حال المطربزي بان وفاته كانت بخوارزم في يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادي الأولى سنة ٦١٠<sup>٣٦٩</sup>، وكذلك كتب ابن خلkan في كتابه (وفيات الاعيان)<sup>٣٧٠</sup>، عن المطربزي ترجمة حال تحت رقم (٧٢٩)، المجلد الخامس، ص ٦-٧، جاء فيها: "وكانت ولادته في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسينات بخوارزم.. وتوفي المطربزي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادي الأولى سنة عشر وستمائة بخوارزم ايضاً"<sup>٣٧١</sup>. نقول اذا كانت وفاة المطربزي في ١٢١٣ هـ/١٧٩٨ م - كما توهם السيد المحقق - وليس كما هو صحيح وثبتت لدى المؤرخين المذكورين اعلاه ولدى سواهم في عام ٦١٠ هـ المصادف عام ١٢١٣ م، فكيف تسنى لياقوت، المتوفى عام ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م ولابن خلkan، المتوفى ٦٨١ هـ/١٢٨١ م، أن يذكرا من توفي بعدهما بأكثر من خمسينات عام؟. نعتقد، وليس هذا من

<sup>٣٦٦</sup> .٢٠٤/٦

<sup>٣٦٧</sup> الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٣١١/٨.

<sup>٣٦٨</sup> أشار زركلي الى معجم البلدان، الجزء الاول، الصفحة الخامسة، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٣١١/٨، الهاشم رقم (١).

<sup>٣٦٩</sup> الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٣١١/٨.

<sup>٣٧٠</sup> أرشاد الاريب، المعطيات السابقة نفسها، ٢٠٣/٧.

<sup>٣٧١</sup> المعطيات السابقة نفسها.

باب التشهير ولكن من منطلق اهداف النقد البناء في أن يلعب دوره الايجابي في تصويب الاخطاء والارشاد الى الصواب واقتراح البدائل، بأن السيد المحقق قد شاهد، في مجال ما، العام الميلادي ١٢١٣، العام الذي توفي فيه المطري، وحسبه عاماً هجرياً لوفاة المطري وأستنجد بجدال مقاولة السنين الهجرية والميلادية، وبالعكس فشاهد فيها أنَّ العام الهجري ١٢١٣ يقابله العامان الميلاديان (١٧٩٩-١٧٩٨) فأختار عام ١٧٩٨م وعده العام الميلادي لوفاة المطري لأنَّه اختار العام الهجري ١٢١٣ [الذي بالأساس هو العام الميلادي لوفاته] بأعتباره العام الهجري الذي توفي فيه المطري - كما أسلفنا-. فكان على السيد المحقق الثاني والت روى والتأكد من المصادر فان تعذر عليه الرجوع اليها فعليه بالمراجعة وهي كثيرة واغلبها يذكر المصادر المعتمدة في النقل عن حياة المطري وها نحن نشير الى بعضها: (١) يذكر يوسف اليان سركيس، صاحب كتاب (معجم المطبوعات العربية والمغربية)<sup>٣٧٢</sup>، وهو يعتمد على ابن خلkan، ١٩٩/٢، ابن قططوبغا، ص٥٨، بغية الوعاة للسيوطى، ٤٠٢، مفتاح السعادة، ٥٨/١، الفوائد البهية، ٢١٨، روضات الجنات، ٢٢٣/٤، يذكر في ترجمة المطري بأن ميلاده في ٥٣٦ او ٥٣٨ ووفاته في سنة ٦١٠هـ<sup>٣٧٣</sup>. (٢) وكتب عنه كارل بروكلمان، في كتابه تاريخ الادب

<sup>٣٧٢</sup> وفيات الاعيان، المعطيات السابقة نفسها، ٥/٧.

<sup>٣٧٣</sup> معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ٢/١٧٦٠.

العربي<sup>٣٧٤</sup>، ١٤٧/٥-٨، وهو يتحدث عن كتابه الإيضاح في شرح مقامات الحريري، فذكر بأنه متوفى سنة ١٢١٣هـ/١٢١٣م وكذلك كتب عنه بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي، ٥/٢٤٠-٢٤٨، ترجمة حال جاء فيها: ((ولد فيما يقال في خوارزم في رجب سنة ٥٣٨هـ/يناير سنة ١١٤٤م.. وتوفي في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة ٦١٠هـ/٩ أكتوبر سنة ١٢١٣م -المراجع: بخوارزم أيضاً)). ولكثرة المصادر والمراجع التي اعتمدها بروكلمان فأنتا تحيل القارئ على كتابه تاريخ الأدب العربي/الجزء الخامس. وأما كلمة المراجع التي نقلناها كما هي فهي خطأ طباعية والصحيح والمرجح. (٣) كتب خيرالدين الزركلي، في كتابه (الاعلام)<sup>٣٧٦</sup> و هو يعتمد على بغية الوفاة، ٤٠٢، وفيات الاعيان، ١٥١/٢، والاعلام لابن قاضي شهبة - مخطوطه، وارشاد الاريب، ٢٠٢/٧، والفوائد البهية، ٢١٨، والجواهر المضيئة، ١٩٠/٢، والتكميلة لوفيات النقلة -مخطوط، الجزء السادس والعشرين بالإضافة إلى المراجع الحديثة، كتب ترجمة للمطرزي جاء فيها ذكر سني ميلاده ووفاته كالتالي: ١١٤٤/٥٣٨، ٦١٠هـ/١٢١٣م<sup>٣٧٧</sup>. (٤) وجاء في المنجد، في اللغة والأدب والعلوم<sup>٣٧٨</sup>،

<sup>٣٧٤</sup> المصدر نفسه، ٢/١٧٦٠.

<sup>٣٧٥</sup> نفس المعطيات السابقة.

<sup>٣٧٦</sup> تاريخ الأدب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٥/٢٤٠-١.

<sup>٣٧٧</sup> المعطيات السابقة نفسها، ٨/٣١١.

<sup>٣٧٨</sup> الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٨/٣١١.

في طبعته الجديدة، المطّرزي، ١٤٤-١٢١٣م<sup>٣٧٩</sup>. (٥) وكذلك ورد عن المطّرزي في المراجع العربية والمعربة<sup>٣٨٠</sup>، ولمؤلفه عبدالجبار عبدالرحمن، سني ولادته ووفاته (٤٣٩-١٤٤٦هـ/١٢١٣-١١٤٤م)<sup>٣٨١</sup>. نكتفي بهذا ونعود لمناقشة ما في الصفحة السابقة.

٣. ترد في الصفحة السابقة اشارة مبهمة الى رأي المؤرخ سماه ابو الفداء [كتب كلمة الفداء بدون همزة] يكتنفها الغموض لانه لم يأت بالنص بشكل مباشر وإنما ذكر الرأي المنسوب الى ابي الفداء من دون ذكر اية اشارة يستدل بها على ابي الفداء او على مؤلفه كما انه اكتفى، عند الاشارة الى هذا المؤرخ [ابي الفداء] بذكر كنيته [ابي الفداء] دون الاتيان بكامل اسمه وعام وفاته واسم مؤلفه، الذي استقى منه هذا الرأي. إن إدراج هذه التفاصيل ضروري فان لم تذكر هنا في هذه الصفحة فان ذكرها في ثبت المصادر بأخر الكتاب من المستلزمات الضرورية ليستدل بها على المؤرخ، صاحب القول او الرأي المستشهد به بشكل دقيق ومضبوط. لأن الاكتفاء بذكر ما هو متعارف عليه من تسمية المؤرخ او مؤلفه في متن الكتاب وحواشيه، جائز فقط في حالة ايداع هذه التفاصيل في نهاية الكتاب، في ثبت المصادر، الا أننا لم نجد، مع الاسف، في ثبت المصادر، الذي وضعه

<sup>٣٧٩</sup> بيروت، ١٩٦٠م.

<sup>٣٨٠</sup> المصدر نفسه، قسم التراجم، ص ٥٠١.

<sup>٣٨١</sup> المعطيات السابقة نفسها، ص ٦-١٨٥.

السيد المحقق، أيّ شئ يخص المؤرخ أبي الفداء، الذي هو: أبو الفداء اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه ابن ايوب [بن شادي الايوبي الروادي الشافعي صاحب حمامه -د. حسام]، الملك المؤيد (٦٧٢-٦٧٣٢ هـ/١٢٧٣-١٣٣١ م)<sup>٣٨٢</sup>، المعروف لدى المؤرخين والباحثين بأبي الفداء، صاحب المصنفات العديدة، ومن أشهرها (المختصر في أخبار البشر)، ويعرف بتاريخ أبي الفداء، وأئمأ عثنا في ثبت المصادر [تسلسل ٥٨، ص٤٩١] على اسم المؤرخ ابن كثير، والذي ذكر بهذه الصورة: ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء [ايضاً الفداء بدون همة] اسماعيل القرشي: (ت٦٧٧٤-١٣٢)، البداية والنهاية، ١٤ جزء، القاهرة، ١٢٤٨ هـ. إنَّ هذه التسمية للمؤرخ ابن كثير غير كاملة، كما وأنَّ السنة الميلادية لعام وفاته (١٣٢) غير صحيحة وكذلك عام طبع المؤلف (البداية والنهاية) هو الآخر غير صحيح. فأسم هذا المؤرخ الكامل هو: ابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير بن خوَّا بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، ابو الفداء عماد الدين (٧٠١-٦٧٧٤ هـ/١٣٠٢-١٣٧٣ م)<sup>٣٨٣</sup> إن اعتبار عام (١٣٢) سنة وفاة ابن كثير قد جاء، حسب ظننا، نتيجة استعجال ولربما اخذ من عام ١٣٠٢ م، الذي هو عام ولادة ابن

<sup>٣٨٢</sup> المصدر نفسه، ص١٨٥.

<sup>٣٨٣</sup> انظر: يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ١/٣٢٣-٤٥، الزركلي، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ١/٣١٧.

كثير، واعتبر عام ميلاده تارِيخاً لوفاته؟ وسقط الصفر من بين بقية الأرقام وهكذا جاء الرقم ١٣٢ دون تمحيص ليُعدّ سنة وفاة ابن كثير الميلادية وهو خطأ فاحش، كما يُرى، وأما عام طبع كتاب البداية والنهاية، الذي تم طبعه بمطبعة السعادة في القاهرة، فهو عام ١٣٤٨هـ وليس عام ١٢٤٨هـ كما ذكر السيد المحقق.

يظهر الخلط بين أسماء المؤرخين وأسماء مصنفاتهم لدى بعض الباحثين المتشبّثين بمعلوماتهم المشوشة بعناد والمعرضين بأصرار عن تطويرها حتى وإنْ كانت ضئيلة مهزوزة كنتيجة للتماهل والتلاقي عن مواصلة البحث المعمق، والاً بماذا يفسر ظهور الخلط لدى هؤلاء الباحثين بمجرد رؤيتهم تشابه كنى والقاب وأسماء بعض المؤرخين وحتى عند تشابه أسماء مصنفاتهم؟ ليس هناك من تعليل لذلك غير التلاقي والإهمال والابتعاد عن التحري الجدي العميق وعن متابعة البحث بدأب متواصل وحرص شديد على الاحاطة بكل ماله من علاقة بالموضوع المدروس وبتشعباته المتفرعة. إذن فليس التشابه هو المسؤول عن الخطأ لدى هؤلاء المتقاعسين وأئمّا المسؤول عنه هو التلاقي والتهاون. لهذا نرى من واجبنا تجاه هذه الحالة المرضية التنبيه إلى ضرورة معالجتها بما يناسبها من حلول. لأنّ الجهد الواضح الذي تبذله وزارة الثقافة والاعلام في طبع المطبوعات، وخاصة التراثية، بأسعار زهيدة نسبياً وبالقياس إلى اسعار الكتب المرتفعة بشكل غير عقلاني، سعياً منها لايصالها إلى متناول أوسع القراء يتخلله، أحياناً، ضعف في الموازنة بين الكمية والنوعية لتلك المطبوعات فان

العناية غير متوازنة دائمًا حيث تميل كفة الكمية الى الرجحان على كفة النوعية في بعض الاحيان، بالرغم من وجود خبراء مستشارين لدى الوزارة. لذا نرى من المستحسن ان نضع دائرة الشؤون الثقافية والنشر بوزارة الثقافة والاعلام ومثيلاتها المسؤولة عن النشر في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي وفي المجمع العلمي العراقي وفي غيرها من المؤسسات، ضوابط سليمة تسد السبل امام تسرب اعمال هابطة، كما تحمل كل مؤلف وخبير مسؤولية هدر اموال الدولة هباءً فتقرعهما لوما على ما فرطا باصدار مطبوع تتمنى الجهة المسؤولة عن اصداره لو تنصلت منه بعد تعرضه لنقد علمي موضوعي دقيق، كشف عن تزاحم الاخطاء فيه، وتنبه الى ضرورة التدقيق المركز مستقبلاً لاعمال كل مؤلف وخبير قدماً عملاً رديئاً، شرط ان لايسري هذا الاجراء بصورة تعليمية شاملة فيغدو محيراً يعيق النشر لمجرد ظهور نقد لعمل ما. لذا يجب ان لا يتسع في استخدامه خشية ان يشمل اعمالاً جيدة تعرضت لانتقادات، بعضها ذاتية، جراء اختلاف الاجتهادات وتباين وجهات النظر بين مؤلفيها ونقادهم، وما اقلهم، في الاستنتاجات حول الظروف والمؤثرات الموضوعية والذاتية وحول النتائج. فعلى سبيل المثال لو ان باحثاً ذكر حادثة ضرب زيد من الناس لعمرو بشكل مغاير للحقائق المثبتة وللنصوص المتواترة والمسجلة من دون سند يدعم رأيه عند ذاك الباحث قد ارتكب خطأ لافتقاره للاسانيد التي يواجه بها معارضي رأيه حيث لا اجتهاد فيما ورد به النص. ولكن إذا كانت هناك وجهات نظر مختلفة فكريأً تقوم بسببيها اجتهادات متباعدة بين الباحث

ونقاده حول ظروف الحادثة وملابساتها وحول دوافع الضرب وأسبابه ونتائجـه فـهي أجهـادات شخصـية مبنـية على خـلفيات فـكرـية مـتبـاـيـنةـ. وـمـما لاـشـكـ فيـهـ انـاـخـلـافـ الـخـلـفـيـاتـ الفـكـرـيـةـ،ـ كـمـاـ وـنـوـعاـ،ـ منـ شـائـنـهـ خـلـقـ تـصـوـرـاتـ وـمـنـظـورـاتـ مـتـنـوـعـةـ مـخـلـفـةـ لـلـقـضـاـيـاـ وـالـأـمـرـ وـبـالـطـيعـ فـانـ الـاسـتـنـتـاجـاتـ تـبـعـاـ لـذـكـ تـكـونـ مـتـبـاـيـنةـ وـمـخـلـفـةـ بـعـضـهاـ عـنـ بـعـضـ بـحـسـبـ الـزاـوـيـةـ الـتـيـ يـنـظـرـ مـنـهـاـ لـلـمـسـائـلـ الـمـطـرـوـحةـ لـلـنـقـاشـ.ـ فـلاـيـصـحـ وـالـحـالـةـ هـذـهـ شـمـولـ الـاـبـاحـاتـ الـمـخـلـفـ بـشـائـنـهـ فـكـرـيـاـ بـتـكـ الـمـلاـحظـةـ الـتـيـ اـبـدـيـنـاـ بـصـدـدـ الـاعـمـالـ الـهـابـطـةـ عـلـمـيـاـ وـالـتـيـ يـكـشـفـهـاـ النـقـدـ الـمـوـضـوـعـيـ الـهـادـفـ.

أـنـنـاـ لـاـنـحـاـوـلـ جـرـحـ اـحـدـ،ـ وـأـنـ كـانـتـ بـعـضـ نـصـالـ نـقـدـنـاـ حـادـةـ عـنـ تـشـخـيـصـ الدـاءـ وـاقـتـرـاحـ الدـوـاءـ،ـ وـأـنـجـ الجـراـحـينـ النـطـسـ مـنـ حـافـةـ مـبـضـعـةـ حـادـاـ جـارـحاـ،ـ وـأـئـمـاـ نـسـعـيـ جـاهـدـيـنـ لـتـقـدـيمـ اـضـافـاتـ مـتـواـضـعـةـ قـدـ تـسـهـمـ فـيـ الدـفـعـ خـطـوةـ لـلـامـامـ وـلـيـسـ مـنـ مـنـطـلـقـ النـقـدـ لـذـاتـهـ.

نـؤـكـدـ،ـ وـفيـ سـيـاقـ مـاـتـقـدـمـ،ـ وـعـلـىـ ضـوءـ حـدـيـثـنـاـ حـولـ الـخـلـطـ الـمـنـسـوبـ إـلـىـ التـشـابـهـ خـطـأـ،ـ نـؤـكـدـ عـلـىـ أـنـ لـاـيـتـخـذـ مـنـ التـشـابـهـ بـيـنـ أـبـيـ الـفـداءـ وـبـيـنـ اـبـنـ كـثـيرـ فـيـ الـكـنـيـةـ،ـ حـيـثـ يـكـنـىـ كـلاـهـمـاـ بـأـبـيـ الـفـداءـ،ـ وـبـالـاسـمـ الـأـوـلـ [ـأـسـمـاعـيـلـ]ـ لـكـلـيـهـمـاـ،ـ مـتـكـأـ لـتـبـرـيرـ الـخـطـأـ وـالـلـتـبـاسـ.ـ لـأـنـ تـأـثـيرـ هـذـهـ التـشـابـهـ فـيـ زـيـادـةـ اـحـتمـالـ الـوقـوعـ فـيـ الـخـطـأـ وـالـأـرـتـبـاكـ مـحـدـودـ وـلـيـسـ بـأـمـكـانـهـ الـظـهـورـ إـلـاـ فـيـ حـالـةـ الـعـزـوفـ عـنـ الـمـتـابـعـةـ الـجـدـيـةـ وـفـيـ حـالـةـ الـمـجـانـفـةـ عـنـ التـقـالـيدـ الـعـلـمـيـةـ الـمـتـبـعـةـ وـالـحـرـيـصـةـ عـلـىـ الـدـقةـ

والتمحیص والتأنی في الاستنتاج، عندئذ يبدو تأثیر ضبابیة التشابه واضحًا في العجز عن اختراق الحجب وعن العصمة من الرلل. فكم كان ضروریاً لمقدمةٍ تُعرّف القراءَ بأشیٰ تراشی جلیل، التوقي من مطبات الخلل بالتحلی بالجدية للتحری بدقة، فيما استغلق من جراء تشابه طفیف، حيث لا عسراً في التمیز بين أبي الفداء وبين ابن کثیر، وأن تشابها بالکنية وبالاسم الاول، لأن هنالك أموراً کثیرة يختلفان فيها وفي مقدمتها اسماء ابویهما وأسماء مصنفاتهما، هذا الا أنَّ ابا الفداء غلت عليه کنيته [ابي الفداء] فُعرف بها، بينما الآخر، ابن کثیر، وإن کَنْ بأبي الفداء ايضاً، ولكنه گُرف بکنيته الثانية، ابن کثیر، فبات یُعرف لدى المؤرخین والباحثین بأبن کثیر. فالاول، ابو الفداء، معروف بين المؤرخین والباحثین بکنيته ابی الفداء ولا یعرف بلقبه: الملك المؤید. بينما الثاني، ابن کثیر، لا یعرف بکنيته [بی الفداء] وإنما یُعرف بکنيته الاخری [ابن کثیر]، وهذه الكنية الاخیرة جانته من اسم جده کثیر بن ضو. فكان على السيد المحقق الثاني ليتأكد من القول، الذي أورده وأشار اليه واستخدمه كکلام غير مباشر، فيرجعه بشكل دقيق الى المصدر الذي استقاہ منه، هل هو من مؤلفات ابی الفداء، اسماعیل بن علي؟ أم هو من مؤلفات ابن کثیر، اسماعیل بن عمر؟ لأنَّ المصدر هو الفیصل في الخصم، وعلى ضوئه تصدر الاحکام فیتم، بصورة افضل نسبیاً، تعین صاحب النص عند التشابه. لكنَّ السيد المحقق لم یكلف نفسه جهداً فجأتنا بقول مبهم في الصفحة السابعة یقول فيه: "وكان ابو الفدا قال عنه قوله لا یخرج

ولا يختلف عما ذكره ابن الجوزي مما يعطينا فكرة بأنه نقل عنه<sup>٣٨٤</sup>، فمن المقصود بأبي الفداء؟ وما هو مصنفه الذي ورد فيه رأيه؟ لأننا لم نعثر على ما يشير لنا أو يدلنا على المصدر، الذي استقى منه قول أبي الفداء، لا في متن هذه الصفحة ولا في هوا مسها، كما لم نعثر - كما قلنا سابقاً - على أي ذكر لابي الفداء، اسماعيل بن علي، ولمؤلفاته في ثبت المصادر بآخر الكتاب<sup>٣٨٥</sup>، لنساير السيد المحقق بأن هذا القول هو كلام لابي الفداء غير مباشر، وأنما وجدها عوضاً عن ذلك ذكراً لابن كثير، اسماعيل بن عمر، ولمؤلفه (البداية والنهاية)، [تسلسل ٤٩١، ص ٥٨]، مما يترك انطباعاً أن في الامر التباساً: فذكر ابو الفداء والمقصود ابن كثير، أو أن نقلأ قد تم عن وسيط، اهمل ذكره، قد رجع الى مؤلف أبي الفداء (المختصر في اخبار البشر)، فاختلط الامر على الناقل من الوسيط، لانه لم يرجع الى أبي الفداء وابن كثير، سواء بسواء، بنفسه، وأنما اعتمد على قول الوسيط. فإن صح هذا فهو من اضعف اساليب البحث - كما نوهنا سابقاً.

٤. اشار السيد المحقق في نهاية الصفحة السابقة من مقدمة كتاب الخراج الى المؤرخ العيني حيث جاء بنص له استقاء من مخطوطته: (عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان)، بيد أنه لم يذكره هنا الا بلقبه

<sup>٣٨٤</sup> انظر: يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ٦-٢٢٥/١، الزركلي، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ١٢١٧/٨-٩.

<sup>٣٨٥</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ٧.

العینی فحسب. وعند مراجعتنا لثبت مصادره [تسلسل ٢ نص ٤٨٧] وجدهناه يكتفي بذكر كنية هذا المؤرخ، بدرالدين، ولقبه، العینی، فقط من دون ان يذكر اسمه واسم ابيه وسنة وفاته بل ادرج بعد الکنية واللقب اسم المخطوطه مباشرة، بينما المؤرخ العینی او بدرالدين العینی، كما يعرف ايضاً، هو العالم المعروف والمشهور: محمود بن احمد بن موسى بن احمد بن حسين بن يوسف بن محمود القاضي شهاب الدين الحلبي الاصل العینتاتي المولد [والى عينتاب نسبته: العینی] ثم القاهري الحنفي (١٣٦١/٥٧٦٢م-١٤٥١هـ/١٤٥٥م)<sup>٣٨٦</sup>، وكتابه عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان، انتهى فيه الى سنة ٨٥٠هـ يقع في تسعة عشر مجلداً، من هذا التاريخ بعض اجزائه مخطوطة في دار الكتب المصرية، ومنه نسخة في (٢٤) جزءاً في مكتبه بايزيد بالقسطنطينية، ومنه نبذة طبعت ضمن تواریخ الحروب الصلیبیّة، (تصویر شمسی بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٨٤ تاریخ)<sup>٣٨٧</sup>.

<sup>٣٨٦</sup> المصدر نفسه، ص ٤٨٧-٤٩١.

<sup>٣٨٧</sup> يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ١٤٠٢/٢-٤، الزركلي، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٣-٤، عبدالجبار عبدالرحمن، المراجع العربية، المعطيات السابقة نفسها، ص ٣٨/٨، ٩-١٦٨، بروكلمان، تاريخ الادب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٣/١٧٠، والمنجد، المعطيات السابقة نفسها، ٣٦٤.

لقد اكتفى السيد المحقق، في المتن وفي ثبت المصادر، سواء بسواء، بذكر كنيته ونسبه فقط ولكن عند متابعة دراستنا لثبت مصادره وجدناه يُدرج في مكان آخر [تسلسل ٢٧، ص ٤٨٩] المعلومات الخاصة بالمؤرخ بدرالدين العيني تحت اسم آخر مخطوطاً معتبراً آياه -لاشك- مؤرخاً آخر، مطلقاً عليه المعيني. فكتب عنه بشئ من التفصيل حيث ذكر هنا بأنه بدرالدين محمود بن احمد. كما ذكر سنة وفاته ١٤٥١هـ/١٨٥٥م، وذكر مؤلفاً له هو شرح الكنز واعتبر سنة طبع هذا المؤلف في ١٤٥١هـ-١٣٦١م<sup>٣٨٨</sup>. ان في هذا التعريف بالمؤرخ وبمؤلفه جملة اخطاء:

١. ان هذا المؤرخ هو العيني أو بدرالدين العيني وليس المعيني، كما توهם السيد المحقق، فأسمه واسم أبيه وكنيته وعام وفاته وأسم مؤلفه متطابقة مع المؤرخ بدرالدين العيني المذكور في ثبت المصادر بتسلسل ٢، ص ٤٨٧، مما يدل على ان السيد المحقق يجهل بان هذه التفاصيل التي اوردها عن المعيني المزعوم في التسلسل ٢٧، ص ٤٨٩، أئما تخص بدرالدين العيني والا كان أدرجها في التسلسل ٢، ص ٤٨٧. وان صاحب شرح الكنز هو نفسه صاحب عقد الجمان فلو كان يعلم ذلك لادرج المخطوطة، عقد الجمان وكتاب شرح الكنز تحت اسم مؤرخ واحد هو العيني، كما اتبع في تثبيت مصادره.

---

<sup>٣٨٨</sup> يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ١٤٠٣/٢، عن عقد الجمان، انظر: الزركلي، الاعلام، المعطيات السابقة نفسها، ٣٩/٨.

لكنه إذ يتصور بأنَّ المعيني [ولم نعثر على مؤرخ بهذا اللقب] هو غير العيني فهذا مما جعله يفرد للعيني حقلًا في ثبت المصادر وحقلًا آخر للمعیني المزعوم.

٢. اعتبر عام ١٣٦١ الميلادي، وهي السنة التي ولد فيها المؤرخ العيني، اعتبر هذا العام الميلادي سنة هجرية وظنها سنة طبع كتاب شرح الكنز وفي هذا التباس واضح.

٣. اعتبر عام ١٤٥١ الميلادي، وهي السنة التي توفي فيها المؤرخ العيني، اعتبر هذا العام مطابقًا لسنة الهجرية ١٣٦١ وانه سنة طبع كتاب شرح الكنز دون ان يلتقط الى ان عام ١٣٦١هـ لا يطابقه عام ١٤٥١هـ بل يطابقه عام ١٩٤٢م وان العامين ١٣٦١هـ و ١٤٥١م ليسا تاریخ طبع كتاب شرح الکنز حتى لو فرضنا ان عام ١٣٦١هـ هو العام الذي طبع فيه الكتاب.

٤. لم يلاحظ السيد المحقق ان عام ١٤٥١ الميلادي، المعتبر من قبله سنة طبع كتاب شرح الکنز، يسبق عام طبع اول كتاب في العالم بخمس سنوات؟ فان يوحنا غوتنيبرغ -مخترع الطباعة- قد أنسى - وهذا ما يعرفه طلبة المتوسطات به الابتدائيات- ولاول مرة في التأريخ، طبع الكتاب المقدس باللغة اللاتينية في عام ١٤٥٦م. وان عام ١٤٥١م الذي اختاره السيد المحقق لطبع كتاب شرح الکنز ليذرالدين المعیني، كما يلقبه، سابق لظهور الطباعة في بعض اجزاء من البلاد العربية بقرن ونصف [فقد ظهرت في بلاد الشام، في سوريا ولبنان، في حلب ودير الشوير في عام ١٦١٠م]، وفي اجزاء اخرى من

البلاد العربية بعد بضع مئات من السنين [في مصر اثناء حملة نابليون، عام ١٧٩٨م] وتلى ذلك في بقية اجزاء البلاد العربية فكيف يمكن اعتبار ١٤٥١م السنة المطابقة لعام ١٣٦٦هـ؟ واعتبارهما عام طبع كتاب شرح الكنز؟\*

٥. ان كتاب شرح الكنز، وأسمه الكامل: رمز الحقائق في شرح كنز الدقائق، اثما هو: شرح كنز الدقائق لابي البركات النسفي، (فقه حنفي) (فرغ من تأليفه سنة ٨١٨هـ)، وهو جزءان طبع لأول مرة بالقاهرة، بمطبعة بولاق، في عام ١٨٦٩-١٨٦٨هـ/١٢٨٥-١٢٨٤م والثانية بالقاهرة ايضاً في عام ١٨٨١-١٨٨٢هـ/١٢٩٩م .<sup>٣٨٩</sup>

ثالثاً: أورد السيد المحقق في الصفحة الثامنة في مقدمة كتاب الخراج، في نهاية الاستشهاد بأقوال المؤرخين عن قدامة بن جعفر، خبراً رواه عن ياقوت الحموي [كان المفروض -كما نوهنا سابقاً- ان يتقدم ياقوت الحموي على بعض المتأخرین، حسب موقعه التأريخي] يذكر فيه اشتغال قدامة بن جعفر بالكتابة لابن الفرات ولمنع الدولة البوییی، بشكل مختصر ومكثف جداً ويفتقر للمناقشة حيث كتب: ((وقد ذكر ياقوت الحموي انه تولى الكتابة لابن الفرات، في دیوان الزمام ويقال له انه كتب لبني بویه لمنع الدولة البوییی)).<sup>٣٩٠</sup> وهذا

\*طبع كتاب الاذرسي: نزهة المشتاق في إخراق الآفاق، في روما طبعة حجرية سنة ١٥٩٢م بالحروف العربية [د. حسام]

<sup>٣٨٩</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ٤٨٩.

<sup>٣٩٠</sup> يوسف البیان سركیس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ١٤٠٤/٢.

كلّ ما رواه عن ياقوت الحموي بتلخيص لأنّ ياقوت قد بينَ بتفاصيل أكثر عن اخبار تولي قدامة بن جعفر الكتابة كما ناقش موضوعة اشتغال قدامة بن جعفر بالكتابة ببني بويه وأبدى تحفظه بهذا الشأن. ولما كنا قد نقلنا مجمل أراء ياقوت والاخبار التي استقاها عن قدامة بن جعفر في الفصل الاول من بحثنا هذا، لهذا نقتبس الان رأيه فقط عن اشتغال قدامة بن جعفر لدى بني بويه: قال ياقوت الحموي: ((... وبلغني عن بعض متعاطي علم الادب انه شرح كتاب المقامات الحريرية فقال عند قوله - ولو أتوى بлагعة قدامة ان قدامة بن جعفر كان كاتباً لبني بويه وجهل في هذا القول فان قدامة كان أقدم عهداً. أدرك زمن ثعلب والمبرد وأبي سعيد السكري وابن قتيبة وطبقتهم)).<sup>٣٩١</sup>

هذا هو اعتراض ياقوت الحموي على من ذكر اشتغال قدامة بن جعفر بالكتابة لدى بني بويه. لقد انتقد ياقوت شارح المقامات دون ان يشير الى اسمه ومن المرجح انه قد عنى - كما ذكرنا سابقاً في هامش الفصل الاول من بحثنا هذا الرقم (٥) المطربزي، ناصر بن عبد السيد ابي المكارم بن علي، ابو الفتح برهان الدين الخوارزمي المتوفى ١٢١٣هـ/١٢١٠م، صاحب كتاب الايضاح في شرح مقامات الحريري، الذي ناقشنا موضوع اختلافنا مع السيد المحقق حول تاريخ وفاته آنفاً، كما أوردنا ملاحظة الزركلي حول انتقاد ياقوت

---

<sup>٣٩١</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص.٨.

الحموي في كتابه (معجم البلدان) لبعض ماجاء في كتاب الإيضاح للمطرزى من الأسماء والأماكن، وإن لم يسمه، مما يرجح بأنّ الاشارة الواردة في ارشاد الاربيب في معرض انتقاد ياقوت لخبر اشتغال قدامة بن جعفر لدىبني بويه إنما تعود تلك الاشارة على المطرزى ذاته. إنّ السيد المحقق قد تجاوز حتى مناقشة ياقوت الحموي، لخبر اشتغال قدامة بن جعفر لدىبني بويه، على قصرها، واكتفى عن النقاش بكلمة يقال ليدلل على تشككه او تردداته في قبول خبر اشتغال قدامة بن جعفر بالنسبة لظهور أهل بويه ببغداد، وإن كان لبعض سنين. أما الالكتفاء بكلمة ((يقال)) فغير وارد ولا مستحسن لأن هذه الكلمة تحتمل التصديق والنفي والمفضال هنا ابداء رأي حاسم مثلما فعل ياقوت الحموي.

لقد دأب المؤرخون وجاراهم معظم الباحثين في استخدام المصطلحات: في قول، قيل، يقال، عند اضطرارهم على ذكر رأي او خبر ضعيف، غير متأكدين من صحته ولكنهم، بالوقت نفسه، غير قادرين على تصديقه او نفيه بصورة جازمة. بيد انهم لا يقدمون على استعمال المصطلح والاتيان بالخبر الضعيف الا بعد استعراضهم ومناقشتهم لكافة الاراء والاخبار المتواترة والمعروفة بصدق القضية، عندئذ يعبرون بعد الاستعراض والمناقشة بالمصطلح [قيل، يقال، في قول.. الخ] وبالخبر الضعيف. وهذه مسألة بدائية في منهج البحث العلمي ماكنا مضطرين للتنبيه عليها لو لا تكرار عرض الاخبار بشكل بائس وفي الصفحة ذاتها وبعد الخبرين الهزيلين عن اشتغال قدامة بن

جعفر بالكتابة لدى ابن الفرات وآل بويه يأتي مباشرة الكلام عن وفاة قدامة بن جعفر بشكل مقتضب خالٍ من اي نقاشٍ وحتى من الاسانيد. فقد ورد الخبر بهذه الصورة المكثفة جداً: ((توفي سنة ٣٢٨هـ وقيل سنة ٣٣٧هـ في أيام الخليفة المطیع العباسي))<sup>٣٩٢</sup>. فأين ياترى اسانيد الخبر الاول عن الوفاة؟ ومن ياترى يأخذ بالخبر الثاني؟ وهل هناك من يقول بغير هذه السنوات؟ وما علاقة الخبرين الاول والثاني عن وفاته بخبر اشتغاله بالكتابة لدى آل بويه؟. هذه الاسئلة لا تجد لها اجوبة شافية. وبقدر ما يتعلّق الامر بنا فقد اتينا ببعض ما كتب عن قدامة بن جعفر في الفصل الاول وفيه وجهات نظر مختلفة حول سنة وفاته تتراوح بين ٣١٠هـ، ٣٢٧هـ و ٣٣٧هـ مما يصعب مهمة تحديد سنة وفاته. لقد راعى يصعب الدقة كل من كراتشکوفسکی وبروکلمان عندما لم يجز ما بسنة محددة لوفاة قدامة بن جعفر. فقد اشار كراتشکوفسکی كما نقلنا ذلك سابقاً - الى احتمال التوسيط بين سنتي ٣٢٠هـ و ٣٣٧هـ مثلاً.

#### مؤلفات قدامة بن جعفر:

الف هذا العالم الفذ كتب عدّة في اختصاصات متعددة توزعت بين الادب والاقتصاد والتاريخ والجغرافية والاحوال الاجتماعية ومواضيع عامة أخرى. كان من ابرزها بالطبع كتاب الخراج وصنعة الكتابة. ونظراً لرهافته الفكرية الناجمة عن نظراته الموسوعية

---

<sup>٣٩٢</sup> ارشاد الاریب، المعطیات السابقة نفسها، ٦/٢٠٤.

المتفتحة بمرؤنة وشمولية نحو العلوم والمعارف والترااث بتعمق فلسي وبانغمار مشغوف بالاداب واسرارها البلاغية. فقد تميز باسلوب علمي جذاب وببلغته، من افضل الفلسفه والبلاغه الفصحاء<sup>٣٩٣</sup>. لقد عكست مؤلفاته، الواصلة اليينا، مدى تفتحه الواسع واستيعابه الجيد لثمرات التناقض الحضاري المتتبادل بين الشعوب في عصره بالموروث والمعاصر من الانتاج الفكري، سواء بسواء، وانتفاعه بخلاصة تجاريه الميدانية المكتسبة من اشتغاله بالكتابة بالدواوين والبريد، وحسن توظيفه، باصالة وعمق، لخزنه الفكري والعملي التجرببي الشر المتنوع، حيث يلمس، بوضوح، التوليف الهارموني، إنْ صَحَّ اقتباس التعين، البديع في تنسيقه لدى استخدامه البارع للاستنتاجات المستخلصة من الادارة والاقتصاد والتاريخ والرياضيات والفلك والمجتمع في مواضع جغرافية اجتماعية ممترزة بحس وذوق رفيع وباسلوب علمي منطقي مושي ببلاغة ادبية رائعة، فلايظهر اسلوبه مدى تضلعه بالفلسفه والمنطق فحسب، وإنما عمق تفهمه وادراكه لاسرار البلاغة الادبية ايضاً. لقد اعترف بهذه الرهافة الفكرية، التي منحت قدامة بن جعفر منطقه الفلسي وفضاحته البلاغية ودقته العلمية، عدد غير قليل من المؤرخين الذين تصدوا لدراسته وكتابه ترجمة حياته كأبن النديم وابن الجوزي وياقوت الحموي، وغيرهم، ومن أتينا بشواهد من اقوالهم

---

<sup>٣٩٣</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص.٨.

عن معرفته ومنطقه وبلاغته. وقد اشاد الباحثون، كما مرّ بنا، من امثال بارتولد وكراتشكوفسكي وبروكلمان وروزنثال، بموهبة وقدرات وبلاغة قدامة بن جعفر. يُعتبر ابن النديم، صاحب كتاب الفهرست، من أقدم من ذكر وأشار او عدد مؤلفات قدامة بن جعفر، بيد أنه لم يذكر كلّ ما أله هذا العالم الجليل وأئمّا ذكر له ثلاثة عشر كتاباً ورسالة فحسب من بين مجموع أعماله الستة عشر المعروفة لدينا لحد الآن. بينما نرى ياقوت الحموي، المعتمد في اغلب اقواله، عن قدامة بن جعفر، على ابن النديم، يذكر بعض مآفاث ابن النديم ذكره. لكن ياقوت الحموي بالوقت نفسه لم يأت هو الاخر على ذكر كلّ ما هو معروف لدينا لحد الان من مؤلفات قدامة بن جعفر - كما ذكرنا ذلك في مناسبات عدة اعلاه- فعلى سبيل المثال لم يذكر كلّ من ابن النديم وياقوت الحموي كتاب قدامة بن جعفر الموسوم بفقد النثر او كتاب البيان، بينما كتاب زهر الربيع في الاخبار لقدامة بن جعفر ايضاً لم يذكره ابن النديم بينما ياقوت الحموي قد ذكره في كتابه ارشاد الاريب. ربما كان بعض هذه المؤلفات التي لانعشر عليها على ذكر لدى ابن النديم وياقوت الحموي مفقوداً في زمانهما او روايةً شفهية لم يدون بعد، ككتاب نقد النثر، الذي يبدو انه ظهر مدوناً بعد انتهاء ياقوت الحموي من وضع لمساته الاخيرة على مصنفاته او ربما قبل ذلك بفترة وجizaً غير انه كان يجهل صدوره حتماً والاحتمال الاولى ان كتاب نقد النثر صدر بعد وفاة ياقوت الحموي لانه ذكر ابا عبدالله محمد بن ايوب الغافقي، الذي اصدر كتاب نقد

النشر لقدامة بن جعفر، من دون الاشارة الى اصداره الكتاب (نقد النثر) في مؤلفه ارشاد الاريب، كما ذكرنا ذلك في سياق مناقشتنا الاساتذة عبدالكريم الامين وزاهدة ابراهيم، في الفصل الاول من مبحثنا هذا.

لم يتتسنّ -مع الاسف- لحد الان تحقيق ونشر جميع مؤلفات قدامة بن جعفر، اذ لا تزال عشرة مؤلفات من اصل ستة عشر مؤلفاً مخطوطة غير محققة ولا مطبوعة [عدها السيد المحقق (١١) مخطوطاً من اصل (١٦) مؤلفاً ظلّاً منه بآن كتاب نقد الشعر لا يزال مخطوطاً<sup>٣٩٤</sup>، بينما هذا الكتاب قد طُبع بمطبعة الجوابي/ الاستانة، ١٣٠٢هـ]، وهي بانتظار من يشمر عن ساعده الجد من الباحثين والمحققين للبحث عنها وانتشالها من الديجور واخراجها الى عالم النور مع ايلائها بما تستحق من عناية.

تفاوتت، نسبياً، عناية اصحاب فهارس ومعاجم المطبوعات العربية والباحثين بشؤون التاريخ والادب والجغرافيا العربية الاسلامية وبالمؤرخين العرب والمسلمين وبمؤلفاتهم، الذين نقلنا سابقاً نصوص اقوالهم المتعلقة بقدامة بن جعفر، بشكل كامل تقريباً، تفاوتت عنايتهم بمؤلفات قدامة بن جعفر بين الدقة والغزاره وبين الضحالة والشحة ونحن اذ نطرق الى ذكر البعض من من نقلنا عنهم بشأن تلك المؤلفات فاننا بالطبع لا نبخس الاخرين قيمتهم

<sup>٣٩٤</sup> ابن التديم، ابن الجوزي، ياقوت الحموي.. الخ.

ووجههم فهناك العديد من اشار الى هذه المؤلفات او تحدث عنها بهذا الشكل او ذاك لا يتسع المجال لذكرهم هنا جميعاً. لقد اتينا بملحوظات واسارات كل من: يوسف اليان سركيس، بارتولد وكراتشوفسكي وبروكمان وروزنثال والزركلي وصلاح الدين المنجد ونجيب العقيقي وعبدالكريم الامين وزاهدة ابراهيم وعبدالجبار عبدالرحمن، الذين ذكروا تفاصيل او اشارات عن جميع او بعض مؤلفات قدامة بن جعفر المطبوعة او المخطوطة ذات الأهمية، كما تحدثوا عن تحقيق المطبع منها وعن محل وسني الطبع اوردناها بذاتها وتفاصيلها وناقشنا بعضها. ومع ان جميع هؤلاء الذين استشهدنا باقوالهم من الباحثين حول مؤلفات قدامة بن جعفر لم تكن عنایتهم منصبۃ او مقتصرة على قدامة بن جعفر وعلى مؤلفاته فحسب، وانما جاء ذكرهم له ولمؤلفاته في سياقتناولهم العام لسير ومؤلفات الكثير من المؤرخين والجغرافيين والادباء وكتاب الدواعين واصحاب البريد والخارج العرب والمسلمين، فأننا قد لمسنا لدى البعض منهم اهتماماً وعناية بقدامة بن جعفر وبمؤلفاته فاق، كماً ونوعاً، ما عرضته مقدمة كتاب الخارج عن مؤلفات قدامة بن جعفر، رغم انها مكررة بالاساس، كما ينبغي، وبشكل خاص للتعریف بقدامة بن جعفر وبمؤلفاته فحسب، فلم يكن حديث المقدمة عن المؤلفات قاصراً عن اللحاق ببحوث الاخرين فحسب، وانما كسرأ لارقام القياسية في الاقتضاب وقلة توفر الدقة والعناية العلمية المطلوبة نسبياً حتى بالنسبة لحديثي المقدمة

المقتضبين جداً عن اشتغال قدامة بن جعفر بالكتابة وعن الوفاة المذكورين اعلاه، فنجد هنا عند الحديث عن المؤلفات بالإضافة الى الانتقال المفاجي من الحديث عن الوفاة الى الحديث عن المؤلفات، بلا تمهيد ولا مقدمات، شحة واقتضاهاً لامسوغ لهما فالحديث لم يتجاوز بضع كلمات التي هي: ((وقد وضع كتاباً كثيرة هي))<sup>٣٩٥</sup>، وهذا هو كلّ ما جاد به السيد المحقق وحدثنا به عن مؤلفات قدامة بن جعفر. وأما ماتلى هذا القول من تعداد (١٦) مؤلفاً لقدامة بن جعفر فلا عبرة به لأنّه نقل مبتسر بائس عن بعض الفهارس ومعاجم المطبوعات العربية وبشكل غير دقيق ومن دون تحليل او نقاش مما اضطررنا الى القيام بالمداخلة الواسعة نسبياً انطلاقاً من أنّ النقد البناء لا يقتصر على رصد الاخطاء والسلبيات واظهار الايجابيات وتأكيدها فحسب، بل والقيام بمدخلات عند الضرورة ايضاً. قد يهتم النقد البناء باطلاً بالانحياز وبالتحامل للتزامه بجد وحزن الوقوف بجانب ا لعلم والحقيقة الموثقة بأسانيد منتزة من ملموسيات الواقع ولتصديه للخطأ ومعالجته بروح علمية نقدية سعياً لاصلاحه انطلاقاً من التزامات النقد البناء الاساسية بالجذف الوعي عن الوقوف الحيادي بين العلم ونقضيه.

لقد كان المؤمل بمقدمة مخصوصه للحديث عن عالم جليل وعن مؤلف تراثي مهم ان تبرز جميع البحوث السابقة لها ويسد كافة

<sup>٣٩٥</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص.٨.

الثغرات المعتمة والخاطئة والمهملة، ان وجدت، بتغطية شاملة من الابحاث والمعلومات الجديدة وبتقديم البدائل والمقترنات العلمية العميقه الصائبة. فيرقى الانتاج الى مصاف التحقيقات الاكاديمية المتكاملة الاصلية، وعندئذ تتتوفر للمقدمة امكانية جيدة لتهيئة فرضاً اكبر للتعرّف على احدث واوسع المعلومات الموثوقة عن مؤلفات قدامة بن جعفر. فيتحقق الطموح المشروع في بلوغ اعمالنا الاكاديمية مرحلة الانجازات العلمية الكبرى. لقد كان مفضلاً تقدم حديث المؤلفات على خبر الوفاة، كما جرت العادة لدى الباحثين عموماً. لقد قدم السيد المحقق موضوع الحديث عن المؤلفات بجملة قصيرة جداً، كما نوهنا اعلاه، ثم عدد المؤلفات مستعيناً ببعض المصادر والالفهارس والمعاجم وتنقل حديثه حرفيأً بكامله لاجل اعطاء صورة واضحة للقراء عند مناقشتنا لهذا الموضوع المهم. جاء في المقدمة عن مؤلفات قدامة بن جعفر في الصفحتين الثامنة والتاسعة ما يأتي:

((وقد وضع كتاباً كثيرة هي<sup>٣٩٦</sup>:

١. كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ٢. كتاب نقد الشعر (مخطوط)<sup>٣٩٧</sup>
٣. كتاب صابون الغم (مخطوط) ٤. كتاب صرف الهمم (مخطوط)
٥. كتاب جلاء الحزن (مخطوط) ٦. كتاب درياق الفكر

<sup>٣٩٦</sup> المصدر نفسه، ص.٨.

<sup>٣٩٧</sup> المصدر نفسه، ص.٨، والهامش رقم (١١).

(مخطوط) ٧. كتاب السياسة (مخطوط) ٨. كتاب الرد على ابن المعتز فيما غاب به أباتمام (مخطوط) ٩. كتاب حشو حشا الجليس (مخطوط)<sup>٣٩٨</sup> ١٠. كتاب صناعة الجدل. ١١. كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب (مخطوط). ١٢. كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر (مخطوط) ١٣. كتاب زهر الربيع في الاخبار (مخطوط) ١٤. كتاب "نقد النثر" المعروف بكتاب (البيان) من نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا، الرقم ١٤٢. وقد حققه، طه حسين وعبدالحميد العبادي، القاهرة، ١٩٣٣م. ١٥. كتاب (جواهر الالفاظ) منه نسخة في مدرسة النبي شيت بالموصول. وصفها الدكتور داود الجلبي في مخطوطات الموصول ص ٢٠٦، الرقم ٤، وقد طبع في القاهرة سنة ١٩٣٣م، وطبع طبعة ثانية ١٩٧٩م. ١٦. تفسير بعض المقالة الاولى من كتاب (سمع الكيان) لارسطو، ذكره الحاج خليفة في كتابه كشف الظنون (استانبول ١٩٤٣)، ص ١٠٣.

يتسم هذا العرض السريع للمؤلفات بالبساطة وقلة العناية وتوجهاً فيه بأمور عدة تستوجب منا الوقوف للمناقشة. فلما جل أن تكون المناقشة دقيقة وواضحة أمام القارئ نضع جدولًا باسم المؤلفات كما هي مدونة في كتاب الفهرست لابن التديم وكتاب ارشاد

<sup>٣٩٨</sup> كتاب نقد الشعر، مطبوع -كما ذكرنا- انظر: بروكلمان، تاريخ الادب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٤/٢٤٣، يوسف اليان سركيس، معجم المطبوعات، المعطيات السابقة نفسها، ٢/١٤٩٥، عبدالكريم الامين وزاهدة ابراهيم، دليل المراجع العربية، المعطيات السابقة نفسها، ص ٢١٨، تسلسل ٣٥٤.

الاريـب لـياقوـت الحـموي وـفي مـقدمة كـتاب الخـراج الـتي أـعدـها السـيد المـحـقـق.

### جدول بمؤلفات قدامة بن جعفر

الواردة في مقدمة كتاب ٤٠١ الخارج	حسب قائمة ارشاد ٤٠٠ الاريـب	حسب قائمة ٣٩٩ الفهرست	ت
كتاب الخارج	كتاب الخارج	كتاب الخارج	١
كتاب نقد الشعر	كتاب نقد الشعر	كتاب نقد الشعر	٢
كتاب صابون الغم	كتاب صابون الغم	كتاب صابون الغم	
كتاب صرف الهم	كتاب صرف الهم	كتاب صرف الهم	٤
كتاب جلاء الحزن	كتاب جلاء الحزن	كتاب جلاء الحزن	٥
كتاب دريـاق الفـكر	كتاب دريـاق الفـكر	دريـاق الفـكر فيما غـاب به اـباتـام	٦
كتاب السياسة	كتاب السياسة	كتاب السياسة	٧
كتاب الرد على ابن المعـتـز فيما عـابـه ابـاتـام	كتاب الرد على ابن المعـتـز فيما عـابـه ابـاتـام	كتاب الرد على ابن المعـتـز	٨
كتاب حشو حشاء	كتاب حشو حشاء	كتاب حشو حشاء	٩

<sup>٣٩٩</sup> كتب اسم هذا المخطوط بصورة مخطوطة وذلك بحذفه الهمزة من كلمة حشاء فاسم هذا الكتاب كما هو وارد في الفهرست لابن النديم وفي ارشاد الاريـب لـياقوـت الحـموي هو: حـشوـحـشـاءـالـجـلـيـسـ.

<sup>٤٠٠</sup> المعطيات السابقة نفسها، ص ١٣٠، ٢٥٠.

<sup>٤٠١</sup> المعطيات السابقة نفسها، ٦/٢٠٤.

الجليس	الجليس	الجليس	
كتاب صناعة الجدل	كتاب صناعة الجدل	كتاب رسالته في أبي علي بن مقلة ويعرف بالنجم الثاقب	١٠
كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب	كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب	كتاب صناعة الجدل	١١
كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر	كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر	كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر	١٢
كتاب زهر الربيع في الاخبار	كتاب زهر الربيع في الاخبار	ولابي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بعض المقالة الاولى من السماع الطبيعي <sup>٤٠٢</sup>	١٣
كتاب نقد النثر المعروف بكتاب البيان	بنكھي زین		١٤
كتاب جواهر الالفاظ			١٥
تفسير بعض المقالة الاولى من كتاب (سمع الكيان)			١٦

لقد وضعنا هذا الجدول بسبب ادعاء السيد المحقق بأنه اعتمد على كتاب الفهرست لابن النديم فقط عند تسجيله لمؤلفات قدامة بن

<sup>٤٠٢</sup> المعطيات السابقة نفسها، ص ٨-٩.

جعفر في مقدمة كتاب الخراج، في الصفحتين الثامنة والتاسعة، حيث همّش بوضع الرقم (١١) فوق كلمة (هي) الذي جاء تعداد المؤلفات بعدها مباشرة ودون في أسفل الصفحة الثامنة في الهاشم رقم (١١) مشيراً إلى أنَّ هذه المعلومات عن المؤلفات نقلًا عن الفهرست لابن النديم الصفحة (١٨٨) {طبع القاهرة}، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، بينما يوضح الجدول الذي وضعناه أعلاه بأنَّ نسبة الاقتباس إلى الفهرست غير دقيقة وذلك للأمور الآتية:

أولاً: لم يورد ابن النديم في الفهرست جميع مؤلفات قدامة بن جعفر لأسباب لانزال نجهلها، فهناك بعض المؤلفات التي ذكرها السيد المحقق [زهر الربيع في الاخبار، الرقم ١٣، نقد النثر، الرقم ١٤، وجواهر الالفاظ، الرقم ١٦] لم يذكرها ابن النديم مما يدلل على أنَّ الاقتباس لم يكن مقتضراً على فهرست ابن النديم، على فرض أنَّ السيد المحقق قد نقل قسماً منها عن الفهرست، وإنما من مصادر قديمة ومراجع حديثة متعددة أخرى.

ثانياً: يتطابق تسلسل المؤلفات، كما هو واضح في الجدول، لدى كل من ياقوت الحموي والسيد المحقق من الرقم (١) حتى الرقم (١٣)، بينما يختلف معهما التسلسل الوارد لدى ابن النديم في الرقعين العاشر والحادي عشر: حيث نرى الرقم العاشر لدى ابن النديم هو لكتاب رسالة في أبي علي بن مقلة ويعرف بالنجم الثاقب، بينما الرقم العاشر لدى ياقوت الحموي ولدى السيد المحقق، سواء بسواء، هو لكتاب صناعة الجدل. وأما كتاب صناعة الجدل لدى ابن النديم فإنه

يحمل الرقم (١١). بينما يحمل الرقم (١١) لدى كلّ من ياقوت الحموي والسيد المحقق اسم: كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب. أما الرقم (١٢) لسلسلة مؤلفات قدامة بن جعفر الواردة لدى ابن النديم فهو لرسالة قدامة بن جعفر لم تذكر مع قائمة مؤلفاته وإنما جاء ذكرها في مجال آخر من كتاب الفهرست في حين يحمل الرقم ١٣ لدى كل من ياقوت الحموي والسيد المحقق اسم كتاب زهر الربيع في الاخبار وهذا الكتاب لا يرد ذكره لدى ابن النديم ولكن السخاوي ذكر في كتابه الاعلان بالتوبیخ بان المسعودي اشار الى كتابي قدامة بن جعفر: زهر الربيع والخارج، كما ذكرنا ذلك في الفصل الاول من مبحثنا هذا، لقد ورد زهر الربيع لدى ياقوت الحموي وقد بين مارغليوث، محقق كتاب ارشاد الاريب، الى ان كتاب زهر الربيع لم يذكره صاحب الفهرست (ص ١٣٠<sup>٤٠٣</sup>)، كما ان زهر الربيع قد ورد ذكره لدى السيد المحقق مما يدل على انه نقل اسم هذا الكتاب عن ارشاد الاريب لياقوت الحموي وليس عن الفهرست لابن النديم لأن ابن النديم لم يذكره كما بینا اعلاه وكان من الممكن ان ينتبه لملحوظة مارغليوث عن عدم ذكر ابن النديم لكتاب زهر الربيع.

---

<sup>٤٠٣</sup> الفهرست، المعطيات السابقة نفسها، ص ٢٥٠.

ثالثاً: وردت بعض تسمية المؤلفات لدى السيد المحقق مغایرة جزئياً أو كلياً مع ما يقابلها من التسميات لدى ابن النديم، فعلى سبيل المثال:

١. إن كتاب درياق الفكر والذي يحمل الرقم (٦) لدى ابن النديم فيه زيادة لحقبة [لأسباب مطبعية كما نعتقد، ونحن نستخدم الطبعة المحققة من قبل فلوكل] من اسم كتاب آخر، الذي هو كتاب الرد على ابن المعتز -الرقم ٨- بينما سماه كلُّ من ياقوت الحموي والسيد المحقق بشكله الصحيح وهو: درياق الفكر. وأما الزيادة الحاصلة في كتاب الفهرست المطبوع فلا وجود لها عندهما وإنما في موقعها الأصلي اي بالكتاب المرقم (٨) والذي هو كتاب الرد على ابن المعتز فهو على صورته الصحيحة لديهما معاً كالتالي: كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبيه تمام. وهذا ما يعزز الرأي بأن النقل كان عن ارشاد الاربيب وليس عن الفهرست.

٢. إن تسمية الكتاب ذي الرقم (١٠) لدى ابن النديم بـ: كتاب رسالته في أبي علي ابن مقلة ويعرف بالنجم الثاقب، قد وردت هذه التسمية لدى ياقوت الحموي، في كتابه ارشاد الاربيب، بشئ من التحوير وعلى الشكل الآتي: [كما في الجدول تسلسل ١١]: كتاب الرسالة في أبي علي ابن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب. فأبن النديم سمي الكتاب: كتاب رسالته: وقال عنه: يعرف بالنجم الثاقب، بينما سماه ياقوت الحموي بـ: كتاب الرسالة .. وقال عنه وتعرف بالنجم الثاقب. لم يساير السيد المحقق ياقوت الحموي في جعل تسلسل هذا

الكتاب الرقم (١١) فحسب بل سايره ايضاً في تحويره تسمية الكتاب، فتسمية السيد المحقق لهذا الكتاب جاءت مطابقة كلياً لتسمية ياقوت الحموي لهذا الكتاب وتخالف عن تسمية ابن النديم للكتاب المذكور: فكما بينما اعلاه بان ابن النديم قد سماه كتاب رسالته وخالقه ياقوت الحموي سماه كتاب الرسالة، على الرغم من ان ياقوت الحموي قد نقل -كما صرخ هو- جل معلوماته عن قدامة بن جعفر من كتاب الفهرست لابن النديم، بيد انه لا يتقييد بتسمياته كلياً، بل يتصرف، احياناً، كما هو واضح في الجدول، حينما جعل عنوان الكتاب: كتاب الرسالة، في الوقت الذي ذكره ابن النديم به: كتاب رسالته. وجراء هذا التحوير في التسمية اخطر ياقوت الحموي كذلك الى اجراء تغيير بتصريف الضمير في الفعل (تعرف) فهو يعود لديه على الرسالة بينما الضمير في الفعل (يعرف) لدى ابن النديم يعود على الكتاب. ان تسمية هذا الكتاب من قبل السيد المحقق بالشكل الذي نقلناه، وهو: (كتاب الرسالة في الباقي علي ابن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب)<sup>٤٠٤</sup>، دليل واضح على ان اقتباس المعلومات عن المؤلفات كان من ارشاد الاربيب، وان اغفل ذكره، وليس عن فهرست ابن النديم، كما أُشير في هامش الصفحة الثامنة الرقم (١١).

٣. سمي ابن النديم الكتاب الفلسفى، الذى هو عبارة عن مجموعة مقالات وتفاسير لاقوال ارسطو جمعت من قبل الاسكندر

---

<sup>٤٠٤</sup> ارشاد الاربيب، المعطيات السابقة نفسها، ٦/٢٠٤.

الافروديسي، من رجال القرن الثاني الميلادي، وفورفوريوس وآخرين، سماه كتاب السماع الطبيعي<sup>٤٠٥</sup>، وذكر جملة من النقلة والمتجمين الذين نقلوا أقساماً من هذا الكتاب ومن جملة من ذكر قدامة بن جعفر فقال عنه: ((ولابي الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة تفسير بعض المقالة الأولى من السماع الطبيعي))<sup>٤٠٦</sup>. ومع أن ابن النديم لا يعرف - كما يقول بول كراوس<sup>٤٠٧</sup> غير هذه التسمية [السمع الطبيعي]، فإن السيد المحقق ذكره باسم كتاب سمع الكيان. ولما كان ياقوت الحموي لم يدون هذا الكتاب أو الرسالة لهذا اشار السيد المحقق الى حاج خليفة: [مصطفى بن عبدالله كاتب چلبى، ١٠١٧هـ/١٦٥٧م] في كتابه كشف الظنون، استانبول ١٩٤٣، ص ١٠٠٣، وهذا ما يعزز قولنا بأن نقل مؤلفات قدامة بن جعفر عن مصادر أخرى غير الفهرست لابن النديم. إن تسمية سمع الكيان قديمة وتکاد تكون مهملاً ولهاذا لم يأخذ بها ابن النديم يقول بول كراوس، في بحثه: الترجم الارسططالية المنسوبة الى ابن المقفع، المنشور في كتاب: التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، دراسات المستشرقين<sup>٤٠٨</sup>: بأن ابن النديم لا

<sup>٤٠٥</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ٨.

<sup>٤٠٦</sup> الفهرست، المعطيات السابقة نفسها، ص ٢٥٠.

<sup>٤٠٧</sup> المعطيات السابقة نفسها، ٢٥٠.

<sup>٤٠٨</sup> في مقال له بعنوان: الترجم الارسططالية المنسوبة الى ابن المقفع، المنشور في كتاب التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية، دراسات كبار المستشرقين، تأليف

يعرف الا العنوان: السمع الطبيعي، بينما نجد لدى اليعقوبي سمع الكيان وفي اقتباسات جابر بن حيان نجد السمع بينما ابن ابي اصيبيعة والقططي يسميه بسمع الكيان ويقول القططي عنه: كتاب السمع الطبيعي وهو المعروف بسمع الكيان حاجي خليفة ج، ٢، ص ٦١٩ رقم ٧٢٥٨ و ج، ٥، ص ٩٥ رقم ١١٠٩٣ سمع الكيان، لكن حاجي خليفة ذكره في نفس الجزء الخامس، ص ٩٥، رقم ١٠١٩٠ باسم العنوان المتأخر كتاب السمع الطبيعي. ويرى كراوس ان سمع الكيان هو اسم الترجمة القديمة فيدل عليه ترجمة اللفظ اليوناني باللغة (كيان) المأخوذ عن اللفظ السرياني كياناً. ولم يحتفظ بها في الاستعمال اللغوي المتأخر الا نادراً<sup>٤٠٩</sup>. فكان على السيد المحقق ان ينتبه الى ملاحظة المستشرق بول كراوس، التي أوردها بتصرّف اعلاه، لأن ابن النديم لم يسم هذا الكتاب او الرسالة الا بأسم السمع الطبيعي وأورده السيد المحقق بأسم سمع الكيان وكان التهميش يشير الى ان جميع المؤلفات منقولة عن فهرست ابن النديم وأما حاجي خليفة فأنه يذكره على صيغتين، كما نوه بول كراوس، اعلاه.

رابعاً: في الوقت الذي يشير فيه السيد المحقق في الهاشم رقم ١١ [الصفحة الثامنة، المقدمة] على ان مؤلفات قدامة بن جعفر من

وترجمة عبد الرحمن بدوي، ط٣، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٠١-١٢٠، والنص المقتبس

هو في الهاشم رقم (٣) ص ١٠٩-١١١.

<sup>٤٠٩</sup> المصدر نفسه، ص ١٠١-١٢٠.

الكتب والرسائل قد نُقلت عن ابن النديم حسراً نراه يضع بعض الملاحظات ازاء تلك المؤلفات ليدلل على ان قسماً منها مخطوط و الآخر مطبوع مع ذكر سني الطبيع، وهي حديثة، وهذا لا ينسجم مع التهميش ذلك لأنّ وفاة ابن النديم [في سنة ٩٩٥هـ/٣٧٥م، حسب اكثراً القوالي، وهناك آراء أقل ترى الوفاة بعد ٣٩٠هـ ولكن الزركلي، الاعلام، ٢٥٣/٦ يذكر ٤٢٨هـ/١٠٤٧م ومع ذلك فإنه يشير الى أنّ هناك رأي اسبق من ذلك] سابق لظهور الطباعة في اوربا بأكثر من أربعة قرون. لهذا فإن تهميش السيد المحقق بحصـر المؤلفات بمصدر واحد غير دقيق وكان عليه ان يذكر في الهاشمـش -كما نوهنا سابقاً- المصادر القديمة التي استقى منها فعلاً والمراجع الحديثة وفهارس ومعاجم المطبوعات العربية الحديثة. كمانه ذكر بان كتاب نقد الشعر ذي التسلسل رقم (٢) مخطوط وهذا غير صحيح لأنّ هذا الكتاب قد طبع في استانبول في عام ١٣٠٢هـ. وكذلك طبع في القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٤٨م، بتحقيق كمال مصطفى، كما أوردنا ذلك سابقاً نقاًلاً عن يوسف اليان سركيس وبروكلمان وعبدالكريم الامين وزاهدة ابراهيم، في الفصل الاول من مبحثنا هذا.

#### دور النقد الموضوعي في التطور العلمي:

يرتبط النقد الموضوعي ارتباطاً عضوياً وثيقاً بالتقدم العلمي، حيث يتآثر أحدهما بالأخر تأثيراً واضحاً ملمساً، فإذا تخلص النقد او تخلف عن اداء واجبه كان ذلك مؤشراً على انّ العلم يتخبط في

مساره وان المهيمنين عليه لايرغبون في الاستماع الى ايّ نقد حتى ولو كان هزيلًا. وأما اذا توفرت ظروف لأنّ يحيث العلم الخطى في مساره فعندئذ ينفتح للنقد مجالٌ رحبٌ فيلعب دوره البارز في التوجيه والبناء وبمتسع من الحرية. ومن هذا التطور نعتقد ان النقد يجب ان يحتل موقعه الاساسي في عملية التطور العلمي ويُشجع على الاصهام الواسع لما له من دور في دعم الهيكل الارتکازى للتقدم العلمي. ونحن لانبغي من نقدنا، الذي جاء بهذا الشكل التفصيلي الموسع حتى شمل تفاصيل جزئية، سوى الاصهام الواسع، قدر الامکان، في تنمية نتاجاتنا من شوائب الرزل، لكي ترقى الى مستوى الطموح فنسابق الزمن ونجتاز التخلف، في عصرٍ توفرت فيه مقومات اساسية للتقدم العلمي والازدهار الحضاري العظيم، حيث تحققت في قرنا العشرين منجزات مذهلة شكلت في مجال العلم قفزات نوعية هائلة بفترات قصيرة قياسية لم يسبق لها مثيل، تتجلّى في بلوغ التطور التقني مدىً واسعاً فاق حدّ التصور. ومن غير التحدث عن القفزات المذهلة للمجاھر الالكترونية والمراصد الفلكية العملاقة المعقّدة الحديثة، التي فتحت أفقاً واسعة جداً امام العلم ما كان ممكناً للعلماء بلوغها، فائنا نشير الى انّ الذاكرة الالكترونية والعقول الالية قد اقتحمت كل باب ونفذت في كلّ ميادين الاستعمال، ناهيك عن حقول الانتاج، مثبتة حضوراً متميزاً ودوراً فاعلاً نشطاً في كلّ مجال استخدمت فيه، كما هو واضح في أتمته الانتاج [Automation Phoduction]، التي هي اعلى مرحلة في تطوير التقنية، حيث يؤدى الانتاج والادارة وجميع

العمليات الضرورية من الناحية الاجتماعية بدون مشاركة مباشرة من قبل الانسان<sup>٤١٠</sup>. وتبرز بشكل اكثـر وضوحاً في البيـرـنـطـيقـا [Cybernetco]، الذي هو علم ما هو مشترك من الملاـعـمـ والـعـلـمـيـاتـ واجـهـةـ التـوـجـيهـ في الاختـرـاعـاتـ التـقـنـيـةـ والـكـائـنـاتـ الحـيـةـ والـتـنـظـيمـاتـ الـانـسـانـيـةـ. وـتـظـهـرـ اـهـمـيـةـ الـبـيـرـنـطـيقـاـ فيـ انـ اـجـهـزـتهاـ لهاـ خـاصـيـةـ مـتـمـيـزةـ حيثـ تـقـومـ بـعـمـلـيـةـ اـسـتـخـارـاـجـ الـبـيـانـاتـ فـهـيـ بـذـكـ تـخـتـلـفـ عنـ الـاجـهـزـةـ الـاـخـرـىـ الـتـيـ تـحـوـلـ الطـاـقةـ اوـ الـمـادـةـ. كـمـ وـتـتـبـدـىـ اـهـمـيـةـ الـبـيـرـنـطـيقـاـ اـسـاسـاـ فيـ ضـوـءـ الـفـرـصـ الـتـيـ تـتـيـحـهاـ لـاـتـمـتـةـ الـاـنـتـاجـ، وـجـمـيـعـ اـنـوـاعـ الـنـشـاطـ الـذـهـنـيـ الـاـنـسـانـيـ الصـورـيـ، وـبـحـثـ التـحـكـمـ الـبـاـيـولـوـجـيـ وـاجـهـةـ التـنـظـيمـ (الـاـلـيـاتـ الـهـرـمـوـنـيـةـ وـالـعـصـبـيـةـ وـالـوـرـاثـةـ)ـ عنـ طـرـيقـ منـهـجـ اـصـطـنـاعـ الـنـظـيرـ وـتـطـوـرـ اـنـوـاعـ جـدـيـدةـ مـنـ الـاجـهـزـةـ الـطـبـيـةـ<sup>٤١١</sup>.

يرى د. محمد عبد اللطيف مطلب: ((إنَّ الـبـيـرـنـتـيقـ نـشـأـ عـنـ الفـروعـ الـرـياـضـيـةـ الـتـيـ اـصـبـحـتـ فـيـ مـاـبـعـ الـحـربـ فـرـوـعاـ مـسـتـقـلـةـ قـائـمـةـ بـذـاتـهاـ. وـلـيـسـ هـنـاكـ تـعـرـيـفـ يـحدـدـ مـعـنـىـ الـبـيـرـنـتـيقـ تـامـاـ، إـلـاـ أـنـهـ يـشـمـلـ عـلـىـ مـعـالـجـةـ الـمـسـائـلـ الـمـتـعـلـقـةـ بـبـيـانـ الـاـلـاتـ الـحـاسـبـةـ الـالـكـتـرـوـنـيـةـ وـاستـعـمالـهـاـ))<sup>٤١٢</sup>. ويـضـيـفـ إـلـىـ قـوـلـهـ هـذـاـ: "ويـتـضـمـنـ الـبـيـرـنـتـيقـ اـيـضاـ

<sup>٤١٠</sup> المصدر نفسه، ص ١٠٩-١١١، الهمش رقم (٣).

<sup>٤١١</sup> عن الـاتـمـتـةـ انـظـرـ: الـقـامـوسـ الـفـلـسـفـيـ (بـالـلـغـةـ الـرـوـسـيـةـ)، تـأـلـيـفـ جـمـاعـةـ مـنـ الـعـلـمـاءـ السـوـفـيـتـ تـحـتـ اـشـرـافـ مـ.ـمـ.ـ روـزـنـتـالـ وـ ثـ.ـ فـ.ـ بـودـيـنـ، سـمـيرـ كـرمـ، بيـرـوـتـ، ١٩٧٤ـ، صـ ٩-١٠ـ.

<sup>٤١٢</sup> المصدر نفسه، النـصـ الـرـوـسـيـ، صـ ٨-١٩٧ـ، وـالـتـرـجـمـةـ الـعـرـبـيـةـ، صـ ٢٢١-٢ـ.

نظرية الاعلام [Information Theory] المتصلة اتصالاً وثيقاً بحساب الاحتمال. ويطلب البحث في نظرية الاعلام تعاون المهندسين والفيزيائيين والرياضيين<sup>٤١٢</sup>.

لم تجر هذه التطورات العلمية العظيمة -بالطبع- بمعزل عن سيرة التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية للمجتمع، وإنما هي مرتبطة بها ارتباطاً عضوياً وثيقاً، فكلّ من التطورات العلمية والاقتصاداجتماعية مؤثرة ومتأثرة بعضها ببعض، لأن هناك علاقة جدلية بينهما وأن بدأ ظاهرياً بعض الاستثناءات في الانظمة الرأسمالية، ويكفي للدلاله على الترابط المتنين بين التحولات الاجتماعية والتطورات العلمية ان بلداناً اشتراكية كانت متخلفة في المضمار الصناعي والعلمي قبل انتقالها الى الاشتراكية وتطبيقاتها خططها الخمسية فشمرت عن ساعد الجد وتجاوزت تحالفها وتقدمت بسرعة فائقة حيث انجذبت التطورات الصناعية والعلمية فيها بوتائر سريعة وبحقب زمنية قصيرة قياسية بالمقارنة مع دول رأسمالية عريقة في تقدمها العلمي والصناعي كالملكة المتحدة وفرنسا وبلجيكا وغيرها، كما يرتبط التقدم العلمي والصناعي بالوضع السياسي والفكري في بلدان العالم الثالث. لم يتسرّ لبعضها، الهند، على سبيل المثال لا الحصر، مواكبة مسيرة العلوم التطورية والنهضة الصناعية المتقدمة، الاً بعد تحررها من القيود الاستعمارية

---

<sup>٤١٣</sup> تاريخ علوم الطبيعة، بغداد، ١٩٧٨م، ص ٣٤٧.

المكبلة لكل فعالية ونشاط جماهيري، اقتصادي وسياسي وفكري: ادبي او علمي وغيرها.

لأنستطيع، مع تقديرنا البالغ لأهمية الترابط المتنين بين التطورات العلمية والتطورات الاقتصادية، ان نشرح، هنا، تفاصيل هذه العلاقة وأسسها النظرية وتطبيقاتها العملية وتأثير المباراة بين الانظمة المختلفة لأن مجال البحث هنا غير مخصص لهذه المواضيع فلا يتسع لبحث هذه المسائل.

لقد جاءت الاستخدامات الواسعة والدقيقة جداً للذاكرة الالكترونية والعقول الالية نتيجة تمازج التطورات العلمية مع الصناعية: الفيزيائية والكيميائية بشكل سريع وواسع ومنظم حيث تمكن العلماء، بفضل استخدام اشعة الليزر والالياف الزجاجية وبعض اللدائن الم magna المغنة ذات الكفاءة العالية جداً، من اخترال اعقد واطول العمليات الحسابية والاحصائية الرياضية والفلكلية والفيزيائية واختزانها لتقدم جاهزة عند الطلب بأسرع من لمح البصر ولو لا ذلك لما امكن حل اعقد المسائل الفلكية الطويلة بحقب وجيزة جداً والتي يسرّت ارتياح الفضاء بتلك الدقة المتناهية كالتحام مركبات الفضاء واعادتها الى أماكن محددة على الارض. لقد سارت التطورات التقنية في العقود الاخيرة من هذا القرن بوتائر سريعة جداً، ويتبناها العلماء ان تزداد وتتأثر التطور في العقد والنصف المتبقى من هذا القرن بشكل واسع وسريع الى درجة يمكننا تصوّر استخدام المركبات الفضائية العائمة حول كوكبنا كمستودعات

توثيق وتخزين المؤلفات والوثائق الأرضية والاحتفاظ بها هناك كمعلومات مخزنة في مكتبات عائمة في الفضاء وعندئذ تقوم تلك المركبات بالإضافة إلى مهماتها الأساسية كمحطات توقف رواد الفضاء وكمختبرات علمية ومراسيد فلكية عليا بوظيفة حزن وحفظ المعلومات من المصادر العلمية والأدبية والتراشية وغيرها أيضاً، أي مكتبة عائمة في الفضاء لكي تزود محطات الإسلام الأرضية الرادارية بما استلمته من بث تلفزيوني من مرسولات أرضية أخرى أو بما التققطتها اجهزتها من معلومات أرضية أو فضائية. إن وجود مثل هذه المكتبات العائمة سيوفر كثيراً من الجهد والمال والاماكن كما سيسهل هذه المكتبات على الباحثين والعلماء مراجعة أي مؤلف او وثيقة بسرعة متناهية إذ بمجرد استخدام اجهزة استقبال خاصة، بتحريك زر معين وبعض الارقام، تظهر على شاشة الجهاز الصفحة المطلوبة من المؤلف المعين. فلا يستبعد، على ضوء التطورات العظيمة في عالم الذاكرة الالكترونية والعقول الآلية، ظهور مثل هذه المكتبات عند نهاية قرننا العشرين، الذي لم يبق له سوى عقدٍ ونيف من السنين<sup>\*</sup>. فإذا تحقق ذلك فعندئذ سيتم توثيق وхран مضممين المؤلفات الأرضية في تلك المكتبات العائمة في الفضاء حسب أهميتها وكفائتها من دون شك. بيد أن تقدير ذلك سيناط بأشخاص ربما لا يكونوا جميعاً بالدرجة نفسها من التأهيل والكفاءة والاختصاص

---

<sup>\*</sup> اي أن هذا البحث جرى سنة ١٩٨٨م، النصف: من واحد الى ثلاثة. [د. حسام]

الجيد وعندئذ سيركн البعض منهم الى معايير ومقاييس لاختيار المؤلفات المقترحة للخزن لاتنسجم مع الدقة العلمية دوماً ومن بينها مثلاً ترکیة المطبوع بالاعتماد على الجهة المشرفة على اصداره كان ترکی المطبوعات الصادرة عن الوزارة مثلاً بدرجة اعلى من تلك الصادرة عن مؤسسات ومنظمات دونها درجة، فلو أن كتاباً في التاريخ اصدرته وزارة الصناعة مثلاً فانه سينال الافضلية في التقديم على كتاب مماثل له في الموضوع اشرف على اصداره المجمع العلمي ذلك لأن الكتاب الاول في نظر المقيم غير المختص بالشؤون التاريخية قد صدر ضمن مطبوعات جهة اعلى فهو ارقى ولاشك في نظره من الكتاب الثاني لأنه صادر ضمن مطبوعات مؤسسة دون الوزارة فخشية من تحقق هذا التصور وتداركاً لخطر تسرب مطبوعات هابطة الى مركز التوثيق العائمة مستقبلاً علينا ان نسارع في غربلة مالدينا ونعد العدة لتقديمه بأفضل وانقى صوره الى اجيالنا المقبلة، التي ستطلع على علومنا ومعارفنا وتراثنا عبر شاشات الكمبيوتر فحسب.

#### استعراض المقدمة لكتاب الخراج:

يتمسك اغلب محققى الكتب المخطوطة بتقليل جيد حيث يعمدون الى تخصيص جزء من المقدمة التي يضعونها للتعریف بالكتاب يستعرضون فيه المضمون والاسلوب ومحفوی الفصول ومصادره وآثاره والمؤلفات المشابهة له في مضمونها وأساليبها،

السابقة والمعاصرة واللاحقة لبيان التأثر والتأثير، إنْ وجداً. وليس هناك من مقدارٍ محددٍ لهذا الجزء من المقدمة يلتزم به المحققون وإنما يتسع أو يتقلص تبعاً لتفاوتهم في المستويات العلمية ولتبين اساليبهم ومناهجهم في البحث ولمدى الجدية في العمل. لهذا تتراوح الكمية بين بضعة اسطر وصفحات عدّة. ولا يقتصر الاختلاف بينهم على الكمية فحسب، وإنما يشمل النوعية أيضاً فتفاوت الكتابات فيما بينها بين الدقة والعمق والاصالة وبين الضحالة والسطحية والتقليد، تبعاً لتبين نوعية الاهتمام بمستلزمات البحث الكامل ومستوى الخلفية الفكرية ودرجة الالعام بالموضوعات التي عالجها الكتاب المحقق وبالمؤلفات المشابهة له ومدى الاطلاع على اراء القدامي والحديثين فيه، من ناحيتي المحتوى والاسلوب. فنجد قسماً ليس بالكثير من المحققين يفلح في رفد مقدمته بدراسة ثمينة تظهر، بتكييف مرکز، خصائص الكتاب وطبيعة محتواه واسلوبه من خلال تناولها ابرز افكار وآراء المؤلف الواردة في كل فصل من فصول مؤلفه. ويتوسع هذا النفر من المحققين المجدين فيقييم مقارنة بين الكتاب وبين مؤلفات مشابهة له في موضوعه، سابقة له او لاحقة به، سواء بسواء، تقديرًا منهم لأهمية الدراسة المقارنة في اظهار مدى التأثر والتأثير، إنْ وجداً، وكذلك في اظهار الخصوصية والفارق المميزة في المحتويات والاساليب، اي في المضامين والاطر.

ولئن حاول بعض ممارسي التحقيق، ومن لا يمتلكون مؤهلات كافية، مجازة المبدعين في انجازاتهم فإن التوفيق لن يكون من نصيبهم،

وهيئات ان تلحق اعمالهم بالمنجزات المبدعة، فتختلف عنها بشوط كبير، وشتان ما بين مبدع ومقلد. لهذا يغدو كل عرضٍ معياراً اميناً وميزاناً دقيقاً لقياس القدرات والقابليات العلمية وللمعرفة مقدار الخزین الفكري ومستوى الخلقة الفكرية ومدى الجدية ومنهج واسلوب العمل والمستوى العلمي لكلّ محققٍ على انفراد. ولا يتوقف الحكم، بطبيعة الحال، على كمية المعرض فحسب، وإنما على محتواه ايضاً، فيينظر الى مستوى الافكار ودقة التحاليل واصالة الاستنتاجات، وإن ذاك تشمخ انجازات مبدعة وتهبط محاولات متطفلة. وعلى هذا الاساس يشكل هذا الجزء من مقدمة المحقق الجاد المبدع اضافات بالغة الاممية تطمح أن لا يبلغ باحثونا مستواها فحسب، بل ويتجاوزونها الى انجازات افضل واسمى منها.

يجد دارس مقدمة كتاب (**الخرج وصنعة الكتابة**) بان الجزء المخصص فيه للحديث عنه لا يتناسب والأهمية التي يتميز بها مثل هذا السفر النفيس، فلم يخصص سوى صفحتين ونصف فقط. ومع ان الحديث قد اقتصر في هذا الجزء على كتاب الخراج دون سواه من مؤلفات قدامة بن جعفر الاخرى، والتي استعرضتها المقدمة وناقشناها آنفاً قلة الصفحات المخصصة عن عدم الرغبة في التوسيع بالحديث عن كتاب الخراج، حيث يتطلب الحديث عنه التطرق الى اسلوب قدامة بن جعفر المتميز وطريقة بحثه ومصادره التي استعان بها، وهي كثيرة وذات اختصاصات مختلفة موزعة بين الفقه والتاريخ والجغرافية: الاقليمية والبشرية والفلكلية، والاحصاء والامور الادارية

وغيرها، كما يقتضي الحديث عن اختلاف المؤلف في بحثه لموضوع الكتاب عن سابقيه من مؤلفي الخراج كأبي يوسف ويحيى بن آدم وأبو عبيد القاسم بن سلام، والاثر الذي تركه هذا الكتاب فيما بعد، في مؤلفات لاحقة.

لقد استهل الحديث عن الكتاب بأراء واقوال بعض المؤلفين [ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٩٨، وابن الجوزي، المنتظم، ج ٦، ص ٢٨٠، وابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٣٢٠، والمطربزى، الايضاح في شرح مقامات الحريري، ص ٣٣، وياقوت الحموي، معجم الادباء، ج ١٧، ص ١٤-١٢]<sup>٤١٤</sup> وقد احتلت اقوالهم وأراوهم اوسع رقعة من المساحة المخصصة للحديث عن كتاب الخراج بحيث انحصر كلام السيد المحقق من جرائها واقتصر على بعض جمل لا تخرج عما اقتبسه من اقوال ولربط المقتبسات بعضها ببعض، ونورد ادناء حديثه عن كتاب الخراج. قال السيد المحقق: ((كتاب الخراج وهو من الكتب الجيدة التي الفها قدامة بن جعفر، ومن الكتب الحسان<sup>٤١٥</sup> وبه يقتدي علماء هذا الشأن<sup>٤١٦</sup> فمن طالعه

<sup>٤١٤</sup> المصدر نفسه، ص ٣٤٨.

<sup>٤١٥</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ١٠-١١، والهؤامش ١، ٢، ٣، ٤، ٥.

<sup>٤١٦</sup> المصدر نفسه، ص ١٠، وأشار في الهؤامش رقم (١) إلى النجوم الزاهرة، لابن تغري بردي، ج ٣، ص ٢٩٨، وياقوت الحموي، معجم الادباء [ارشاد الاريب]، ج ١٧، ص ١٤.

عرف غزارة فضله وتبصره في العلم<sup>٤١٧</sup>. واتى فيه بكل ما يحتاج الكتاب اليه، هكذا وصفه الاقدمون (كتاب الخراج وصناعة الكتابة). وقد رتبه قدامة على ثمان منازل -وقيل تسع منازل- خصص كل منزلة لبحث موضوع مستقل عن غيره، وقد ايد ذلك جمهرة من الاقدمين. يقول ياقوت وهو يتحدث عن قدامة: ((قال محمد بن اسحاق: قوله من الكتب كتاب الخراج تسع منازل، وكانت ثمانية فاضاف اليه تاسعاً))، وهو يقول ((وله كتاب في الخراج رتبه مراتب واتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه))<sup>٤١٨</sup>. وقال المطرزي، عن قدامة: ((وله تصانيف كثيرة، منها كتاب صنعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة، وهو كتاب يشتمل على سبعة منازل [كذا] وكل منزلة منها تحتوي على ابواب مختلفة ضمته خصائص الكتاب والبلغاء فمن طالعه عرف غزارة فضله وتبصره في العلم))<sup>٤١٩</sup> أن الاستشهاد باقوال مؤرخين قدامي لدعم وجهة نظر معينة أمر ضروري جداً، ولكن ما يلاحظ في هذه المقتبسات اقتضاها وابتعادها عن رسم الصورة الواضحة الحقيقية لمحتوى واسلوب كتاب الخراج،

<sup>٤١٧</sup> المصدر نفسه، ص ١٠، وشار في الهاشم رقم (٢) الى ابن الجوزي، المنتظم، ج ٦، ص ٢٨٠، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٢٠.

<sup>٤١٨</sup> المصدر نفسه، ص ١٠، وشار في الهاشم رقم (٣)، الى المطرزي، الايضاح في شرح مقامات الحريري، ص ٣٣.

<sup>٤١٩</sup> المصدر نفسه، ص ١٠، وشار في الهاشم رقم (٤) الى ياقوت، معجم الادباء [ارشاد الاريب] ج ١٧، ص ١٢-١٤.

مع تداخل كلماتها وشرح السيد المحقق كما لم يراع فيها التقييد بالتسليسل الزمني لاصحابها: فأبن تغري برمدي [ت٨٧٤هـ] وابن كثير [ت٧٧٤هـ] متقدمان على ابن الجوزي [ت٥٩٦هـ] والمطرزي [ت٦١٠هـ] وياقوت الحموي [ت٦٢٦هـ]. إن ماورد في هذه النصوص من اوصاف لكتاب الخارج لاتشكل مرتكزاً أساسياً يمكن الاعتماد عليه لاظهار القيمة الحقيقية لهذا المؤلف فهي تفتقر الى دقة التحريري وعمق الاستنتاج لذا تراها قد لجأت الى الوصف بعمومية مسطحة ذات اقوال هامشية وجمل فضفاضة، فالاقتصار عليها يبخس كتاب الخارج قيمته العلمية ومكانته الرفيعة، ذلك لأن هذه النصوص لا تتعقب في عرض مسائل تتعلق بمحفوبيات هذا السفر الجليل ولا باسلوب تناوله للمواضيع، فكان الانسب في هذا المجال الاعتماد على نصوص اخرى اشادت بالرهافة الفكرية لصاحب المؤلف وبصياغته البليغة وبالمكانة العلمية لهذا الكتاب القيم سواء كان الكلام يخص هذا الكتاب لوحدة بالذات وبشكل مباشر او ضمن الحديث عن مجموع تصانيف قدامة بن جعفر بشكل عام، كالتي اوردناها في القسم الاول عن ابن النديم: ((وكان قدامة احد البلاء الفصحاء وال فلاسفة الفضلاء، ومن يشار اليه في علم المنطق)), وياقوت الحموي: ((و碧ع في صناعتي البلاغة والحساب وقرأ صدراً صالحًا من المنطق وهو لائح على ديباجة تصانيفه)), والمسعودي [نقلنا عنه عبر كتاب: الاعلان بالتوبیخ، ص ٣٢٥، للسخاوي، والكتاب نفسه ضمن مؤلف علم التأریخ، ص ٦٩٣ لروزنثال] الذي قال عنه: ((انه

كان حسن التأليف بارع التصنيف موجز الالفاظ، مقرّباً للمعاني وانظر لكتابه زهر الربيع والخرج تحقق هذا)، فهنا الاشارة صريحة الى كتاب الخراج. لقد اشاد هؤلاء بالتناول الفلسفى للمواضيع المطروقة في مؤلفات قدامة بن جعفر ولم يقصروا حديثهم على الخراج، مع ذكرهم واصداتهم بالتعبير المنطقي المؤطر بالبلاغة. وكان من الافضل كذلك ذكر استنتاجات الباحثين الحديثين عنه كبارتولد وكراتشوفسكي وبروكمان وروزنثال وغيرهم من قيموا كتاب الخراج تقليماً علمياً دقيقاً وقد أتيينا بمجمل آرائهم فيه سابقاً. لم يكن الهدف من تأليف كتاب الخراج وصنعة الكتابة دراسة الأسس الفقهية والقانونية لضربيبة الخراج واساليب استحسالها، كما دابت غالبية المؤلفات المعنية بالقضايا النظرية للخارج، ولاسيما السابقة لهذا المؤلف، كتاب الخراج للقاضي أبي يوسف وكتاب الخراج ليحيى بن آدم القرشي، وإلى حدما كتاب الاموال لابي عبيد، القاسم بن سلام فحسب، وإنما كان قدامة بن جعفر يسعى إلى تحقيق غايات أخرى فانتهيج لذلك سبيلاً مغايراً لهم. وما كان بالامر العسير عليه، لو اراد، اتباع النهج السائد في تناول موضوع الخراج، رغم ابعاده عن اختصاص الفقه، حيث لم يكن من رجاله، لانه كان ذو اطلاع واسع والمأم كافٍ بموضوع الخراج، وبالمؤلفات المذكورة آنفاً، وبآراء أصحابها، وله خبرة وتجربة تطبيقية غنية ومعلومات واسعة دقيقة عن المقادير التي تجبي وطرق جبائها، كما له اطلاع جيد بالاحصائيات والوثائق الرسمية عن كمية الضرائب في مختلف

الامصار الاسلامية، فكان متيسراً له تقليد تلك المؤلفات، لو أراد، على الاقل، بل ربّما تفوق على مؤلفيها، بيد أنه نحن -كما اسلفنا- سبيلاً مغايراً لم يسلكه، لأنّه وضع نصب عينه، كما هو معلوم واضح من محتوى مؤلفه: الخراج وصنعة الكتابة، تهيئة كتاب يعرض فيه ضريبة الخراج، كما هي موجودة ومطبقة فعلًا في مختلف الامصار الاسلامية في زمانه، وهذا هو الهدف الاول من تأليف الكتاب، إما الهدف الثاني فهو بحث الوظائف الكتابية يتناول فيه حرفة الكتابة ومستلزماتها الاساسية في المجال الوظيفي من ناحية سلوكيّة العمل والتأدب والتنقيف الذاتي بالإضافة الى اتقان لغة الكتابة من حسن التعبير والبلاغة والفصاحة، فتطرق الى واجبات كتاب الدواوين وعمال البريد والامصار وكيفية ادائها على الوجه الاكمل وباسلوب بلاغي فصيح، متضمناً توجيهاته وارشاداته المستخلصة من تجاريته الشخصية لاشغاله بوظائف كتابية ومن محصلة ثقافته الواسعة واطلاعه على مؤلفات تُعنى بتوجيهه الكتاب وتنقيفهم وتقويم لسانهم وتحسين اسلوبهم وتآديبهم فقد سبقه في التاليف في هذا الغرض ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم الدينوري [٥٢١٢-٥٢٧٦هـ] صاحب كتاب (ادب الكاتب)<sup>٤٢٠</sup>، ومعاصره الصولي، محمد بن يحيى [ت ٩٤٦هـ/١٣٥٣م]، صاحب كتاب (ادب

<sup>٤٢٠</sup> المصدر نفسه، ص ١٠-١١، وأشار في الهاشم رقم (٥) الى المطربزي، الايضاح في شرح مقامات الحريري، ص ٣٣.

الكاتب)<sup>٤١</sup>، فكان هدفه الاساس ان يصبح مؤلفه دليل عمل ومرشداً وهادياً الى الاساليب البلاغية الرفيعة لى يستعين به موظفو الدولة من كتاب الدواوين وعمال البريد والخارج وسواهم ممن يتطلعون الى العمل في تلك المؤسسات والوظائف الحكومية: قال قدامة بن جعفر، في مطلع الباب الرابع، من المنزلة الخامسة: ((قال ابو الفرج: قد ذكرنا في المنزلة الثالثة، من امر البلاغة ووجه تعلمها وتعريف الوجوه المحمودة فيها، والوجوه المذمومة منها، ما اذا وعي كان الكاتب واقفاً على ما يحتاج اليه، وبيننا في المنزلة الرابعة عند ذكر مجلس الانشاء، وجوهاً من المكاتبات في الامور الخارجية، ينتفع بها ويكون فيها تبصير لمن يروم المكاتبنة في معناها، وقد وجب الان ان نذكر من المكاتبات في الامور التي تخص ديوان الرسائل، ما يكون به مجزياً لمن اراد الكتاب في معناه، وتطريق لمن قصد الكتاب في سواه مما يجري مجرى. واذا وصفنا ذلك واتينا به كنا مع ما تقدم في المنزلتين الثالثة والرابعة قد استوعبنا اكثر ما يحتاج اليه في امر الترسل الذي به قوام هذا الديوان، لانه ليس يجري فيه شئ من الحسبانات، ولا من سائر الاعمال خلال المكاتبات وما يتصل بها ويحتاج المتولى له الى ان يكون متصرفاً في جميع فنون المكاتبات،

---

<sup>٤٢</sup> تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط٤، القاهرة، ١٩٦٣ م.

واضعاً لما ينشئه في موضعه، إذا كان للوزير أن يأمر بالمكاتبنة في كل فن من فنون المعرفة<sup>٤٢٢</sup>.

فلا غرو إذن من تجاوز صاحبنا، قدامة بن جعفر، الاطر المألوفة والاساليب المتتبعة في معالجة موضوع الخراج، لأنّ مبتغاه غير ماسعي إليه سواه، بيد أن هذا الخروج، عن المألف ما كان نشازاً وإنما كان انجازاً ابداعياً، وما كان متيسراً لغيره بقدر ما كان هيئاً عليه، لخصوصيات تفرد بها (١) كان -بالاضافة إلى رهافته وفصاحته البليغة - من المتعقمين بالفلسفة والمنطق والادب لذا عده القدماء - كما مرّ بنا- من الفلاسفة والفضلاء والفصحاء والبلغاء، (٢) يمتلك خزيناً ثراً من المعلومات التاريخية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية، (٣) له خبرة وتجربة بالأمور الادارية والكتابية وبشئون الخراج من الناحيتين: النظرية: لاطلاعه لفترات طويلة على الوثائق والاحصائيات الرسمية الخاصة بالخارج، بحكم اشتغاله بوظائف ذات علاقة بالخارج ، فهو يشير إلى الاحصائيات عند توفرها: قال، عند كلامه عن الخراج السود [في العراق]: ((ولنبدأ بذكر ارتفاع السود بحسب، ما هو عليه في ذلك الوقت وعلى عبرة سنة مائتين واربع، وهي اول سنة يوجد حسابها في الدوادر بالحضره، لأن

الدواوين احرقت في الفتنة التي كانت في ايام الامين<sup>٤٢٣</sup>) ، (٤) له موهبة فذّة في حسن الافادة والتوليف الجيد لمكتنوزاته العلمية وخبراته التجريبية، (٥) كما كان عند اتمام تأليفه لكتاب الخراج وصنعة الكتابة [ حوالي ٩٢٨هـ/١٣٦٤م]<sup>٤٢٤</sup> قد بلغ الحادية والخمسين من عمره، فهو اذن في تمام نضجه الفكري وتحصيله العلمي واتزانه الشخصي وتكامل قدراته على العطاء الشر الجيد، لهذا نجده قد وفق ببراعة في ربط المسائل الاقتصادية بالاحداث التاريخية المدعمة بالتفاصيل الجغرافية والاحصائيات والوثائق الرسمية حتى نال مؤلفه الخراج وصنعة الكتابة تثميناً عالياً من قبل جمهرة من العلماء والباحثين، كما قد نقلنا في القسم الاول نصوصاً كاملة لاقوالهم، ونجز ا الان، بتصرّف، بعض ما يخص تثمين الكتاب فقط: فنرى العالم بارتولد، الدقيق في احكامه، يثنى عليه وقد اعتمد في مناسبات عدّة، كما مرّ بنا، في بحوثه عن جغرافية مناطق وبلدان شرق الخلافة، ولاسيما اواسط اسيا حتى حدود الصين، وإعتماده على التسميات الواردة فيه بنفس مستوى اعتماده على كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة. وقد اطلق بارتولد على ابن خرداذبة وعلى قدامة بن جعفر بالجغرافيين العرب. اما كراتشکوفسکی وبروکلمان فقد اشادا بكتاب الخراج وصنعة الكتابة، كمؤلف جغرافي، لما اكتسبه من قيمة علمية

<sup>٤٢٣</sup> كتاب الخراج، المعطيات السابقة نفسها، ص ٣٧.

<sup>٤٢٤</sup> المصدر نفسه، ص ١٦٢.

بالغة الاهمية وللطريقة التي وظفت فيها المعلومات التاريخية والجغرافية لشرح ادارة الاموال العامة ونظام البريد<sup>٤٢٥</sup>، ونظراً لأهمية الفتوحات الاسلامية كما يرى روزنتال - في تقديمها الاساس القانوني لنظام الضرائب الاسلامية، كما ان ادلتها بذات الوقت كانت تستنتج من قبل الباحثين في قضايا الضرائب عند اللزوم<sup>٤٢٦</sup> ، فقد اشار كلُّ من كراتشتكوفسكي وبروكلمان الى اهمية استعانة قدامة بن جعفر بتاريخ الفتوح الاسلامية، وبينما ان ذلك الاعتماد كان على البلاذري ولاسيما فتوح البلدان. بيد أنَّ روزنتال - وهو يحاول التوسع في إظهار نضوج التفكير التاريخي والاجتماعي ونفوذه في النظريات الاقتصادية الاسلامية، وخير ما يمثله، في نظره، كتاب الخراج وصنعة الكتابة، الذي اختلف فيه قدامة عن كتب الخراج السابقة: للقاضي أبي يوسف ويحيى بن آدم او كتاب الاموال لابن سلام في استخدامه فصلاً طويلاً عن تاريخ الفتوح الاسلامية، ذكر روزنتال بأنَّ بحث الفتوحات ضمن كتاب الخراج لقدامة يقوم على أساس آخر، غير التي ذكرت اعلاه، فقد كان قدامة بن جعفر يريد بمزجه دراسة الضرائب بالتاريخ، أنْ يوسع ميادين البحث التاريخي، كما حدث من من

<sup>٤٢٥</sup> انظر: حول ذلك، دى غوية، المقدمة الفرنسية، لكتاب المسالك والممالك، المعطيات السابقة نفسها، ص ٢٢، كراتشتكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، المعطيات السابقة نفسها، ١٦٥/١.

<sup>٤٢٦</sup> تاريخ الادب الجغرافي العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٦-١٦٥/١، تاريخ الادب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٤/٢٤٣.

الجغرافية بالتاريخ آنذاك مثلاً<sup>٤٢٧</sup>. ولما كان كتاب الخراج لقدامة بن قد خرج عن نطاق الاختصاص الضيق وتناول أموراً أخرى بنفس العناية والاهتمام، فقد أظهر روزنثال أهمية ذلك التناول، فنراه يقول بأن قدامة بن جعفر لم يضف فصلاً طويلاً عن الفتوح فحسب، وأنما ضمّ كتابه أيضاً فصلاً عن الآداب يتضمن جميع المعلومات التقليدية عن ارسطو والاسكندر وانوشروان.. الخ. كما انه ضمّن كتابه فصلاً منتظماً عن العلوم الاجتماعية والسياسية، حيث يتكلم بهذه المناسبة عن سبب حاجة الناس إلى الطعام واللباس والتناسل والمدن بتنظيماتها الاجتماعية والنقود والملوك والقادات الذين ينبغي ان يتحلو بصفات خاصة ويتبعوا سياسة معينة وتكون لهم مجموعة خاصة من المستشارين السياسيين<sup>٤٢٨</sup>.

تدل هذه التقييمات العلمية المهمة لعلماء كبار مختصين على المكانة العلمية التي بلغها هذا السفر الجليل وعلى تنوع حقول المعرفة التي تضمنها مما يشير إلى سعة مدارك وعظم خزین مؤلفه، قدامة بن جعفر.

نكتفي بهذا الغيض من فيض التثمين الذي ناله كتاب الخراج وصنعة الكتابة لأنّ هدفنا من ايراد هذه الاقوال، هنا، هو للمقارنة مع

<sup>٤٢٧</sup> علم التاريخ، المعطيات السابقة نفسها، ص ١٦٤.

<sup>٤٢٨</sup> المصدر نفسه، ص ١٦٤.

اقوال المقدمة اولاً، ولللافادة منها في توضيح ورسم منهج نقدي لاستعراض المؤلفات ثانياً.

لكي يصبح مساره وبيان منهجه. فيجب، عند نقد المحققين على أحاديثهم عن الكتب التي حقيقوها، أن تحدد المحاور الأساسية او الاسس الارتكازية لهيكل بناء احاديثهم وكذلك تحديد جملة نقاط مهمة يجب توفرها في كل محور او مرتكز وتجري المحاسبة عن كل اغفال او اهمال او تقصير لهذه المحاور والاسس والنقاط، والتي هي:  
**أولاً: الحديث عن محتوى الكتاب المحقق:** وفي هذا الحديث يفترض ان يتناول المحقق، بتكتيف مركز، محتوى او محتوياته، ان كان يعالج مواضيع متعددة، كما هو الحال مع كتاب الخراج وصنعة الكتابة، الكتاب مجزءاً على فصوله، فيبحث فيه ماهية الموضوع وطبيعته بالذات وهل كان متمكناً من اداء الموضوع حقه؟ ام قصر باعه عن ذلك؟ مع اظهار مواطن القوة والضعف في البحث وأسبابها. وهل أن الموضوع هو من اختصاص المؤلف وله دراية جيدة به وله ممارسة علمية او عملية او حتى وظيفية؟ ام ان هذا الموضوع طارئ وبعيد عن اهتماماته او اختصاصه؟ وهل كان انصرافه الى التأليف في هذا الموضوع قد تولد لديه بناءً على رغبة ذاتية وحاجة ملحة ام مسايرة ورغبة طارئة وشباعاً لهواية التأليف؟. كما يفترض في المحقق ان يجري مقارنة بين محتوى الكتاب المحقق من قبله وبين محتوى مؤلفات اخرى مشابهة له في موضوعه، وفي هذه الحالة يتوجب عليه بيان الفروق المميزة وأسبابها، إن وجدت.

**ثانياً:** الكلام عن اسلوب الكتاب: ويفترض ان يتحدث المحقق فيه عن الاسلوب الذي الف فيه المؤلف كتابه آخذاً بعين الاعتبار امور عده منها: الاسلوب السائد في عصر المؤلف، والتمييز بين الاسلوبين العلمي والادبي، ومدى التأثر بالمنطق الفلسفى في التعبير، ومقارنة اسلوب الكتاب المحقق مع اساليب مؤلفات مشابهة له في موضوعه، مع بيان متانة او ضعف اسلوب الكتاب المحقق من النواحي اللغوية والبلاغية والتعبيرية.

**ثالثاً:** مصادر الكتاب: ويفترض ان يتناول المحقق مصادر الكتاب الاساسية التي اعتمدتها المؤلف في كتابة مؤلفه ومدى افادته وتأثره بها واختلافه معها مع بيان اسباب الاختلاف او التشابه.

**رابعاً:** المؤثرات والاثار: يفترض ان يتحدث المحقق هنا عن المؤثرات التي وقع تحت تأثيرها المؤلف عند التأليف ويدخل في سياق هذا الحديث الكلام عن الوضع العام إنْ كان مشجعاً على التأليف وتتوفر فيه الحرية الفكرية، وإلى اي مدى، أمْ كان مثبطاً يعيق التأليف، فيتحدث عن الضغوط والارهادات كما يتحدث عن المحفزات والاغراءات والدوافع الحقيقة للتأليف وعن التأثير الحرف او المهني، انْ وجد، كما يفترض الحديث عن الاثر الذي تركه الكتاب النظري والتطبيقي، في المؤلفات اللاحقة المشابهة له وفي مجال مهنة المؤلف.

**خامساً:** مكانة الكتاب العلمية: ويفترض الحديث فيه عن القيمة العلمية للمؤلف، فيتحدث عن اهمية المؤلف وهل شكل اضافة علمية

وهل كان عملاً ابداعياً اصيلاً ام هو تكرار وتقليد واجترار؟ وain ظهرت اهميته ومجال الافادة منه؟ في النواحي العلمية؟ الادبية – كأسلوب بلاغي؟ التطبيقي؟.. الخ، وما هو تقييم العلماء له؟ ستكون هذه المحاور والاسس ونقطتها – ولاشك- محكاً لقدرات وقابليات المحقق العلمية، فعلى ضوئها يتم تقييم كل محقق على ماقدم بانصاف، حيث تكشف بودقة الاختبار النقدية مدى تضلع المحقق باختصاص ماقام بتحقيقه او ابتعاده عنه، لانه إذا كان محيطاً بمحتويات الكتاب المحقق وبما يتعلق به فسيتناول المنطقات المشار إليها اعلاه بكاملها وبجميع نقاطها بحدث مفعما بالاستنتاجات والافكار العلمية الناضجة الجديدة، وأما إذا كان ضحلاً و بعيداً عن اختصاص الكتاب المحقق فانه سيستوجهه بالتعكّز على بعض الاقوال والاراء بحق الكتاب او مؤلفه تعود لآخرين، او يحجم احجاماً واسعاً او كلياً عن رفد هذا المجال من الحديث بما هو جديد و مهم ونافع.

يصبح، إذن، على ضوء المنطقات المذكورة اعلاه، الحكم على اعمال المحققين في مجال حديثهم عن المؤلفات المحققة من قبلهم يسيراً وسهلاً للغاية. كما سيميز، بثقة اكبر، بين الغث والسمين من تلك الاعمال، فتجئ الاحكام بشأنها منصفة اكثر نسبياً، لأنَّ النقد يكون مقتربنا بالبرهان واليقين، فالحكم يكون على ما يقدمه كل فريق وهو به رهين.

إنَّ هذا النهج النطدي، وإنْ كان اكثراً تطبيقاً على حديث المحققين عن الكتب المحققة من قبلهم فإنه يصح اعتباره منهجاً عاماً للنقد

يُطبق أيضًا على ما يكتبه مستعرضو الكتب المنشورة، المحققة وغير المحققة، سواء بسواء، مع فارق بسيط هو أنّ مقاضاة ومحاسبة المحققين تكون بدقة وشدة أكثر، لأن التحقيق الجيد يتطلب إحاطة المحقق باختصاص الكتاب المحقق وبما يتعلق به من النواحي كافة وهذا الشرط لا يجري حكمه على كلّ مستعرض لكتاب، وإنْ كان يفضل توفره في الجميع.

#### وصف المقدمة للمخطوط:

أعتاد كثير من المحققين المحدثين التحدث عن المخطوط المحقق من قبلهم، بغية تسلیط الأضواء على معالجاتهم معه، وعلى بعض الأمور التقنية والفنية الخاصة بالمخطوط، والتي ليس لها علاقة بمحتوى وأسلوب النص وإنما تتعلق بالمخطوط ذاته كتأريخ ظهوره لأول مرة حتى نشره، بعد التحقيق، كمطبع. وهذه الامور لا تدرج، طبعاً، في نص الكتاب عند طبعه بل تأخذ مكانها في المقدمة. ويترك أمر تقدير ذلك إلى المحقق نفسه إن شاء أدخلها ضمن المقدمة او يهملها، غير أن رفد المقدمة بالمعلومات الضرورية عن المخطوط هو من التقاليد العلمية السائدة. تشمل المعلومات التي يحرص المحققون على نشرها أموراً متعددة كثيرة منها: ذكر اسم الناشر الأول للمخطوط، او النسخ، إنْ كان للمخطوط نسخ عديدة، ومعه يذكر تاريخ الاستنساخ ونوعية الخط الذي كُتب به المخطوط وعدد النسخ المخطوط الموجودة في العالم، وأيّها أصلية، أيّها مستنسخة او مصورة عنها، وما ميزات كل

نسخة، وأيّ منها الصحيح الدقيق والممكن الاعتماد عليه؟ مع ذلك ارقم ومحل الاحتفاظ بها [في مكتبة، متحف، مركز الوثائق والمخطوطات، اقتناء شخصي.. الخ]، ونوعية الخط الذي كتبت به هذه النسخ، وهل النسخ بخط واحد؟ ولناسخ واحد؟ أم هناك نسخ مختلفة في خطوطها وفي مضامينها، من ناحية الكمية، الزيادة او النقصان؟ كما يتحدث المحقق عن نوعية الورق المستعمل وسمكه ومقاسه وعدد الاسطرون في كل صفحة. وكذلك يتحدث ايضاً عن امور تخص التحقيق فيذكر التحقيقات السابقة، انْ وجدت، ومن قام بها؟ وain جرى التحقيق؟ وعلى أيّة نسخة؟ ومتى؟ وهل شمل التحقيق السابق المخطوط كله؟ أم قسماً او جزءاً منه؟ وهل نشر التحقيق السابق في كتاب؟ في ملحق؟ في حولية؟ في مجلة؟

تختلف الاوصاف التي يقدمها المحققون -من دون شك- في مستوياتها، فنجد المحقق المتمرّس والمتيّع لاصدارات مكتبات العالم من فهارس ومعاجم المخطوطات والمطبوعات، حريصاً على الاحاطة بوصف المخطوط من كافة جوانبه وبشكل جيد، فيقدم عرضاً مناسباً وممتعاً ونافعاً عنه. كما يقدم بعضهم اضافة الى ذلك نماذج مصورة لبعض صفحات المخطوط، عادة البداية والنهاية، كما يشير البعض الى الصعوبات التي واجهته عند قراءة اسماء وتعابير واحياناً جملأ محرّف او مطموسة او مفقودة او مخطوطة او مبتورة ونصوصاً غامضة او مشوشة او محرفة نتيجة تلاعب ايدي عابثة او غير مسؤولة في ذلك مع بيان اجتهاداته في التوصل الى صيغ صحيحة

او مقاربة مع بيان الاختلاف بين النسخ في التسميات وأيها يُفضل. وفي نسق هذه الامور جاءت المحاولة في مقدمة كتاب (الخارج وصنعة الكتابة) لوصف مخطوط هذا الكتاب، بيد أنَّ الوصف لم يأتِ بمستوى الطموح للثغراتِ تخللته حالت دون ذلك نوردها أدناه مع بعض الملاحظات:

أولاً: يعوز الوصف المقدم عن نسخة المخطوط، المحفوظة في مكتبة فؤاد كوبيريلي بالاستانة، التحديد الدقيق حيث ورد كلام بروكلمان فيه متصلًا ببقية الوصف عن هذه النسخة من المخطوط، فقد كتب في بداية الوصف القول التالي: ((ذكر بروكلمان ان هناك نسخة مخطوطة من كتاب الخارج بمكتبة كوبيري بالاستانة. وقد كتبت هذه النسخة بخط نسخي من القرن التاسع عشر يحتوي على ٢٥٣) ورقة، مقاييس  $17 \times 25$  سم، ويبلغ عدد الاسطر في كل صفحة (١٧) سطراً. وقد تميزت بخطها الجميل الواضح الحالي من النقاط)).<sup>٤٢٩</sup> . ففي هذه الجملة لا يوجد تحديد واضح لقول بروكلمان

لانه:

(١) لم يحصر بين حابستين، كما جرت العادة عند نقل نص مباشرة، حتى يُبان مبتدأه ونهايته، فالوصف الذي جاء بعد كلمة الاستانة يحمل افتراضي فأما ان يكون لبروكلمان لأنَّ الجذادات متصلة او لا يعود له.

---

<sup>٤٢٩</sup> المصدر نفسه، ص ١٦٥.

(٢) لم يُهمش الكلام العائد لبروكلمان، ولم يرد في هامش الصفحة (١٢) اي ذكر لبروكلمان او لمؤلفه، النص الالماني او الترجمة العربية، الذي نقل عنه النص الوارد في هذا الوصف، كما لم يذكر بروكلمان ولامؤلفه في ثبت المصادر مما يولد انطباعاً بان هذا القول مقتبس من وسيط آخر وليس من مؤلف بروكلمان مباشرة، ولدى رجوعنا الى النص [الذى نقلناه عن بروكلمان في القسم الاول من هذا البحث] في تاريخ الادب العربي، المترجم للعربية، [٤/٢٤٣] وجدها يتحدث عن كتاب الخراج على الصورة التي نقلناها سابقاً وفي نهاية حديثه يقول: ((... ومنه نسخة مخطوطة في كوبيريلي ٦١ Dim ٦١). فهذا هو حديث بروكلمان عن المخطوط بأكمله لا زيادة ولانقصان. وأما بقية وصف المقدمة فلا علاقة له ببروكلمان. نعيد القول بأنه كان من الضروري تهميش كلام بروكلمان وحصره بين حابستين ووضع رقم الهامش اعلى {فوق} كلمة الاستانة ثم المباشرة ببقية الوصف بعد الحابسة الحاصرة لقول بروكلمان.

ثانياً: جاء في بداية الصفحة ١٣، من المقدمة مايلي: ((وقد استنسخ شار شيفر المجلد الباقي من كتاب قدامة، وهي النسخة من المخطوط موجودة بدار الكتب الوطنية بباريس تحت رقم ٥٩٠٧. في فهرس مكتبة باريس صفحة ٣٨٧ الذي هو من اعداد جورج فاجد - G. Vajda<sup>٤٣</sup>). أعتقد أن تسمية ما استنسخه شار شيفر (١٨٢٠-

---

<sup>٤٣</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ١٢.

١٩٠٢م) بالجزء او القسم المتبقى افضل من تسميته بالمجلد الباقي لان قسماً [اربع منازل] من المخطوط ضائع وقسم آخر حققه فيما بعد دى غويه ونشره في عام ١٨٨٩م، والكتاب كله مجلد واحد وان كان مجزءاً الى منازل، فهو لا ينقسم الى مجلدات. كما ان المستشرق الفرنسي فايدا المولود عام ١٩٠٨م، G. Vajda، والافضل تسميته فايدا -كما هو متعارف عليه<sup>٤٣١</sup>- وليس فاجدا، كما جاء في وصف المقدمة، قد وضع كشافاً للمخطوطات العربية في مكتبة باريس الوطنية<sup>٤٣٢</sup> وليس فهرس مكتبة باريس. فهناك فرق واضح، ولاشك، بين كشاف المخطوطات العربية في المكتبة وبين فهرس جميع كتب المكتبة الوطنية بباريس لقد سبق لفايدا ان نشر فهرس المخطوطات العربية في الجمعية الآسيوية بباريس [نشره في المجلة الآسيوية، العدد ٢٣٨، سنة ١٩٥٠م]<sup>٤٣٣</sup>. أعتقد على ضوء ما بيناه اعلاه- ان تعبير (في فهرس مكتبة باريس الوطنية) غير دقيق وكان الواجب ان يذكر على هذه الصورة: في كشاف المخطوطات العربية في مكتبة باريس الوطنية. هذا مع العلم ان نجيب العقيقي الذي اورد آثار المستشرق الفرنسي شار شيفر العلمية في مجال الابحاث الاستشرافية في الجزء الاول من مؤلفه، المستشرقون<sup>٤٣٤</sup>، لم يشير الى

<sup>٤٣١</sup> المصدر نفسه، ص ١٣.

<sup>٤٣٢</sup> انظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، المعطيات السابقة نفسها، ٢٢٢/١.

<sup>٤٣٣</sup> المصدر نفسه، ٣٢٢/١.

<sup>٤٣٤</sup> المصدر نفسه، ٣٢٢/١.

استنساخ شارل شيفر من مخطوط الخراج وصنعة الكتابة لقدامة بن جعفر.

ثالثاً: برأ لي، وانا أتمنى أن اكون مخططاً في ظني، عند قراءة هذا النص: ((وقد اختار دى غوية، نبدأ منها وطبعها في نهاية كتاب المسالك والممالك، لأن خرداذبة في ابريل ١٨٨٩م))<sup>٤٣٥</sup> بان المقدمة قد توهمت، في كلمة (Brill) فظننت بأنها (أبريل April) اي شهر نيسان، كما نسميه نحن في العراق، لأن شهر نيسان يسمى بالافرنجية وفي بعض الدول العربية، ومنها مصر، ابريل بينما كلمة Brill هي اسم ثان اطلق على مطبعة ليدن، ذلك أن مطبعة ليدن الهولندية التي أنشأها المستشرق الهولندي [إربانيوس Erpenius Th ١٥٤٨-١٦٢٤م] من ماله الخاص ووضعها في داره كانت تحمل اسم مطبعة ليدن فقط، وقد انتقلت ادارتها من يد لاخرى حتى آلت في عام ١٨١٢م الى ادارة المستشرق E. J. Brill فتولى ادارتها ومن بعده ابنته فحملت المطبعة منذ ذلك التاريخ اسم Brill<sup>٤٣٦</sup> الى جانب اسمها الاول مطبعة ليدن، واصبحت تُعرف بمطبعة ليدن/ Brill. غير ان البعض يختصر ذلك فيكتفي بذكر احدهما. إما ليدن واما Brill لشهرتهما، ومن تسمية Brill وحسب ظني جاء الخلط فظن بأن Brill هو تحريف لابريل فصحّ حسب هذا الاعتقاد. لقد ذكر السيد

<sup>٤٣٥</sup> المصدر نفسه، ١/٢٠٧-٨.

<sup>٤٣٦</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ١٣.

المحقق تأريخ طبع كتاب المسالك، هنا، والذي هو ١٨٨٩م، بشكل صحيح ولكن عند ادراجه في ثبت المصادر، باخر الكتاب، تسلسل ١٥، ص ٤٨٨، ذكر عام ١٨٨٨م وهذا خطأ طبعاً. فلاندرى متى يستقر رأيه على تثبيت تأريخ طبع كتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة؟ واي التأريخين هو الصحيح في نظره؟

رابعاً: ذكرت المقدمة بان المنزلة السابعة التي تتعلق بالضرائب قد صورت في لندن ١٩٦٥ دون تحقيق -على نسخة كوبولي مع مقدمة بالانكليزية- واصرحت في كتاب سمّي الضرائب في الاسلام<sup>٤٣٧</sup>. كان من المفيد ان يذكر مع هذه المعلومات المفيدة اسم دار النشر التي صدر عنها الكتاب لكي يسهل الاتصال بها لمن يرغب اقتناه. لم يكن القول: (بان المنزلة السابعة التي تتعلق بالضرائب) دقيقاً للغاية، صحيح ان هذه المنزلة تتحدد عن الاموال التي تجبي للدولة بشئ من التفصيل عند الكلام عن كل ضريبة من الضرائب المختلفة ولكن قدامة بن جعفر قد تحدّث في المنزلة السادسة ايضاً عن الواردات [ما يُرفع أو ارتفاع -حسب تعبير ذلك العهد] من كل مصر او اقليم في البلاد الاسلامية بشكل عام وذلك في البابين السادس [ص ١٥٩-١٨٤] والسابع [ص ٢٠٠-١٨٥] من المنزلة السادسة.

---

<sup>٤٣٧</sup> نجيب العقيقين المستشرقون، المعطيات السابقة نفسها، ٦٤٩/٢-٦٥٠ و ٦٥٣-٦٥٤.

خامساً: لم تحدد المقدمة بشكل دقيق نسخة المخطوط المعتمدة اساساً في التحقيق وإنما اكتفت بذكر وجود ثلاث نسخ للمخطوط في القاهرة وهي مصورة عن نسختي الاستانة وباريس الأصليتين، موجودة في القاهرة، المكان المرجح للتحقيق، كما توسيع المقدمة في وصف النسخ المصورة الثلاث كما تکثر الاشارة في الهوامش النص المحقق الى هذه النسخ الثلاث، مما يدلل ويرجح استخدامه في التحقيق دون نسختي الاستانة وباريس الأصليتين. يلاحظ المدقق لاوصاف نسخة الاستانة الأصلية ونسختي القاهرة، الثانية والثالثة، المصورتين عنها، فرقاً واضحاً في عدد الوراق يبلغ (٣٨) ورقة. ورغم ان هذا الفرق ليس بالقليل الا أن المقدمة طوت كشها عنه فلم تتحدث عنه. فقد جاء في وصف المقدمة لنسخة كوبيرلي [الاستانة] الأصلية مايلي: ((وقد كتبت هذه النسخة بخط نسخي من القرن التاسع عشر يحتوي على (٢٥٣) ورقة، مقاس ٢٥×١٧ سم ويبلغ عدد الاسطرا في كل صفحة (١٧) سطراً)).<sup>٤٣٨</sup> بينما ذكرت المقدمة عن نسختي القاهرة الثانية والثالثة المصورتين عنها مايلي: ((أما النسخة الثانية فمصورة عن الاصل المحفوظ بمكتبة كوبيرلي بالاستانة. أما النسخة الثالثة فمصورة عن النسخة الثانية (نسخة كوبيرلي) لدار الكتب المصرية، موجودة هذه النسخة مصورة في معهد مخطوطات الجامعة العربية تحت رقم (١٠٧٦) تاريخ .<sup>٤٣٩</sup>

---

<sup>٤٣٨</sup> كتاب الخراج، المقدمة، المعطيات السابقة نفسها، ص ١٣.

وتحتوي على (٢١٥) ورقة في كل ورقة (١٧) سطراً كتبت بخط نسخ جميل<sup>٤٣٩</sup>.

يفترض أن تكون نسختا القاهرة الثانية والثالثة متطابقتين مع نسخة الاستانة الأصلية لأنهما مصورتان عنها ولكن التدقيق يكشف -كما نوهنا أعلاه- بأن هنالك فرقاً في عدد الأوراق يبلغ (٣٨) ورقة لأن النسخة الأصلية التي في الاستانة يبلغ عدد أوراقها (٢٥٣٩) ورقة بينما يبلغ عدد أوراق النسخة الثانية (٢١٥) ورقة وكذلك الثالثة {المصورة عن الثانية} (٢١٥) ورقة.

لم تشا المقدمة الأفصاح عن سبب وجود هذا الفرق وما هو تأثيره وain موقعه؟ ترد في الصفحة الخامسة عشر ملاحظة عامة تقول: ((يوجد في مخطوط كوبيرلي نقص واكملا من كتاب فتوح البلدان. فيه عدد الأوراق غير متسلسلة ارقامها)). لكن هذه الملاحظة يمكن اعتبارها خاصة بنسخة كوبيرلي [الاستانة] الأصلية وبالتالي تشتمل نسختي القاهرة المصورتين عنها، فإذا كان كذلك فإن نقص الـ(٣٨) ورقة في نسختي القاهرة، الثانية والثالثة يأتي ضغفنا على إbalance -كما يقول المثل- اذ تتحمل الأصلية مضافاً اليه نقصاً آخر ومقداره (٣٨) ورقة. لقد ذكرت المقدمة بأنَّ النقص الموجود في نسخة كوبيرلي قد امكن تلافيه من كتاب فتوح البلدان للبلاذري، ولكن ماذا عن الـ(٣٨) ورقة؟ فقد لزمت الصمت عن مصيرها مما

<sup>٤٣٩</sup> المصدر نفسه، ص ١٢.

يشكل نقطة عليهم، علماً بأن النسختين متشابهتان لأن الثالثة قد صورت عن الثانية، كما أشار المحقق ان يبيّن اين موقع هذه الاوراق؟ وفي أي باب؟ وفي آية منزلة؟ كما لم يشر الى النص الموجود في نسخة كوبيريلي الاصلية، بشكل محدد ودقيق، فالاشارة الواردة عن النص في النسخة الاصلية عامة، لا تحدد موقع هذا النص في محتوى كتاب الخارج. ليس عسيراً من ينشد الكمال لعمله ان يسعى للحصول على مصادره الاصلية، وان تطلب ذلك مالاً وجهداً وزمناً كثيراً، فكان ممكناً الحصول على صورة جديدة لنسخة مخطوط مكتبة فؤاد كوبيريلي بالاستانة الاصلية لكتاب الخارج ومطابقتها مع نسختي القاهرة المصورتين لمعرفة موقع نص (٣٨) ورقة الموجود في نسختي القاهرة والأعتماد على النسخة الجديدة المضورة فقط لانه ليس من السهل مطابقة نسختي القاهرة المصورتين مع نسخة كوبيريلي الاصلية الا إذا جمعت النسخ بعضها مع بعض مع العلم بأن عدداً من الأوراق الناقصة في نسختي القاهرة مجهولاً، ويشكل هذا النص ثغرة واسعة، لانعلم هل تم تلافيها؟ وبالاعتماد على من؟ هل على نسخة شارل شيفر (باريس)؟ أم على نسخة كوبيريلي الاصلية؟ أم من كتب تراثية؟

يوجد اخيراً، فيما يخص وصف المقدمة: استفسار اكثر مما هو ملاحظة نقدية، فقد ذكر السيد المحقق عند كلامه عن نسخة القاهرة الثالثة المصورة بانها موجودة في معهد مخطوطات جامعة الدول

العربية تحت رقم (١٠٧٦) تاريخ<sup>٤٤٠</sup>، ولكن الرقم (١٠٧٦) الذي ذكره السيد المحقق على انه رقم تسلسل هذه النسخة في مجموعة مخطوطات معهد مخطوطات جامعة الدول العربية هو نفسه الرقم الذي ذكره بروكلمان لنسخه مخطوط الكتاب المحفوظة في مكتبة فؤاد كوبيريلي بالاستانة إذ كتب بروكلمان -وكما نقلناه سابقاً مرات عدّة- مانصه بالحرف الواحد: ((ومنه نسخة مخطوطة في كوبيريلي ١٠٧٦))<sup>٤٤١</sup>. فلاندري هل ان معهد مخطوطات جامعة الدول العربية قد أبقى رقم مخطوط مكتبة كوبيريلي ١٠٧٦ نفسه؟ أم حصل التطابق بطريق الصدفة بين ترقيم معهد مخطوطات جامعة الدول العربية وبين ترقيم مكتبة كوبيريلي للمخطوطة نفسه؟ أم أن هنالك اشتباهاً وقع فيه السيد المحقق؟



<sup>٤٤٠</sup> المصدر نفسه، ص ١٣-٤.

<sup>٤٤١</sup> تاريخ الادب العربي، المعطيات السابقة نفسها، ٢٤٣/٤.

## الفهرست

المقدمة	القسم الأول	المقدمة
		القسم الأول
٥		
		توطئة
١١		
		تحقيق كتاب الخراج لقادة بن جعفر
١٤		
		دور الخبير المستشار في تلقي العثار
١٩		
		بعض ما كتب عن قدمة بن جعفر وعن الخراج
٢٧		
		تعقيب
٥١		
		قدامة بن زياد
٥٧		
		جعفر بن قدامة بن زياد
٦٥		
		مؤلفو الخراج
٧١		
		ترجمات غير المشهورين من مؤلفي الخراج
٨٥		
		ابن يسار ابو عبيد الله بن يسار الاشعري بالولاء
٨٥		
		حفصويه
٨٦		
		ابو علي الحسن بن زياد المؤلوبي
٨٧		
		ابوبكر احمد بن عمر الشيباني الخصاف
٩٠		
		ابو عباس احمد بن محمد بن سليمان بن بشار الكاتب
٩٠		
		ابو عباس احمد بن محمد بن عبدالكرين بن سهل الكاتب
٩٢		
		الوزير ابو القاسم عبيد الله بن احمد بن محمد
٩٨		
		ابو الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الماشطة

١٠٠	ابو الحسن علي بن وصيف خشكانة/ خشكانجة/ الكاتب
١٠١	ابو علي عبد الرحمن بن عيسى بن داود بن الجراح
١٠٧	ابو الحسين اسحاق بن يحيى بن سريح النصراني الكاتب
١٠٨	ناصر بن موسى الرازى الحنفى
١٠٨	ابو القاسم عبدالله بن العرمرم
١٠٨	محمد بن احمد بن علي بن خيار الكاتب
١٠٩	ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن بسطام
١١٥	ابو النصر محمد بن مسعود بن محمد السليمي العياشي
<b>القسم الثاني</b>	
١١٩	بعض الملاحظات عن تحقيق كتاب الخراج لقادة بن جعفر
١١٩	المقدمة (توطئة)
١٢٤	مقدمة السيد محقق كتاب الخراج
١٦١	مرتكزات اسلوب الجاحظ وانعكاساتها
١٨١	معلومات المؤرخين عن قادة بن جعفر
٢٠١	مؤلفات قادة بن جعفر
٢٠٩	جدول بمؤلفات قادة بن جعفر
٢١٧	دور النقد الموضوعي في التطور العلمي
٢٢٣	استعراض المقدمة لكاتب الخراج
٢٣٩	وصف المقدمة للمخطوط